# الدّعوة

# إلى الطريق المستقيم

« طريق التصوف »

﴿وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا﴾

صدق الله العظيم

إعداد

أحمد مصطفى الخولى

الطبعة الأولى

١٤٢٦هـ/٢٠٠٦م



الطبعة الأولى
١٤٢٦هـ / ٢٠٠٦م



مصر الجديدة: ٢١ شارع الخليفة المأمون - القاهرة
تليفون: ٢٩٠٨٢٠٣ - ٢٩٠٦٢٥٠ - فاكس: ٢٩٠٦٢٥٠
مدينة نصر: ٧١ شارع ابن النفيس- المنطقة السادسة - ت: ٢٧٢٣٣٩٨

http://www.top25books.net/bookcp.asp.
E-mail:bookcp@menanet.net



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾.

صدق الله العظيم

# إهداء

إلى كل من يتطلع إلى سلوك

الطريق القويم المستقيم

طريق العزيز الحكيم وكل

ذاكر لله ولأئمة التصوف

أجمعين ... وإلى مشايخي

الكرام ولوالدي ووالدتي

أهدي هذا الكتاب ....

أحمد مصطفى الخولي

# تقديم الكتاب

بقلم: فضيلة الشيخ

**منصور الرفاعي عبيد**

وكيل وزارة الأوقاف سابقاً

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه .

**وبعــد:**

فإن التصوف مدرسة للتربية العالية، وشحن همم المريدين إلى العلو والترقى وحسن الطاعة لله ولرسوله وللشيخ المربى...

ومن هنا كان التصوف سلوكًا وخُلُقًا واستقامة على منهج الكتاب والسنة..

والمتصوفة شخصيات تعرفهم بسيماهم، فهم يمشون على الأرض هونًا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلامًا..

وشاء حظى أن ألتقى بالكثير منهم ولكنى ملتُ إلى السيد الأستاذ أحمد الخولى الذى التقيت به مصادفة فوجدت فيه الصدق مع النفس وشفافية الروح فأنست إليه وتحدثت معه فكشف الحديث من معدن شخصيَّة مهذبة عالمة عارفة لها باعٌ واسعٌ فى الاطلاع، فسألته عمن أخذت ومن هو قائدك فى الطريق؟ فأخبرنى أن شيخه السيد إبراهيم سلامة الراضى رضي الله عنه ، فقلت له: إذا كان هذا العلم تختزنه فى قلبك فلم لم تخرجه للناس؟ خاصة وأن هناك من يتطاول على المتصوفة وأهل الحقيقة والشريعة وتطاولهم بجهل، ولا بد لهؤلاء أن يتعلموا على أيد أمثالك وأن ينهلوا من علمك ومعارفك لعل الله يشرح صدورهم وينير بصائرهم ويهديهم إلى الطريق المستقيم، خاصة وإن التصوف الحقيقى هو أحسن علاج لهذه الأمة التى فرقتها الأهواء ومزقتها الخلافات، كل فريق بما لديه يفرح لجهلهم بما عند الآخرين، وأمتنا اليوم فى حاجة إلى علاج وأنت عندك جزء من العلاج، فلم لم تقدمه للناس؟

ثم مضى بنا الزمن كلٌ فى حال سبيله لكن لقاء الاتصال بيننا دائم، ثم أخبرنى بأنه وضع خطوطًا لكتاب فأسرعت إليه متلهفًا فوجدت هذا الكتاب الذى بين يديك والرجل من تواضعه سماه خطوطًا عريضة، لأننى كما قلت إنه يعيش فى بحر لا ساحل له وأنا لا أزكيه على الله، فالله حسيبه، فالحكمة تجرى على لسانه والقلم عندما يمسك به يفتح الله عليه فتوح العارفين مصداقًا لقوله سبحانه:

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[البقرة:٢٨٢].

ولقد أوتى الرجل خيراً كثيراً لأنه كما يقول ربنا:

﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾.

[البقرة: ٢٦٩]

والرجل لحبه للخير وفعله يقدم كل ما يملك خدمة للإسلام الذى يؤمن به ويهتدى بهديه، لذلك فهو يبذل ولا يخاف لأنه يعتمد على الله ويتوكل عليه:

﴿ ..وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾[الطلاق: ٣].

والكتاب الذى بين يديك يرد على كثير من التساؤلات النفسية التى تكون فى خاطر الإنسان، فهو يحدثك عن الشيخ ومريديه ويحدثك عن العلاقة الطيبة والصحبة الكريمة التى يجب أن يتمتع بها كل سالك للطريق إلى الله كما يحدثك عن كرامة الولى وهى أمر جائز فى الشرع الإسلامى.

وقد قال القائل:

**وأثبتن للأوليا كرامة**

**ومن نفاها فانبذن كلامه**

لكن المؤلف يضع ضوابط لهذه الكرامة حتى لا يختلط الأمر فى عقل الإنسان المسلم..

ونؤكد على أن حب أولياء الله الصالحين أمر مستقرٌ فى نفس كل مسلم لأن الله تبارك وتعالى أعلن الحرب على من يعادى الأولياء ويتهكم عليهم ويسخر منهم ويطلق النكت البذيئة فى حقهم، فقد روى البخارى أن رسول الله ﷺ قال:

**«يقول الله تعالى: من عادى لى وليًا فقد آذنته بالحرب».**

ونحن كمسلمين علينا أن نحترم الرموز الصالحة من هذه الأمة العظيمة وإذا غاب عن فكرى سيرة أحد منهم أتوقف عن السخرية بهم وأقول الله أعلم بحالهم لأنهم مضوا إلى ربهم وقدموا إلى أعمالهم وأصبحوا فى ذمة التاريخ، وعلينا أن نردد ما علمنا إياه ربنا:

﴿ .. ربَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا ﴾[الحشر: ١٠].

وكما يقول الإمام الشافعى رضي الله عنه:

**أحب الصالحين ولست منهم**

**لعلى أن أنال بهم شفاعة**

لهذا فإن الكتاب الذى بين يديك أوصيك بقراءته وأنصحك - والدين النصيحة - أن تقدمه لإخوانك ومحبيك ليقرءوه ... فالحكمة ضالة المؤمن فمن وجدها انتفع بها وقدمها لغيره وتلك طبيعة المؤمن الصادق مع نفسه.

وأنا لا أملك إلا أن أرفع أكف الضراعة إلى الله أن يوفق أخى وصديقى الأستاذ أحمد الخولى أن يزود المكتبة الإسلامية بكتاب آخر وآخر ليسد نقصًا كبيراً فى المكتبة، ويملأ فراغًا نحن فى حاجة إلى ملئه خاصة وأن التيارات الثقافية تريد الآن أن تطمس هوية الأمة الإسلامية وأن تقطع صلة الشباب المسلم برموز الأمة وقادة الفكر فيها، وأرباب التصوف كانوا قيادات فى كل المواقع، وسل التاريخ ينبئك، لقد كانوا قيادات فى المواقع الحربية لصد الهجوم التترى والصليبى عن المسلمين، كما كانوا قيادات فى الحق والعلم والتجارة، والعمل بكل أنواعه لرقى المجتمع وتطور الحياة ... وأعداء الإسلام عندما أرادوا أن يشوهوا رموز التصوف دفعوا بشخصيات هزيلة تمسك بسيف خشبى وملابس وسبح معلقة فى رقابهم وهم يتسولون فى الشوارع، فى نفس الوقت وصفوهم بأنهم شخصيات «بريالة» لا قيمة لهم، وقالوا: هؤلاء هم أهل التصوف، وهذا ظلم لهؤلاء الناس وافتراء عليهم، لقد كان شعار أهل التصوف ما تعلموه من هدى ربنا:

﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ ﴾[القصص: ٧٧].

وقوله سبحانه:

﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾[الأعراف: ٣٢].

فليس التصوف بهذه الصورة مطلقًا ..

التصوف نظافة فى الضمير والملبس ..

نظافة فى الأخلاق والهيئة . .

لأنهم يطبقون قول الله:

﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾[الأعراف: ٣١].

لذلك أعجبنى ما كتبه أخى وصديقى وأقدمه إلى كل مسلم يريد أن يعرف الحق وأن يعيش بالحق وأن يكون من دعاة الحق . .

وشكر الله للكاتب والمؤلف وجزاه الله خيرا وأعانه ووفقه إلى تقديم المزيد من المعرفة لطلاب الحقيقة وبالله التوفيق.

**منصور الرفاعى عبيد**

**وكيل وزارة الأوقاف للمساجد وشئون القرآن سابقاً**

# مقدمة المؤلف

ترددت فى وقتنا الحاضر آراء بين المثقفين وعامة النَّاس حول التصوف والصوفيَّة والمتصوِّفة، وقد اكتنف التصوف بعض الغموض والإبهام مع انتشار بعض المذاهب المناهضة للتصوف، وساعد على ذلك ما انتشر بين أرباب بعض الطرق الصوفيَّة من خرافات وعادات ومظاهر وخاصة فى الموالد والاحتفالات الدينية ..

ولقد شرفنى الله تعالى بتلقى الطريقة على يد شيخ عظيم وعارف بالله كريم هو السيد/ إبراهيم سلامة الراضى شيخ الطريقة الحامدية الشاذلية، والذى انتقل إلى رحمة مولاه فى أواخر مايو عام ١٩٧٦ ..

وقد أرسى قبل وفاته مبادئ الطريقة التى أسسها والده الكريم الشيخ سلامة ابن حسن الراضى ..

وفى عام ١٩٦٢ رأى الشيخ رضي الله عنه ما شاب التصوف من عيوب علقت به لعدم وجود الفهم الكافى لدى الناس عامة، ولدى المتصوفة على وجه الخصوص.

فأخذ يفكر فى طريقة ترفع المستوى الثقافى والمعرفى لدى مريدى طريقته، ليعم النفع جميع الطرق الصوفية فى مصر، فوضع كتابًا تحت عنوان « مرشد المريد » ضمَّنه بعض المبادئ الأساسية للربط بين الشريعة والحقيقة عن طريق سلوك الطريقة، وجعل دراسة هذا الكتاب شرطًا من شروط حصول الخليفة على إجازة الخلافة وبدأ ممارسة نشاطه فى الطريقة بحيث يتقدم الراغب فى الحصول على الخلافة لاجتياز امتحان فى موضوع هذا الكتاب، يتحدد بعده السماح بإعطاء الخلافة من عدمه.

وإنه ليسعدنى أن أعرض لهذا الكتاب لكى يقف القارئ والمهتم بالتصوف على مدى حرص مشايخ الطريق على رفع مستوى الخلفاء والمريدين من الناحية الدينية والاجتماعية والعلمية ..

**وجاء الكتاب تحت عنوان:**

**"مرشد المريد فى الفقه والتصوف والتوحيد"**

ويأتى هذا الكتاب تأكيداً لما ورد فى قانون الطريقة حول الحد الأدنى من المعلومات والأحكام التى لا بد للمريد والخليفة أن يتزود بها للنهوض بأعباء الطريقة ..

كما حاولت جاهداً أن أجمع المعلومات المفيدة عن التصوف والصوفية لألقى الضوء على أهدافها السامية بين المريدين خاصة، وفى المجتمع الإسلامى عامة.

إن الإسلام: عقيدة، وشريعة وسلوك، وتربية.. والتربية سلوكٌ عمليٌّ وتوجيه إيمانى رُوحى ولذلك فإنَّ: ١- الأعمالُ بلا إيمان جسد بلا روح.

٢- والإيمان نفسه درجات:

وهذه الدرجات تظهر جلية عند المتقين المحسنين الذين عناهم المصطفى ﷺ فى حديث جبريل الصحيح .. حينما سأله: ما الإحسان؟ قال ﷺ: «**أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**».

فبقدر ما تكون مراقبةُ العبد لربه فى السر والعلَن والحضُور والغيبة دقيقة وتامة، بقدر ما يشعر الإنسان بإيمانه، ويشعر بدينه، ويُرْهِف الإيمانُ إحساسه، وتعظم قوته الدينية، وتتضح تقواه، ويقوى ورعه، ويزداد تمسكه بدينه.

وقد ألزمت الصوفية نفسها التربية الروحية واتخذت جانب الإحسان منهجًا لها وطريقًا موصلاً إلى قيمها وتطلعاتها السنية ومراتبها العلية.

والإسلام كل لا يتجزأ، والتربية الروحيـــة لا يمــكن أن تتحقق بمجــرد الادعــاءات أو الإيهامات وإنما يجب أن ترتكز على أسسٍ متينة مما شرعه الله ورسوله:

١- فلا تزكية إلا بما شرعه الله ورسوله.

٢- ولا تربية إلا بما شرعه الله ورسوله.

والإسلام والإيمان والإحسان.. هيكل تام للمسلم لا يتحقق له ما يريده الله ورسوله منه إذا فرق بينها، أو لم يلتزم بها جميعًا.

**وعلى ذلك فلن يقبل الله من الإنسان تصوُفًا أو غيره إذا لم يلتزم:**

١- بالإسلام سلوكًا.

٢- وبالإيمان عقيدة.

٣- وبالإحسان تربية وتزكية.

والأسماء لا قيمة لها فى الآخرة، وإنما الثوابُ والعقاب يترتب على العمل والاعتقاد.

فسواء سمى الإنسان نفسه صوفيا أو سلفيا أو أى تسمية أخرى.. فإنّ مدار الفلاح فى الآخرة على الالتزام بما شرعه الله ورسوله من حلالٍ أو حرام، أو محظور أو مُباح..

والناسُ، وخاصة الشباب فى عصرنا ضحية المصطلحات والتسميات، فكثيراً ما نسمع من بعضهم إلصاق تهمة الكفر والإلحاد لأى منتسب للصوفية أو غيرها.. والتهمة يجب ألا توجَّه للأسماء والمصطلحات وإنما للمناهج والسلوك:

١- فَمَنْ التزم الشرع والإيمان حكمنا عليه بالإسلام والإيمان.

٢- ومَنْ لا يلتزم لا يكونُ مسلمًا ولا مؤمنًا كائنًا ما كان اسمه أو ملبسُه أو مقولتُه أو جماعتُه.

ولذلك يجب على كل مسلم منصف التورع عن التسرع فى إلصاق تهمة الكفر أو الفسق على الناس قبل التثبت والتأكد والجزم من وجود دواعى الكفر أو ظواهره فيهم.

فإن لم يثبت ظاهريا كُفر أحد حسب ميزان الشرع، فلا يجوز اتهامه بالكفر، والتهمة تعود على مَنْ رمى بها صاحبه..

**والناس فى هذه الأيام بين ثلاثة:**

١- صوفى جاهل، وهذا خطره على الصوفية والإسلام أكبر من خطر أعداء الصوفية والإسلام وقد قيل: عدو عاقل خير من صديق جاهل.

٢- مُدَّعٍ للحق مُتعالم، وهو الذى يدعى العلم دون الإحاطة بالحد الأدنى من العلم.

وكلاهما - الأول والثانى - على غير الحق والهدى وكلاهما يكيل التهم لصاحبه.. فلا هذا على الحق، ولا ذاك على الحق..

٣- الصوفى الملتزم: كالجيلانى والجنيد والشاذلى رضى الله عنهم على نهج السَّلف كابن القيم، وابن تيمية..

إننا فى هذه الأيام، وقد أحدق الخطر بالإسلام وبالمسلمين من كل جانب، بحاجة إلى الوفاق لا الفراق، نحن بحاجة إلى التعاضد والتعاون لا إلى التنافر والتناحر.

ولنعمل بقول الحق جل شأنه:

﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ [المائدة : ٢].

وقول الحبيب المصطفى ﷺ: **«المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً»**.

فعلينا أن نضع أيدينا على الداء ثم نشخص له العلاج بروح الفريق، الفريق الإسلامى الغيور على حُرمات دينه وقرآنه وسُنّته..

ولعلى لا أكون مغاليًا أو مجافيًا للحقيقة والواقع إذا قررت أننى بعد قراءة بعض السطور، فى بعض الكتب التى تناولت التصوف والصوفية بالنقد.. اهتزت جوارحى، واقشعر بدنى، وأحسست أن حيائى وحياء المسلمين جميعًا قد خُدش لفداحة وفظاعة الألفاظ التى استخدمت فى نعت بعض العلماء المحققين الذين ننظر إليهم على أنهم العلماء الذين عناهم المصطفى ﷺ : «العلماء ورثة الأنبياء».

وقد تعلمْتُ فى الصغر أشياء لا أستسيغُ غيرها مقياسًا للأخلاق والسلوك:

«مَنْ علمنى حرفًا صرت له عبداً».

وقول الشاعر:

قُــم للمعلّـم وفــه التبجيلا

كـاد المعلـم أن يكـون رســولاً

لا أستطيع، كما لا يستطيع غيرى، أن يستسيغ بعض الصفات التى دمغ بها هؤلاء العلماء الأفاضل، مثل الملحد والكافر والعاصى والآبق وغير ذلك مما شمله ذلك القاموس اللاأخلاقى فى وصف عباد الله ..

لقد تعلمنا فى صغرنا ضمن ما تعلمنا:

«أنْ خلاف الرأى لا يُفسدُ للود قضية».

وحفظنا من معلمينا وأساتذتنا ومشايخنا:

«أحبب حبيبك هونًا ما.. فقد يصيرُ بغيضك يومًا ما، وأبغض عـدوك هونًا ما.. فقد يـــكون حبيبك يومًـا ما».

لقد خلطنا بين القضايا الشخصية والمعتقدات الخاصة وبين المعتقدات التى لا دخل لنا فى تقييمها لعظمتها وجلال قيمتها وعُلُو منزلتها ..

ولذلك أقول، ناصحًا لله ولرسوله، لهؤلاء الذين خرجُوا على مقتضى الأخلاق والعفة فى استخدام الألفاظ: لقد أمعنتم وتماديتم فى الخصومة حتى جرحتم فأدميتم، وقتلتم فى شبابنا أى تطلع للمعرفة، وأى أمل فى وجود الأسوة والقدوة ..

وليراجع هؤلاء جميعًا قول النبى ﷺ:

**«وإذا خاصم فجر»** صفة من صفات المنافقين .. نريد صفحات بيضاء من غير سوء نملؤها معًا حُبا ومودة ونطرح عليها أسئلتنا ونتلقى عليها إجابات لا تدع مجالاً لُمشكك ..

**لا تنه عن خُلُق وتأتى مثله**

**عار عليك إذا فعلْتَ عظيم**

فليتقدم كل محب لله ولرسوله ولدين الإسلام للإدلاء بدلوه - عن علم ومعرفةٍ - لإصلاح مسارات العقائد، أو تقويمها بالتى هى أحسن:

قال تعالى:

﴿ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾[ النحل : ١٢٥ ].

وقوله تعالى:

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [ آل عمران : ١٥٩ ]

لقد أقدمت على تجميع مادة هذا الكتاب الذى أسميته: «الدعوة إلى الطريق المستقيم - طريق التصوف» لقول الحق سبحانه وتعالى:

﴿ وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا ﴾[ الجن :١٦ ].

معتقداً وجازمًا أن الطريق المراد، والذى نحتاج لسلوكه هذه الأيام بالذات هو «طريق المحبة» وعليه قامت طاعة العبد لربه باتباعه للحبيب المصطفى ﷺ.

لقوله تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾[ آل عمران : ٣١ ]

وكل ما فعلته فى هذا الكتاب:

١- تجميع بعض التعريفات والأقوال والنصوص عن التصوف.

٢- الاستدلال ببعض كتب السادة العارفين رضى الله عنهم.

٣- سرد ما جاء فى الكتب المعارضة للتصوف كما هى دون تدخل.

٤- وبصفتى من أبناء الطريقة الحامدية الشاذلية، وهذا شىء أعتز به. وهذا ما دفعنى لتقديم هذا العمل المتواضع لإخوتى وأحبائى وسائر المسلمين.

وقد علمنى شيخى رضي الله عنه أن أكون، أو أحاول أن أكون، لافتة طيبة فى الأخلاق والسلوك للطريقة ، وللإسلام بطبيعة الحال، ودائمًا يتردد فى سمعى وقلبى قول هذا العارف بالله سيدى إبراهيم سلامة الراضى:

« ليس المريدُ مَنْ يفتخر بشيخه، وإنما المريد هو الذى يفتخر به شيخه ».

فأوردت بعض مؤلفات الشيخ المؤسس سيدى سلامة بن حسن الراضى رضي الله عنه ، وكذلك بعض مؤلفات خليفته شيخ الطريقة سيدى ابراهيم سلامة الراضى رضي الله عنه ..

كما استعرضت قانون الطريقة الحامدية الشاذلية ليقف القارئ على أن الطرق الصوفية إنما تسير على مبادئ وقوانين مرجعها الكتاب والسنة كما ورد فى كتابى الأول « الورْد والذكر ».

٥- كان الدافع القوى لى لإخراج هذا الكتاب بناءً على توجيه من رجل يدعو إلى الله مخلصًا وله أثره وقيمته فى المجتمع الإسلامى والعربى والمصرى على حدٍّ سواء، وهو فضيلة الأخ والصديق الشيخ منصور الرفاعى عبيد وكيل وزارة الأوقاف سابقًا، والذى أتشرف بتقديمه لهذا الكتاب ..

فقد تعرفت عليه منذ عدة سنوات فوجدت فيه الداعية المتكامل فى الشريعة والحقيقة، وقد سمع منى كلامًا مسجلاً أثناء رحلتنا للإمام الشاذلى رضي الله عنه بوادى حميثرة بالبحر الأحمر منذ أكثر من سنتين حين قامت إذاعة القرآن الكريم والقناة الثامنة بأسوان بتسجيل أمسيتين دينيتين فى رحاب الإمام، وقد تفضل فضيلة الشيخ منصور بإلقاء خطبة الجمعة، وإلقاء محاضرتين قيمتين فى الأمسيتين المشار إليهما ..

فأثناء الرحلة وجدتُ فضيلته بعد سماعه للشريط المسجل بصوتى يستحلفنى أن أسجل ذلك فى كتاب ليعم النفع سائر المسلمين.

وهاأنذا أستجيب لهذا الطلب العزيز..

داعيا الله العلى القدير أن يعم النفع جميع المسلمين

والله الموفق والمستعان

**أحمد مصطفى الخولى**

# تمهيد

﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

[ الذاريات : ٥٥ ]

الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف خلق الله سيدنا ومولانا محمد ﷺ .

إن الواجب الدينى والانتماء إلى دين الاسلام والانتساب لأكرم الرسل والأنبياء سيدنا محمد ﷺ يقتضينا أن نراجع المواقف ولا نتحيز إلا إلى الحق، وما علينا ونحن نتجه إلى خالقنا لنتحقق بحُسن عبادته واستحقاق خلافته فى الأرض أن نمهد الأرض ونحرثها جيدا ونقتلع منها كل الأفكار الهدامة والضارة ..

وقد قالوا:

«مَنْ لم يكن فى زيادة فإنه فى نقصان» والزيادة هنا تعنى الترقى من مقام إلى آخر فى سلوكنا إلى طريق الله.

لا بد أن نُراجع مواقفنا على ضوء الأوامر الواردة فى الكتاب والسُّنة ثم نختار بعد ذلك الأسلوب الأمثل لسلوك الطريق الموصلة إلى رضا الحق سبحانه وتعالى ..

قال تعالى:

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

فالخيرية التى تعنيها الآية ليست خيرية جنس أو لون أو عصبية، ولكنها خيرية مبنية على ثلاثة عناصر أساسية:

١- الأمر بالمعروف.

٢- النهى عن المنكر.

٣- الإيمان بالله.

ولما كان الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر يتأتيان باللسان وأداتهما العقل والعمل، فعلينا أن نتزود بهذه المهمة أمراً ونهيًا.

ونتعرف على المعروف وما يوصل إليه وعن المنكر وما يجب أن ننهى الناس عنه.

أما العنصر الثالث وهو الإيمان بالله فإن أداته القلب ..

كما قال المصطفى ﷺ:

«الإيمان ما وقر فى القلب وصدقه العمل».

إن السعى للوصول للحقيقة يتطلب جهداً كبيراً بل قد يكون مضنيًا ، ويُسمى السعى المشار إليه سبيلاً أو طريقًا يسلكه المرء وصولا لتحقيق هدفه أو مراده .. ولعل فى قصة سلمان الفارسى الكفاية للاستدلال على كيفية الوصول مما يتطلب خوض معارك شديدة ..

فقد سعى سلمان الفارسى وراء الحقيقة فترك الإمارة وحياة الرفاهية وهاجر لكى يصل إلى بغيته، ومرّ بمراحل قاسية فى الأديرة وغيرها إلى أن بيع وأصبح رقيقًا لكى تقف الأقدار إلى جواره فتوصله إلى يثرب ولم يلبث فيها كثيراً حتى جاء الهادى البشير وطلع نوره على المدينة، ولما قابله وتأكد أنه النبى الذى سعى من أجل معرفته واستقر الإيمان فى قلبه أصبح من أقرب الصحابة إلى رسول الله ﷺ ، واستحق الجائزة فى النهاية والتى منحها له المصطفى ﷺ، ظفر سلمان بالجائزة التى تمثلت فى قول الحبيب المصطفى ﷺ:

«سلمانُ منا آل البيت».

فتمتع سلمان رضى الله عنه بالميزات التالية:

١- الدخول فى دين الإسلام.

٢- الدخول تحت مظلة التآخى.

٣- الدخول تحت مسمى الصحابة.

٤- وأخيراً التشرف بالانتماء لأهل البيت.

فالصحبة لها أثرٌ عميق فى شخصية المرء وفكره وأخلاقه، لأن الصاحب يكتسب صفات صاحبه بالتأثر الروحى والعملى ..

ولما كان كل إنسان لا يخلو من أمراض القلب وعيوب النفس والتى قد لا يمكنه أن يراها بنفسه كما أنه لا يستطيع أن يرى ملامح صورته إلا إذا انعكست على سطح مرآة صافية ..

كذلك النفس لا يرى عيوبها إلا إذا عكسها قلبٌ صادقٌ مخلص مؤمن بربه يريك عيوب نفسك ويكشف لك عن خفايا أمراض قلبك ..

فقد قال الحبيب المصطفى ﷺ: «المؤمن مرآة أخيه».

من هذا المنطلق أصبح الطريق العملى لتزكية النفس والتحلى بكمالات الأخلاق هو صحبة أهل الإيمان والصدق والإخلاص الذين يعينون صاحبهم على سلوك الطريق إلى الله والوصول إليه ..

وبذا قد أصبحت الصحبة عندنا نحن الصوفية من أهم علامات الطريق إلى الله، وهى أول ما يجب على السالك الراغب أن يفعله بعد التوبة ..

وقد قيل: «اختر الجار قبل الدار، واختر الرفيق قبل الطريق».

وأرقى مستويات الصحبة وأعمقها **أثرا صحبة المريد لشيخه** الذى كثرت رياضاته واكتملت خبراته ..

يقول الله تعالى: ﴿ الرَّحْمَنُ فَاسْئَلْ بِهِ خَبِيراً ﴾[ الفرقان: ٥٩ ].

وفى تعريف الشيخ لدى العارفين:

هو من: «سلك الطريق ثم عاد ليخبر الخَلْق بما استفاد» بعد اكتمال الرياضات والخبرات أصبح الشيخ قادراً على الريادة فى الطريق .. ذلك لأن الطريق إلى الله حافل بالصخور والأشواك والعقبات .. ومن ثم كان المريد فى حاجة ماسة إلى مَنْ يأخذ بيده فى هذا الطريق الطويل ويُجنبه ما يمكن أن يتعرض له من مهلكات.

ولهذا فقد أجمع أهل الطريق على وجوب اتخاذ الإنسان شيخًا له:

يرشده، ويوجهه، ويرى نفسه، ويصحح مسلكه.

ولما كان الشيخ وسيلة لا بد منها لمن أراد الوصول فقد أكسبه ذلك أهمية كبرى لأنه بوجود الشيخ يقول **الإمام الغزالى** رضي الله عنه :

«المريد يحتاج إلى شيخ وأستاذ يقتدى به لا محالة ليهديه إلى سواء السبيل، فإن سبيل الدين غامض، وسُبُل الشيطان كثيرة ماهرة، فمن لم يكن له شيخ يهديه قاده الشيطان إلى طريقه لا محالة .. فمن سلك طريق البوادى المهلكة بغير قائد فقد خاطر بنفسه وأهلكها ..

ويكونُ المستقل بنفسه كالشجرة التى تنبت بنفسها فإنها تجف على القُرب، وإن بقيت مُدة وأورقت لم تثمر، فمُعتصم المريد بعد تقديم الشروط المذكورة شيخه».

كما يقول **القشيرى** رضي الله عنه:

«يجب على المريد أن يقتدى بشيخ ويتأدب به، فإن لم يكن له أستاذ لا يُفلح أبداً».

ويقول **أبو يزيد البسطامى** رضي الله عنه:

«مَنْ لم يكن له أستاذ فإمامه الشيطان».

ويقول الرازى: «إن المريد لا سبيل له إلى الوصول إلى مقامات الهداية والمكاشفات إلا إذا اقتدى بشيخ يهديه إلى سواء السبيل ويجنبه عن مواقع الأغاليط والأضاليل، وذلك لأن النقص غالب على أكثر الخلق، وعقولهم غير وافية بإدراك الحق وتمييز الصواب عن الغلط فلابُدَّ من كاملٍ يقتدى به الناقص حتى يتقوى عقل ذلك الناقص بنور عقل ذلك الكامل فحينئذ يصل إلى مدارج السَّعادات ومعارج الكمالات».

والاقتداء بالشيخ يجب ألا يستغنى عنه عالمُ ولا جاهل لأن الإنسان مهما أوتى من العلم والمعرفة والقُدرة على المجاهــدة لا يستطيع أن يقطع هذا الطــريق دُون شيخ، لأنــه لا يدرى ما قد يعرض له فى طريقه من عوارض القلب وخطرات النفس التى قد توهمه بأن خطاه ثابتة ومسلكه مستقيم، حتى وإن كان حقيقة أمره على خلاف ذلك.

يقول ابن عطاء الله السكندرى رضي الله عنه :

«اعلم أن سُلوك الطريق، خصوصًا لُمريد الكشف والتحقيق لا يكون من غير التزام الطاعة والانقياد لشيخ محقق مرشد، لأن الطريق عويص وأدنى زوالٍ يقع عن المحجَّة يؤدى إلى مواضع فى غاية البُعد عن المقصود.

يقول أبو العباس المرسى رضي الله عنه :

«كل مَنْ لا يكون له فى هذا الطريق شيخ لا يفرح به ولو كان وافر العقل منقاد النفس، واقتصر على ما يلقى عليه الشيخ للتعليم فقط، لا يكمل كمال من يقتدى بالشيخ المُربى، لأن النفس أبداً كثيفة الحجاب عظيمة الإشراك، فلا بد من بقاء شىء من الرعونات فيها لا يزول عنه ذلك بالكلية إلا بالانقياد للغير والدخول تحت الحكم والقهر».

وليس كل شيخ بالمعنى العام يصلح أن يكون شيخًا فى الطريق بل لا بد له من صفات خاصة تتوافر فيه وتؤهله ليكون شيخًا يقتدى به، وهذه الصفات تنحصر فى عنصرين أساسيين :

١ - عنصر العلم.

٢ - وعنصر العمل.

ولا بُدَّ للشيخ حتى يتأهل للمشيخة:

١ - أن يكون قد أجيز من شيخه بهذه التربية وأخذ منه العهد.

٢ - وأن يشهد له أهل زمانه بصلاحه.

ومَنْ لم يحصُل له من ذلك شيء لا يقوم بالمشيخة حتى ولو توفرت فيه جميع الشروط السابقة.

ويمر المريد فى الطريق بعدة خطوات:

١- أخذ العهد والبيعة من المريد لشيخه على:

أ- السير مع شيخه فى طريق التخلى والتحلى.

ب- وسلوك طريق التحقق والترقى.

وبأخذ العهد تبدأ العلاقة بين الشيخ والمريد.

٢- التأدب بآداب الصُحبة:

**أ- الآداب الظاهرة:**

- المداومة على حضور مجالس الشيخ.
- السكينة والوقار فى الجلوس بين يديه.
- الاستسلام لشيخه وطاعته وامتثال أمره.
- عدم الخروج على قيم وآداب الكتاب والسنة.

**ب- الآداب الباطنة:**

- أن يعتقد فى شيخه الصلاح وتمام الأهلية للمشيخة.
- توقير شيخه.
- تربية محبة الشيخ فى قلبه محبة غير متعلقة بأى غرض من أغراض الدنيا.

وعلى الشيخ فى المقابل واجبات تجاه المريد:

١- أن يعرف المريد معالم الطريق إلى الله.

٢- أن يسوس نفس المريد بالرفق واللين.

٣- عدم الإذن للمريد بمفارقة الشيخ إلا بعد الإحساس من جهة الشيخ باكتمال تربيته.

٤- على الشيخ أن يكون محتسبًا فى ذلك كله لله دون انتظار أى منفعة مادية من المريد..

والمريد لا بُدَّ أن يوجَّه إلى سلوك الطريق عن طريق المجاهدة، ولكن باتباع سبيل التدرج فى تربية النفس والتنقل بها رويداً رويداً فى درجات هذا الطريق الحافل بالصخور والأشواك.

وهنا يبرز سؤال يفرض نفسه :

ما الذى يحمل الصُّوفى على سُلُوك مثل هذا الطريق واحتمال المشاق؟

والواقع أن الذى يحملُه على ذلك:

١- ما يتصف به من دوام المراقبة بالتزام مقام الإحسان.

٢- دوام صفة المحاسبة لديه فيحاسب نفسه أولاً بأول عملاً بقول المصطفى ﷺ :

«حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا».

وهناك فرقٌ بين المجاهدة والصبر:

- فالمجاهدة تعنى الصراع بين طرفين، وقد يبدأ هذا الصراع بخطوة إيجابية من صاحب المجاهدات.

- أما الصبر فمعناه حبس النفس إما على الطاعة، وإما على المعصية، ولذا يكون الصبر أشمل من المجاهدة، لأنها داخلة فيه ..

وإذا كثرت المجاهدات الصوفية تحوَّل الصبر فيها إلى ملكة نفسية أصيلة عند المجاهد .. فتصبح مبادرته إلى ميادين الصراع سلوكًا تلقائيًا يصدر عن ملكته النفسية دون تردد أو افتعال.

* * *

## نماذج:

كنا شبابًا صغاراً تتراوح أعمارنا بين الخامسة عشرة والخامسة والعشرين، يمتلئ بنا مجلس شيخ الحامدية الشاذلية وكنا نجلس بالساعات الطوال نستمع ونستفيد ولا يتكلم الواحد منا إلا إذا طُلب منه ذلك...

لأننا قد تعلمنا فى إحدى القصائد التى نستمعها فى حلقات الذكر عن آداب الصحبة .. قولهم:

ما لذةُ العيش إلا صحبةُ الفقرا

هـمُ السلاطينَ والسادات والأمـرا

فاصحبهمـو وتأدب فى مجالسهم

وخَلِّ حظَّك مهما قدمـوك وَرَا

ولازم الصمت إلا أن سُئلْتَ فقُل:

لا علم عندى وكن بالجهل معتذرا

وسمعنا ضمن ما سمعنا فى هذا المجلس:

« أن هذا الطريق مبنى على الكتاب والسنة ».

وأنه لا بُد لمن يسلك هذا الطريق من التزام الشريعة عن طريق تطبيق ما جاء فى الكتاب والسنة .. وحفظنا عن ظهر قلب، بل وانطبع فى قلوبنا قولُ الشيخ فى المجلس:

« مَنْ تحقق ولم يتشرع فقد تزندق ».

وقوله أيضًا:

ولا تأخـذ عمَّن زالت شريعته عنـه

ولـو جـاء بالأنبـا عن اللـه

وعندما دخل إلى المجلس أحد الرجال ذوى الحيثية وهو أستاذ كبير فى الجامعة، وسأل الشيخ عن كثرة عدد الشباب بهذه الصورة فى مجلسه، ويبدو أن معظمهم على درجة كبيرة من العلم والثقافة ..

يرد الشيخ: هؤلاء هم النبتة الذين ستصلح بهم الزّرعة وتؤتى ثمارها بإذن الله، إن كل واحد من هؤلاء قد جلس هذه الجلسة، وقد حبس بداخله وحشًا كاسراً يريد أن ينطلق فلا يستطيع لأنه تربى على المراقبة والحياء والخوف من الله، وإذا عرضت على أحدهم مبلغًا من المال - هو فى الحقيقة فى حاجة ماسة إليه - أو عرضت عليه أى شىء من مُغريات الحياة، ما ترك هذا المكان أبداً لأنه وجد نفسه على حقيقتها فيه.

وأكبر ميزة تجمع بينهم على اختلاف طبقاتهم وأعمارهم هى أنهم يحب بعضهم الآخر، وهذا كافٍ.

ثم تطلعنا إلى معرفة سر هذه الجلسة التى تمتد لساعات وتتكرر بعد العشاء من كل يوم اثنين وكل يوم أربعاء، بالإضافة إلى مجلس الجمعة من بعد صلاة الجمعة من كل أسبوع..

ثم مجالس الذكر الرئيسية من بعد عشاء الأحد والثلاثاء والسفر إلى الأرياف والأقاليم كل خميس، ولم يتبق لنا سوى السبت من أيام الأسبوع، فيُكلف كل واحد منا بمتابعة زاوية قريبة منه وحضور مجلس ذكرها ..

هكذا كان أسلوب شغل الوقت بحيث لا يتبقى مجال أمام أحدنا أن يفكر فى غير هذا الجو الروحانى العظيم..

كانت أنفسنا تتشوق أن تعرف من الشيخ رضي الله عنه عن قُرب .. كيف الوصول إلى الطريق المستقيم؟

فتأتى الإجابة من سيادته فى ألفاظ قاطعة محددة:

طريقنا هذا:

**اجتماع .. فاستماع .. فاتباع .. فانتفاع**

وبالتطبيق العملى على حالاتنا فهمنا معنى كل مرحلة من هذه المراحل الأربعة:

١- **فالاجتماع**: هو ما نحن عليه من نعمة الانتظام فى مجالس الذكر، ثم مجالس العلم..

وعلمنا أن هذا الاجتماع سواء فى مجلس الذكر أو مجلس العلم يعتبر روضة من رياض الجنة .. تحقيقا لقول المصطفى ﷺ:

**«إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا».**

قالوا: «وما رياض الجنة يا رسول الله؟».

قال ﷺ: **«حلَقُ الذكر وحلَقُ العلم».**

وقوله ﷺ: **«ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتذاكرونه بينهم ويذكرون الله تعالى إلا غشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله تعالى فيمن عنده».**

وعلمنا أيضًا: أن هذا الاجتماع فيه الرحمة لنا جميعًا ..

لقول ساداتنا الكرام: «ما اجتمعنا لنعُصم ولكن اجتمعنا لنُرحم».

وأيضا قولهم: «الناجى يأخذ بيد أخيه».

وهذا الاجتماع يمثل قمّة التعرُّض التى دعا إليها الحبيب المصطفى ﷺ بقوله:

**«ألا إنّ لربكم فى أيام دهركم لنفحات، ألا فتعرَّضُوا لها» و«يد الله مع الجماعة».**

**٢- الاستماع:**

فمن الطبيعى أننا حينما نجلس فى أحد المجلسين على حد سواء، مجلس الذكر أو مجلس العلم نستمع إلى كل ما يُقال وكل ما يدور، ولكن استماعنا هنا يتميز بعاملين لا يتوفران فى سائر المستمعين:

أ- نستمع بحب ولهفة وشوق إلى المعرفة.

ب- نُسجل فى عقولنا ونودعُ فى خزائن قلوبنا كل كلمة تُقال..

ونعمل بقوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ﴾[الزمر:١٨].

**٣- الاتباع:**

فبعد أن اجتمعنا وتعرضنا للنفحات، سمعنا، وما أجمل وأروع ما سمعنا.. تربية ذوقية رُوحانية عالية.. ومما سمعتُه وتأثرت به من شيخى مباشرة عدة أقوال وحكم لها معناها ومغزاها.. سمعتُه يقول:

إذا اختص الله وليًا من أوليائه بنفحة فيها الكشف والمكاشفة فمن إساءة الأدب أن يستخدم هذا السلاح بصفة دائمة إلا إذا اضطر..

«فإن الولى والعارف يتأذى من ظهور الكرامة على يديه كما يتأذى العاصى من ظهور المعصية على يديه».

وقرب لنا هذا المعنى بما يلى:

هب أن رجلاً غنيًا وغناهُ مشهور للجميع، قصده أحد الفقراء ليعطيه تفضلاً من فضل الله، فأعطاه مبلغًا ليُغنيه به عن السؤال، وما زال الغنى «المعطى» بمجلسه وما زال السائل فى نفس المجلس، فإذا بفقير آخر يدخل المجلس ويطلب من الغنى إعطاءه بعض المال.. وبلا أى تروٍّ، وباندفاع شديد يضع السائل الأول يده فى جيبه ليتناول مبلغًا من أصل ما أعطاه الغنى ويتوجه إلى السائل الثانى - وعلى الملأ، ودُون حسابٍ لخاطر الغنى

صاحب العطاء الأول - ثم يناول السائل هذا المبلغ .. ألا يستحى من المعطى الأول، وهل من الأدب والذوق أن يتعدى هذا الأصول؟؟ !!

يقول الشيخ رضي الله عنه :

إن لله المثل الأعلى، ولكن تقريبًا للمسائل حتى تستوعبها الأذهان، أقول لكم: إن مثل الولى الذى أعطاه الله النفحة كسلاح روحى لا يُستخدم إلا عند الضرورة كمثل الفقير الذى يسأل فيعطيه المعطى، فهل يجوز لهذا الولى وهو السائل الذى وقف بباب مولاه فأعطاه، أن يُسابق مولاه بفضل مولاه ونعمته؟؟

إن هذا غير جائز، لا من حيث العبودية، ولا من حيث الأدب والذوق وحُسن التصرف، فلا يصح استعمالُ السلاح فى وجود صاحب السلاح ..

هكذا أمرُ الولى الذى يضطر إلى إظهار الكرامة لا تحديًا ولا استعراضًا، ولا استخفافًا، وإنما للضرورة، ومع ذلك فإنه يحس بأنه أخطأ وعليه أن يتوب ..

فالولى الصادق يعتبر ظهور الكرامة على يديه - مع أنها نعمة من المنعم - إلا أنه يشعر كأنه عاصٍ قد ظهرت المعصية على يديه ، هذا درس تعلمناه ..

أما الدرس الثانى فهو ما حكاه أحد الأحباب الكبار فى مجلس الشيخ، عن سيدى سلامة الراضى رضي الله عنه والذى انتقل عام ١٩٣٩م أنه كان مرة فى مجلسه، ودخل أحد المحبين للشيخ، وكان ابنه أحد أتباع الشيخ المخلصين وكان هذا الابن يشغل مركزاً مرموقًا فى المجتمع، ولكن الأب كان له بعض الدلال على الشيخ، بصفته محب، وليس من أبناء الشيخ ..

هذا الرجل توجه للشيخ بسؤال مفاجئ ..

هل لا بد للولى من إظهار الكرامات حتى يصير وليًا؟ من قبيل أن هذه نعمة من الله، وأنه يجب عليه أن يتحدث بنعمة الله عليه؟

ففهم الشيخ رضي الله عنه مقصده..

فقال له: يا فلان باشا .. إن فضل الله عظيم ولكننا غير مأمورين بإظهار الكرامات لأنها من الأسرار الإلهية التى تكون من خصوصيات العلاقة بين الولى وخالقه جل شأنه فقال الرجل: .. أليس من حقى أن أستخدم الآية التى استخدمها خليلُ الله إبراهيم حين قال لربِّه : ﴿ .. قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾[البقرة:٢٦٠].

فسكت الشيخ ولم يعقب على هذا الأمر .. وبعد دقائق دخل أحد المريدين من الشباب، فسأله الشيخ أين كنت؟ فكذب ولم يقل الواقع ، ففاجأه الشيخ بكشف المكان

الذى كان فيه، فأغمى على هذا المريد، وقال الشيخ للحاضرين: اتركوه .. وتكرّر نفس الشىء مع قادمين آخرين .. وبينما الثلاثة فى إغمائهم .. نظر الشيخ رضي الله عنه للباشا وقال له: هل ارتحت يا فلان؟ .. وهل يُرضيك أنَّ ربَّك يستُر وسلامة يفضح ؟

فسلّم الرجل بالأمر واعتذر اعتذاراً شديداً؛ لأنه بتصرفه هذا أحرج الشيخ مع ربّه..

وللأسف نسمع فى أيامنا هذه ما يُسىء إلى التصوف خاصة وإلى الإسلام عامة، أن هناك بعض الأدعياء يستخدمون الكرامات كمن يقرأ فى كتاب فى استعراضٍ مستمر أمام عامة الناس.

والله أعلم إن كانت هذه الكرامات تثبيًا، أو استدراجًا من أعمال الشيطان ليضله، ويضل به. وإلى هؤلاء وإلى زوارهم أقول: اتقوا الله فى دينكم، واتقوا الله فى نبيكم، واتقوا الله فى تصوفكم الذى جعلتموه عُرضة للانتقاد بين العامة من المسلمين وبين أرباب الديانات الأخرى، أليس منكم رَجُلٌ رشيد؟؟!!

ثم سمعتُ من شيخى رضي الله عنه قوله:

**«مَنْ تصدر قبل أوانه .. فقد تصدّى لهوانه».**

وفهمت كما فهم غيرى أن الفتح الإلهى له توقيت وأوان، وأن بعض الناس:

١- لمجرد قراءات لبعض الكتب فى التصوف.

٢- أو لمجرد وجود جماعة من الأتباع حوله.

٣- أو لمجرد أنه ابن خليفة أو شيخ ..

يستبق الصفوف ويضع رأسه فى مصاف الرءوس التى علت بربها، ويتعرض للقيادة والإمامة عن جهلٍ منه .. والباقى فى بطن الشاعر ...

فالتصدر له أصول وله وقت محدود، وليراجع أمثال هؤلاء أنفسهم ليروا فى مرآتهم الرد الصادق بأنهم مدعون وليراجعوا أيضًا قول القائل: «مَنْ أراد الظهور فهو عبدُ الظهور.. ومَنْ أراد الخفاء فهو عبدُ الخفاء .. ومن أراد الله فهو عبد الله .. إن شاء أظهره وإن شاء أخفاه».

ثم سمعت من الشيخ ما أنا مُتأكدُ أنه قمة التواضع وقمة التعليم .. وقمة الأسوة والقدوة..

تحدَّث عن نفسه فقال:

«وكيف أدَّعى المشيخة، ولم أعهد فى نفسى أنى أصلح أن أكون مريداً ؟ »

لا إله إلا الله .. اللهُم زد أوليا ءك وأصفيا ءك نوراً وتواضعًا ..

ولكنى فطنت إلى المعنى الذى يقصده الشيخ ﵁ حين قال:

«إن التواضُع لا يكون إلا عن رفعة وعن علم بالله ومعرفة به واقتداء بالنبى ﷺ فلا بُد لمن يتواضع أن يكون أصلا رفيعًا لكى يُقبل منه التواضع، أما الوضيع أصلاً فلا تواضع ولا كرامة له.

ثم سمعته يقول فى باب النصيحة:

«لو أنصفتُ لنصحتُ نفسى حتى إذا فرغتُ منها نصحتُ غيرى»، وذلك تحقيقًا لقول المصطفى ﷺ:

«ابدأ بنفسك ثم بمن تعول».

ثم يقول:

«لقد عز فى هذا الزَّمان المُنصفون وصار الانتساب إلى الطريق فيه ما فيه .. ولكن أين المفر؟ »

لقد أطلق على الظهور بأمر الطريق: «محنة الظهور بالطريق».

- وفى مجال الرِّضا .. سمعته ﵁ يقول:

«فإن أنعم الله فمن فضله .. وإن منع فمن عدله .. وكل ما يفعلُ المحبوبُ محبوب.. فمن رضى بأحكامه، لا يبرحُ عن بابه ويرى:

١- الذُّلَّ عزاً. ٢- والفقر غنى.. ٣- والضعف قوةً.

٤- والعذاب نعيمًا .. ولعل أوضح مثلٍ زوجة فرعون - فيحشر فى زمرة المحبين، ويدخل فى حمى المقربين».

هكذا تعلمنا .. وطبقنا .. هكذا درسنا فى مدرسة منطقها الحب فى الله ..

فلم يترك ذلك فى أنفسنا علائق الكراهية وانتزعنا من قلوبنا كل شبهة من حقد أو أثرةٍ أو أنانية ..

واستمعوا معى وأمعنوا فى تعريفه ﵁ للسالكين فى طريق الله وأوصافهم:

فيقول: فالسالكون لطريق الله هم أهلُ الله وهم خاصته من أهله ..

**«وأهل الخصوص لهم خُلُق مخصوص»** :

١- لا يغفلون عن جلاء بواطنهم.

٢- تتعلق بالله قلوبهم.

٣- لا يرون فى الدارين إلا قدرة الله وأثره فى الكون.

٤- ولا يشهدُون إلا إياه.

٥- همَّتهُم علية ونفوسُهم زكيَّةٌ.

٦- وأقوالهم مرضيَّة.

٧- وبصائرهم مجلُوَّة.

٨- وأنوارهم سارية.

٩- وعهودهم وافية.

١٠- تآلفوا وتحابوا وتوادوا وارتبطوا ..

قال تعالى:

﴿ .. أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[ المجادلة :٢٢ ].

فمن ذا يدلنى على طريق غير طريق التصوف الحقيقى يربِّى تربية عالية أساسها الدين لذلك فإننى أرى فيهم الأمان، وأحس معهم بالقرب من ربى، وإن لم يدلونى.. فمعنى ذلك أنهم أقرونى على الاستمرار فى صفوف هذه المدرسة المحمدية، ويكون لى ولغيرى من آلاف بل مئات الآلاف من المريدين - حقٌّ على هؤلاء الناقدين الناقمين أن يخفِّفُوا من غلوائهم ويُقلعُوا عن النقد الهدام الذى لا يستفيد منه إلا عدوٌّ واحد منبوذٌ ملعون رجيم وهو الشيطان .. وأقول لهم: تعالوا فاقرءوا كتابيه، واقرءوا منهج أهل الله، لتعرفوا ثم تحكموا، فالحكم على الشىء فرع من تصوره.

سئلت السيدة عائشة رضى الله عنها:

كيف كانت أخلاق النبى ﷺ؟ قالت: «كان خلقه القرآن» .

أو قالت: «كان ﷺ قرآنًا يمشى على الأرض».

فتعالوا معى لنرى كيف كان الشيخ يسوس مريديه وإلى أى شىء كان يوجههم ليس غير الأخلاق المحمدية ..

**وهذا هو وصفه للمريدين المتحابين فى الله:**

١- إذا ظهرت زَلَّةٌ على أحد إخوانهم ستروه ..

٢- وإن خالف الشريعة والطريقة نصحوه .

٣- وإنْ اقترف ذنبًا واعترف سامحُوه وأرشدوه.

٤- وإنْ رجع إليهم المُسىء فى حقهم قبلوه.

٥- وإن جهل عليهم مَنْ لا يعرفهم عذروه.

٦- ليس لهم عدوٌّ إلا أنفسهم والشيطان.

٧- وليس لهم حبيبٌ إلا مولاهم.

٨- لا يقفُون مع مَنْ شرد .

٩- ولا يُبالُونَ بمن اعترضَ وانتقد.

١٠- حقَيقتهم الإخلاص والخلاصُ من الوقوف عندهم هو الإخلاص.

١١- مَنْ لم يقبل نصحهم ويتخلق بأخلاقهم فقلبُه متشبث بأذيال غيرهم، وفى قلبه مرضٌ فيعالجونه وينصحونه فإن قبل وإلا:

- فيطرح فى زوايا النسيان.
- ويبعد عن حضرة الرحمن.
- ويأخذ بزمامه الشيطان.
- ويُلقى فى ساحة الغفلات.
- ويمتلئ باطنه بالظلمات، فتسرى من رُوحه إلى دمه وعرُوقه.

- وقد حذرنا رضي الله عنه من هؤلاء الذين ليسُوا على شاكلة الأحباب السالكين الذين أوضح أحوالهم ونمط سلوكهم واستمد رضي الله عنه ذلك من قوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً﴾[البقرة:١٠].

وانصبَّ تحذيره منهم على ما يلى:

١- هؤلاء المخالفون لا يثبتون فى طريق القوم إذ ليس مع الاختلاف ائتلاف.

قال ﷺ:

«المؤمن آلف مألوفٌ فلا خير فيمن لا يألَفُ ولا يُؤلف».

٢- فيرى هذا المخالف أن الاشتغال بالإقبال على الله عبث.

٣- وأن ذلك من سخف العقول والجهل بالدين.

٤ - يزين له الشيطان سوءَ عمله فيراه حسنًا.

٥- ويستحلي القطيعة والجفاء.

٦- فينفرد الشيطان به ويفترسه.

٧- إذ الشيطان لا يفترس إلا الطريد الشارد، كما أن الذئب لا يفترس من الغنم إلا المنفردة.

ومن نصائحه رضي الله عنه لأحبابه:

- من ادعى لنفسه مع الله حالًا ولم يظهر عليه عارض فاحذروه.

- ولا تطيعوا عذل العازلين.

- ولا تقيمُوا وزنًا لجهل الجاهلين والمتكبرين المبعدين الذين يفترون علي الله الكذب والبهتان. فإن معكم الله وهو ولى الصالحين الذين إذا مسهم طائف من الشيطان ذكروا فإذا هم مبصرون.

**ومن أغلى النصائح التى وجهها إلينا الشيخ رضي الله عنه:**

١- لا تشغلـــوا قلوبكم بهواجس الظنـــون، فتضيعوا أوقاتكم باشتغالـــكم بمـا لا يعنيكم.

٢- لو أقبل صادق على الله مائة عام ثم أعـرض عنـه لحظـة لكان مـا فاتـه أكثر مما نالـه.

٣- لا تسقطوا أنفسكم من عيونكم ثم تسقطوا من قلوب العارفين فتسقطوا من عين الله.

٤- وتجنَّبُوا حُبَّ الرياسة والتعالى.

٥- ولا تجادلُوا أحداً بل شأنكم دائمًا التسليم.

٦- ارضوا بما قسم الله، واشهدوا الأفعال منه.

٧- وقروا الكبير، وارحمُوا الصغير ..
٨- صلُوا أرحامكم.
٩- وليكن حبكم فى الله وبغضكم فى الله.
١٠- وأكثروا الصلاة على النبى ﷺ .
١١- واذكروا الله على غالب أحيانكم بقلوبكم وألسنتكم.
١٢- واعلموا أن صحبة الغافل سم قاتل.
١٣- شاهدُوا الصغيرة فى نفوسكم كأنها كبيرة.
١٤- حاسبُوا نفوسكم وآخذوها على الهفوات قبل أن تحاسبوا غيركم.
١٥- واعلمُوا أن مجاهدة النفس على ترك الشهوات خير من مُجاهدتها على فعل الطاعة.
١٦- خذوا فى أسباب التواضع الظاهرى فإنه يجركم حتمًا إلى التواضع الباطنى.

وإذا كان لى أن أختم هذا التمهيد.. فإنى أورد دُعاءً مأثوراً من شيخى رضي الله عنه :

نسألك اللهم الخوف منك..
والمحبة لك .. والرَّجاءَ فيك .. والشَّوق إليك ..
والأنس بك .. والرضا عنك .. والطاعة لأمرك ..
اللهم أرنا الحق حقًا وارزقنا اتباعه.
وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه.
وارزقنا الهُدى .. والأدب فى الاقتداء .. وأصلح أحوالنا .
وبصِّرنا بعيوب أنفسنا ..
وأرنا سبيل الرشد واهدنا إليه.
وأرنا سبيل الغى وباعدنا عنه.
سُبحانك اللهم وبحمدك ..
أشهد أن لا إله إلا أنت ..
أستغفرك وأتوب إليك ..
عملتُ سوءاً وظلمت نفسى، فاغفر لى ..
فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت.
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

**أحمد مصطفى الخولى**

# واحة الشعر

**وإنه ليشرفني أن أقدم هذه القصيدة**

**بعنوان**

## أهل التصوف

**والتى تحمل الصفات الواجب توافرها فى كل صوفى أو متصوف**

**وقد كتبتها وأهديتها لمجلة:**

«التصوف الإسلامى»

**وتم نشرها بالمجلة مرتين.**

# أهلُ التصوّف

أهلُ التصوفِ بالصَّفاءِ تشبَّعُوا … عرفوا الإله على الحقيقة ما ادّعوا
فَهُمُو الرِّجـــالُ القائمون بعهدهم … وهُمُو الملوكُ علي القُلوبِ تربَّعُوا
وهُمُو الأسودُ إذا الكوارث أقبلَتْ … يقضون حقًا والمذاهـــبُ أربعُ
أهلُ الحقيقةِ فضلُهم بين الأُلى … فهُمُو الكبارُ عن الصِّغارِ ترفَعُوات
يتباعدونَ عن الحسُودِ لأنهُمْ … بالفضل من رب العبادِ تَتَبَّعُوا
يتناوبون لواءَ أحمدَ بالـهُدى … يتعاقبونَ على الصِّراطِ ويشفعُوا
أهلُ الكرامةِ والودادِ وشأنُهُم … جَمْعُ القلوبِ وللأوامر يسمَعُوا
صفت النّفوسُ وكلُّ شيءٍ عندهم … حُبُّ الإلهِ وغيرهُ ما يتْبعُوا
قطعوا العهود على الرِّجالِ ودَرْبُهُمْ … دَرْبُ الهداية بالطريق توسَّعُوا
فإذا خَلَوْا عند الحبيبِ تراهُمُو … فاضَتْ لهم أشباهُ نهرٍ أدْمُعُ
عرفوا الحقيقة فارتقتْ آدابُهُمْ … حرصوا على الأحكامِ حين تشرَّعُوا
يَدْعُونَ ربَّ الخَلْق عند سُجُودهم … يقضون جُلَّ الليل وهُمُ الرُكَّعُ
بيعُ النُّفُوسِ بضاعة ربحوا بها … حين اجتلَوا وجه الحقيقة أبدعُوا
جلسُوا إلى المحبوب بالأدب الذى … رَبَّى الصَّحَابَ عليه مَنْ هم يشفعُوا
باعُوا فقُبل البيعُ عند رضائهم … صبروا على المكروهِ لم يتراجعُوا
ربطوا القُلوبَ بحب مَنْ خَلَقَ الورى … وصلوا حبالا عند خَلْقٍ تُقطَعُ
سمت النُّفوسُ فما دهاهُم عَارِضٌ … كسبوا السَّبَاقَ لَدى الحبيبِ تمتعُوا
دَيْدَانُهم فى الحب صبْرٌ دائمٌ … وهُمُو الجوارُ لمن بشيءٍ رُوِّعُوا
أهلُ التصوُّف لم تزل أحوالهُمْ … خيرًا لكل الناس، شرًا يدفعوا
غَوثًا لكل من استجار ببابهِمْ … فضلاً من الرحمن، حقًا يرفعوا

# تعريف الولاية

يتردَّد بين أوساط الشباب - مثقفيهم وعامتهم - سُوالٌ مبعثه:

١- إمَّا عدم الإحاطة الكاملة.

٢- أو اللبس الذى سيطر على العقول من تلك المظاهر المخالفة لآداب وتعاليم الدين من بعض المدعين والذين يلبسون رداء التصوف ..

٣- والغالب الانشغال بمتطلبات الحياة العاجلة والملحة ..

**والسؤال: مَن هم الأولياء؟**

وفى ضوء ما تقدم عن الأولياء والكرامات يبرز إلى الأذهان سؤالٌ، مُلِحٌّ يطرح نفسه على راغب المعرفة:

كيف نتعرف على الولى؟ ولعل الإجابة تأتى من خلال الصفحات التالية! .

* * *

أخفى الله تعالى أولياءه فى خلقه، فلا يطلعُ عليهم إلا مَنْ أراد أن يخصَّه بما خصهم به من سرِّه «**سبحانَ مَن لم يجعل الدليل على أوليائه إلا من حيث الدليل عليه، ولم يوصل إليهم إلا من أراد أن يوصله إليه**».

فالدليل هو الموصل للمطلوب، فإذا هداك الحق تعالى إلى ولى عارف به، ودلك عليه، فقد هداك إلى معرفته، ودلك عليه، فمهما دلك على وليه، وأطلعك على سرِّه، فقد دلك عليه قطعًا، ووصلك إلى حضرته سريعًا..

فلم يجعل الحق سبحانه الدلالة على أوليائه والوصول إليهم إلا من جهة الدلالة عليه، ولم يوصل أحداً إليهم إلا مَنْ أراد أن يوصله إليه، فمهما وصلك إلى عارف به وأطلعك عليه فقد وصلك إليه، ومهما حجبك عن العارفين به فقد حجبك عنه، فلا طريق إلى معرفة الله إلا من طريق معرفتهم، ولا دليل على الله إلا من حيث الدليل عليهم، وكما حجب الحق سبحانه وتعالى ذاته المقدسة بعزته وقهريته، كذلك حجب أولياءه بما أظهر عليهم من مظاهر البشرية، فلا يعرفهم إلا مَنْ سبقت له العناية الربانية..

«**فالخواص لا يعرفهم إلا الخواص**».

قال فى لطائف المنن:

« أهلُ الله من خاصة عباده هم عرائسُ الوجود ، والعرائس محجوبون عن المجرمين، فهم أهل كهف الإيواء، فقليل مَنْ يعرفهم » ..

وقال الشيخ أبو العباس المرسى رضي الله عنه:

« معرفةُ الولى أصعب من معرفة الله، فإن الله معروفٌ بكماله وجلاله وجماله، ومتى تعرف مخلوقًا مثلك يأكل كما تأكل ويشرب كما تشرب ».

« وإذا أراد أن يُعرفـك بولىٍّ من أوليائه، طـوى عنك شهـود بشريته، وأشهـدك وجود خصوصيته ».

ولا يُعرف الولى بالصورة الظاهرة وإنما يُعرف بالمعانى الباطنة، لأن الله لا يعبأ بالصور، قال ﷺ:

**«رُبَّ أشعثٍ أغبر ذى طمرين لو أقسم على الله لأبرَّه فى قسمه».**

فمن أراد معرفته بالصورة فلا يعرفه، لأنه لا يرى إلا بشراً يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق ، فالعين لا ترى إلا الأجسام الكثيفة التى يطرأ عليها ما يطرأ على أهل الحجاب، ولا يُدرك ما انطوتْ عليه الصورة من المعانى اللطيفة والأسرار المنيفة.

فمـن أراد الله سبحانـه سعادته، رزقه الاعتقاد والتصديق أولاً، ثم الهداية والتوفيق ثانيا ..

فالتصديق بأسرار الولاية أوَّلُ المعرفة ..

لذلك قال شيخنا أبو الحسن الشاذلى رضي الله عنه :

« التصديق بطريقتنا هذه، ولاية ».

وقال بعضهم:

١- لله رجال لا يعرفهم إلا الخاصة.

٢- ولله رجال يعرفهم الخاصة والعامة.

٣- ولله رجال لا يعرفهم لا الخاصة ولا العامة.

٤- ولله رجال أظهرهم فى البداية وسترهم فى النهاية.

٥- ولله رجال سترهم فى البداية وأظهرهم فى النهاية.

٦- ولله رجال لا يعرفهم سواه، ولا يطلع على ما بينه وبينهم إلا الحفظة الكرام الذين وُكِّلُوا بحفظ السرائر.

٧- ولله رجالٌ اختص الله بمعرفتهم، لا يظهر حقيقة ما بينه وبينهم إلا الحفظة ومن سواهم حتى يلقونه.

أ- فهم شهداء الملكوت الأعلى.

ب- وهم المقربون.

جـ- وهم الذين يتولى الله قبض أرواحهم بيده.

د - وهم الذين طابت أجسامهم من طيب أرواحهم، فلما يعدو عليهم الثرى حتى يبعثوا مشرقين بأنوار البقاء المجعول فيهم ببقاء الأبد مع الواحد الأحد.

هـ- وهم المختفون تحت حجاب الأنس، المغموسون فى بحار المحبة والقدس، فليس لهم مع الله قرار ولا عن أنفسهم إخبار، تولى الله شأنهم.

قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ [المائدة: ٥٦]

فهذه الأسرار التى انطوت عليها أسرار الأولياء واحتجبت عن العامة هى أسرار الملكوت الغيبية ..

«ربما أطلعك على غيب ملكوته، وحجب عنك الاستشراف على أسرار العباد».

فالملكوت مبالغة فى الملك، هذا باعتبار اللغة، أما باعتبار اصطلاح الصوفية، فالعوالم ثلاثة:

مُلك، وملكوت، وجبروت ..

١- فالمُلك: ما يُدرك بالحس والوهم ..

٢- والملكوت: ما يُدرك بالعلم والفهم ..

٣- والجبروت: ما يُدرك بالبصيرة والمعرفة ..

وهذه العوالم محلها واحد، وهو الوجود الأصلى والفرعى وإنما تختلف التسمية، باختلاف النظرة، وتختلف النظرة باختلاف الترقى فى المعرفة ..

فالوجود عند المحققين من العارفين واحد:

١- قسم لطيف: غيب لم يدخل عالم التكوين.

٢- وقسم كثيف : دخل عالم التكوين.

فالأول يُسمَّى «عالم الغيب».

والثانى يُسمَّى «عالم الشهادة».

وما كان خفيًا فى عالم الغيب ظهر فى عالم الشهادة، فمن نظر إلى حس الأشياء الظاهر سماه «مُلكًا» ويسمى أيضًا عالم الحكمة وعالم الأشباح.

ومَنْ نظر إلى أسرار المعانى القائمة بالأوانى، وهى أسرار الذات القائمة بأنوار الصفات سماه «ملكوتًا».

ومن نظر إلى الأسرار الأزلية التى كانت حال الكنزية التى لم تدخل عالم التكوين، سماه «جبروتًا».

أو نقول: مَنْ نظر إلى الكثيف الذى دخل التكوين ورآه مشتملا بنفسه قائمًا بقدرة الله سُمى فى حقه «مُلكًا» وهو لأهل الحجاب من أهل الفرق ..

ومَنْ رآه نوراً فائضًا من النور اللطيف متصلاً به إلا أنه تكشف بالقدرة وتستَّر بالحكمة سماه «ملكوتًا».

وسمى اللطيف الباقى على أصله الذي لم يدخل عالم التكوين، الذى هو أول كل شىء، وآخر كل شىء، ومحيط بكل شىء، «جبروتًا».

فإن ضُمَّ الفرع إلى أصله، والكثيف إلى اللطيف سُمى الجميع «جبروتًا».

وهذه المعانى لا يفهمها إلا أهل الأذواق، بصحبة أهل الأذواق، وحَسْبُ من لم يبلغ لهذا المقام التسليم، وإلا وقع فى الإنكار على أولياء الله، بما لم يُحط به علمًا.

فربما كشف الله عنك الحجاب، وترقيت إلى الدخول مع الأحباب، فأخرجك من سجن رؤية الأكوان إلى شهود المكوِّن، ومن عالم الأشباح إلى عالم الأرواح فأطلعك على غيب ملكوته فأبصرت الكون كله نوراً فائضًا من بحر الجبروت، فألحقته بأصله، وفنيت عن شهود الملك الذى هو عالم الفرق بشهود المكلوت ..

وحجب عنك الاستشراف على أسرار العباد رحمة بك لأنك قد تحجب بذلك عن شهود الملكوت، فلا عبرة عند المحققين بمكاشفة أسرار العباد، فقد تكون عقوبة فى حق صاحبها، وقد يكونُ ذلك لمن لا استقامة له أصلاً، كالكهان والسحرة وغيرهم.

والغالب أن أهل شهود الملكوت يُحجبون عن مشاهدة أسرار العباد، لاشتغالهم بما هو أعظم وأحظى عند الله، وإنما تكون هذه المكاشفات عند العباد الزهاد، وأهل الرياضات

والمجاهدات، ولا تنكر أن تكون عند العارفين فقد تجتمع لهم المكاشفة والكشف: أى مكاشفة أسرار العباد، وكشف الحجاب عن الفؤاد، إلا أن الغالب هو استغراق الرُّوح فى شهود نُور الملكوت، دون الاستشراف إلى أسرار العباد، التى هى من عالم المُلك.

**«من اطلع على أسرار العباد، ولم يتخلق بالرحمة الالهية كان اطلاعه فتنة عليه، وسببًا لجر الوبال إليه».**

إن الاطلاع على أسرار العباد قبل التمكين فى الشهود والتعلُّق بأخلاق المَلك المعبُود، فتنة عظيمة وبليَّة ومُصيبة، وذلك لأنه قبل التمكين فى المعرفة قد يشتغل بذلك قلبه، ويتشوش خاطرُه ولُبُّه، فيفتره عن الشهود ويفتنه عن الرسوخ فى معرفة الملك الودُود.

وأيضًا ما دامت النفس حية، ولم يقع الغناءُ عنها، قد يعتقد بذلك المزية على الناس، فيدخله الكبر والعجبُ وهما أصل المعاصى، فكان اطلاعه حينئذ على أسرار العباد سببًا فى جر هذا الوبال، أى العقوبة إليه، وهو التكبُّر على الناس، واعتقاد المزية عليهم، وهو سببُ البُعد عن الله، بخلاف ما إذا تمكن فى معرفة الحق وتخلق بأخلاقه، وتحقق بمعانى صفاته وأسمائه، فإنه يكون على خلق الرحمن، فإذا اطلع على معاصى العباد ومساويهم رحمهم وسترهم وحَلُم عليهم ..

وقد قال المصطفى ﷺ :

**«الخلقُ عيالُ الله، وأقربكم إلى الله أرحمكم بعياله».**

وقال أيضًا ﷺ:

**«الراحمونَ يرحمهم الرحمن، ارحمُوا مَنْ فى الأرض يرحمكم مَنْ فى السماء».**

وفى الإشارات عن الله سبحانه:

**«عبدى .. إن استخلفتك شققت لك من الرحمانية شقًا فكنت أرحم من المرء بنفسه».**

وقد رُوى أن الخليل إبراهيم عليه السلام حدث نفسه أنه أكرمُ الخلق وأرحمهم، فرفعه الله حتى أشرف على أهل الأرض فأبصر أعمالهم وما يفعلون، فقال:

يا رب دمر عليهم ..

فقال له الله تعالى:

**« أنا أرحمُ بعبادى منك يا إبراهيم، فلعلهُم يتُوبونَ ويرجعون».**

وفى بعض التفاسير: أنه كان يعرُجُ كل ليلة إلى السماء .. وذلك قوله تعالى:
﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾[الأنعام:٧٥].

فعُرج به ذات ليلة، فاطلع على مذنب على فاحشة فقال: اللهم أهلكه، يأكل رزقك، ويمشى على أرضك، ويخالف أمرك .. فأهلكه الله تعالى ..

فاطلع على آخر .. فقال: اللهم أهلكه .. فنودى: **«كف عن عبادى رويداً رويداً فإنى طالما رأيتُهم عاصين».**

وفى رواية أخرى:

فأوحى الله إلى إبراهيم: **«أين رحمتك للخلق؟ أنا أرحمُ بعبادي منك، إما يتُوبُون فأتوبُ عليهم وإما أن أخرج من أصلابهم مَنْ يسبحنى ويقدسنى، وإما أن يُبعثوا فى مشيئتى فأعفو وأعاقب .. يا إبراهيم: كفر ذنبك فى دعوتك، بدم قربان».**

فنحر إبراهيم إبلاً .. فنُودى فى الليلة الثانية: (كفر ذنبك بدم) .. فنحر بقراً ..

فقيل له فى الثالثة: فذبح غنمًا.

فقيل له فى الرابعة كذلك: فقرب من الأنعام إلى الله ما بقى عنده ..

فقيل له فى الخامسة: فقال: يا رب لم يبق عندى شيء فقيل له: إنما تكفيرُ ذلك بذبح ولدك، لأنك دعوت على العُصاة فهلكوا ..

فلما شمر لذلك وأخذ السكين بيده قال:

اللهم هذا ولدى وثمرة فؤادى وأحب الناس إلى فسمع هاتفًا يقول:

(أما تذكر الليلة التى سألت إهلاك عبادى؟ أو ما تعلم أننى رحيم بعبادى، كما أنت شفوق بولدك؟ فإذا سألتنى إهلاك عبادى، سألتك ذبح ولدك، واحداً واحداً والبادى أظلم).

ولما كان الاطلاع على أسرار العباد، قد يُدرك بكثرة الطاعات والاجتهاد .. فقد تقصد النفس بالطاعة هذا الحظ الدنى، وهو مرضُ خفى.

**«حفظ النفس فى المعصية ظاهر جلى، وحفظُها فى الطاعة باطن خفى، ومداواة ما خفى صعب علاجه».**

إن حظ النفس فى المعصية هى متعة البشرية الظاهرة كلذة الأكل والشرب وسماع اللهو وغير ذلك مما هو من أذواق الحس التى هى محرمة، وحظها فى الطاعة من طلب الكرامات، وخوارق العادات والاطلاع على المغيبات وكحُب الخُصوصية والمنزلة عند الناس..

ومُداواة هذا المرض الخفى أصعب من مُداواة الجلى وكذلك المعنوى فى الباطن..

وما كان جليًا متعلقًا بالنفس أصعب مما كان خفيًا متعلقًا بالروح..

١- فالأول يمكن دواؤه بالعُزلة والفرار من مواطن الأشرار، وبصُحبة الأخيار، وبكثرة الطاعة والأذكار.

٢- أما الثانى فهو بخلاف الأول فلا تزيدُه الطاعة إلا كثرة وقوة، إذْ بها صارت تطلبُ حظها، فلا يداويها من هذا إلا خوفٌ مُزعج، أو شوق مُقلق، أو ولى عارف مُحقق، يصحبه بالمحبة والتصديق.

قال بعضهم: «مَنْ عسُرتْ عليه نفسه فليسلمها إلى شيخ التربية».

قال تعالى:

﴿ وإن تعاسرتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَىٰ ﴾[الطلاق: ٦].

فإن عُسرتْ عليكم أنفسكم فستُرضع له نفسه نفسًا أخرى حتى يكمل أوان فطامها.. فإن لم يكن واحداً من هذه، مات وهو سقيم، وإنْ لم يلق الله بقلبٍ سليم.

فالواجبُ على العبد اتهام نفسه، ومراقبة قلبه فإذا استحلت النفسُ شيئًا من الطاعات وألفتْه، أخرجها إلى غيرها، ولو كانت مفضولة فى ظاهر أمرها وسيأتى للشيخ:

إذا التبس عليك أمران: انظر أثقلهما على النفس، فإنه لا يُثقل عليها إلا ما كان حقًا. قال أحدهم:

«حججْتُ كذا وكذا حجة عن التجريد، فبان لى أن جميع ذلك كان مشوبًا، وذلك أن والدتى سألتنى يومًا أن أسقى لها جرة ماء، فثقُل على ذلك.. فعلمت أن مطاوعة نفسى فى الحج كان لحظٍّ مشوب.. إذ لو كانت نفسى فانية لم يصعُب عليها ما هو حق فى الشرع».

وقال الجنيد رضي الله عنه:

«ضاقت على نفسى ليلة، حتى لم أطق الصَّبر، فخرجتُ ذاهبًا على وجهى، فانتهيت إلى رجُلٍ مطروحٍ فى المقابر مُغطى الرأَس.. فلما أحسَّ بى قال: أبا القاسم؟.. قلت: نعم..

قال: متى يصيرُ داءُ النفس دواءها ؟

فقُلتُ: إذا خالفت هواها ..

فقال لنفســه: اسمعى .. فقــد أجبتك بهــذا مراراً وأنتِ تقُولين حتى أسمـع ذلك من الجنيد ..

قال الجنيدُ: فانصرفت وأنا لا أعرفه ..

**« ربما دخل الرياءُ عليك من حيث لا ينظر الخلقَ إليك ».**

الرِّياء، هو طلبُ المنزلة عند الناس ، وقصد ذلك بعمل صالح، سواء كان هذا العملُ ظاهراً للناس وهو الغالب، أو خفيًا عنهم.

فقد يكونُ الرياءُ فى العمل الخفى، فيدخُل الرياءُ عليك حيث لا ينظر أحد إليك، وهذا أصعبُ من الأول لأنه أخفى من دبيب النمل، كما فى الحديث.

وكان بعض العارفين يقول:

« اجتهدُ فى إزالة الرياء من قلبى بكل حيلة، فما أزلتُه من جهة حتى نبت من أخرى من حيث لا أظنه ».

وقال بعضهم:

« من أعظم الرياء، من رأى العطاءَ والمنع والضرر والنفع من الخلق ».

وقال بعضهم:

« أقسامُ الرياء ثلاثة، كلها علة فى الدين:

١- أن يقصد بعمله الخلق ولولاهم لم يعمل « وهو أعظمهم ».

٢- أن يعمل للمدحة والثناء ولو لم يعلمه الناس.

٣- أن يعمل لله، ويرجوُ عن عمله الثواب ورفع العقاب .. وهذا النوعُ جيدٌ من وجه، ومعلولٌ من وجه:

أ- عند العارفين رياء.

ب- وعند عامة المسلمين إخلاص.

وقد قيل فى قوله تعالى:

﴿ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾[فاطر:١٠].

هو السالمُ من الرياء ظاهراً وباطنًا، بحيث لا يريد عاملُه حظًا دُنيويًا ولا أخرويًا.

وللمُرائى علامات لا تخفى: منها نشاطه فى الجلوة وكسله فى الخلوة، أو إتقان العمل حيث يراه الناس.

- ومنها التماسه بقلبه توقير الناس له وتعظيمه ومسارعتهم إلى قضاء حوائجه.

وإذا قصَّر أحد فى حقه الذى يستحقه عند نفسه استبعد ذلك واستنكره، ويجد تفرقة بين إكرامه وإكرام غيره، وإهانته وإهانة غيره من أقرانه .. حتى ربما يُظهر بعض سخفاء العقول ذلك على ألسنتهم فيتوعدون من قصر فى حقهم بمُعاجلة الله لهم بالعقوبة، وإن الله تعالى لا يدعهم حتى ينتصر لهم ويأخذ ثأرهم، فإن وجد الفقير هذه الأمارات فى نفسه فليعلم أنه مُراءٍ بعمله وإن أخفاهُ عن أعين الناس.

وقد رُوى عن على كرم الله وجهه:

**« إن الله تعالى يقول للفقراء يوم القيامة:**

**- ألم تكونوا ترخُصُ عليكم الأسعار؟**

**- ألم تكونوا تبادرون بالسلام؟**

**- ألم تكونوا تقضى لكم الحوائج؟ »**

وعن عبد الله بن المبارك قال:

رُوى عن وهب بن مُنبِّه رضي الله عنه:

أنَّ رجلاً من العُبَّاد قال لأصحابه:

إنا إنما فارقنا الأموال والأولاد مخافة الطغيان فنخافُ أن يكون قد دخل علينا فى أمرنا هذا من الطغيان أكثر مما دخل على أهل الأموال فى أموالهم، إنَّ أحدنا إذا لُقى أحب أن يُعظم لمكان دينه، وإن سَأل حاجة أحب أن تُعطى له لمكان دينه، وإن اشترى شيئًا أحب أن يُرخص له لمكان دينه، فبلغ ذلك ملكهم، فركب فى موكب من الناس فإذا السّهلُ والجبلُ قد امتلأ من الناس ..

فقال السائح: ما هذا ؟

فقال للغُلام: ائتنى بطعام .. فأتاه ببقْلٍ وزيتٍ، وقلُوب الشجرة ، فأقبل يحشوُ شدقه ويأكُلُ، أكلاً عنيفًا ، فقال الملك: أين صاحبكم؟ قالُوا: هذا ..

قالُوا له: كيف أنت؟ قال: كالناس .

وسمع مالك بن دينار امرأة تقول له: يا مُراءٍ..

فقال: يا هذه، وجدتُ اسمى الذى أضله أهل البصرة، إلى غير هذا مما رُوى عنهم فى هذا المعنى ولا يسلمُ من الرياء الجلى والخفى إلا العارفُون الموحدون، لأن الله تعالى طهرهم من دقائق الشرك، وغُيب عن نظرهم رؤية الخلق، بما أشرق على قلوبهم من أنوار اليقين والمعرفة، فلم يرجُوا منهم حصول مغنمة أو منفعة، ولم يخافوا منهم وُجُود مضرة، فأعمال هؤلاء خالصة وإن عملُوها بين أظهر الناس .. ومن لم يحظ بهذا، وشاهد الخلق وتوقع منهم حُصول المنافع ودفع المضار فهو مُراءٍ بعمله، وإنْ عَبَد الله فى قمة جبل ..

قال الشيخ ابن عباد رضي الله عنه:

ومن علامات الرياء الخفية أيضًا استشرافُ العبد وتطلعه أن يعلم الناسُ بخصوصيته ..

«استشرافُك أن يعلم الخَلقُ بخصوصيتك دليل على عدم صدقك فى عبُوديتك».

إذا خَصَّك الله تعالى أيها الفقير بخصوصية من خصوصية خواصه، كزُهدٍ، أو ورع، أو رضى، أو تسليم، أو محبة، أو يقين فى القلب، أو معرفة .. أو أظهر على يديك كرامة حسية أو معنوية .. أو استخرجت فكرتك حكمًا أو مواهب كسْبية أو لدُنية .. ثم استشرفت، أو تطلعت وتمنيت أن يعلم الخلق بخصوصيتك بأن يطلعُوا على تلك الخصوصية التى خصك الله بها، فذلك دليل على وجود الرياء الخفى فى باطنك، ودليل على عدم صدقك فى عبوديتك، لاكتفيت بعلم الله وقنعت بمراقبته إياك، واستغنيت به عن رؤية غيره.

فالواجب على الفقير إذا خصه الله بخصوصية .. كتمها وجحدها وسترها إلا عن شيخه ..

فإن أظهرها فهو على خطر ..

١- قد يكونُ تحدُّثًا. ٢- وقد يكونُ تبجُّحًا.

وفى الكتمان السلامة ..

وكان بعض الناس إذا سُئل: ما أدركتم، وما ذُقتُم فى هذا الطريق؟

يقول: البرد والجوُع ..

وقد قال سيدنا عيسى عليه السلام:

« إذا كان يومُ صوم أحدكم، فليدهن لحيته، ويمسح شفتيه، فإذا خرج إلى الناس رأوا أنه لم يصُم وإذا أعطى أحداً فليعُط بيمينه ويخفيها عن شماله، وإذا صلى أحدُكم، فليُسدل عليه ستر بابه، فإن الله يُقسِّمُ الثناء كما يُقسِّم الرزق.

وقد قال أحد العارفين:

« كُل مَنْ لم يقنع فى أفعاله وأقواله بسمع الله ونظره، دخل عليه الرياء لا محالة ».

وقال بعضُهم: « ما أخلص عبد قط، إلا أحب أن يكون فى جُب لا يُعرف، ولهذا كان إسقاطُ المنزلة شرطًا فى هذا الطريق، فإنْ تحقق العبدُ بالمعرفة ومشاهدة الوحدانية، جَازَ له الإخبار بالوحدانية بأعماله والإظهار لمحاسن أحواله، بناءً منه على نفى الغير وأداء الواجب من الشكر ».

وكان بعضُ السَّلف يصيح: « صليت كذا وكذا ركعة، وتلوت كذا وكذا سورة » فيقال له: أما تخشى من الرياء؟

فيقول: ويحكم، وهل رأيتم من يرائى بفعل غيره؟

والحاصل: مَنْ فنى عن نفسه، وتحقق بشهود ربه فلا كلام عليه، وقد قالوا:

« مَنْ أحبَّ الخفاء فهو عبدُ الخفاء ..

ومَنْ أحبَّ الظهور فهو عبد الظهور ..

ومَنْ لم يُرد غير ما أراد الله، فهو عبدُ الله حقًا ».

« غيب نظر الخلق إليك، بنظر الله إليك ..

وغيب عن إقبالهم عليك، بشهود إقباله عليك ..

الخلْقُ فى التحقيق عدمٌ ..

والوُجود إنما هو الله الواحد الأحد ..

فوجود السِّوى:

- كالهباء فى الهواء.

- أو كظلال الأشخاص، إن فتَّشتهُ لم تجده شيئًا.

فغيِّب أيها الفقير نظر الخلق إليك اكتفاء بنظر الحق إليك .. إذ لا نظر لسواه.

وغيِّب عن إقبالهم عليك بالتعظيم والتكريم بشهود إقبال الملك الكريم ..

فغيب عن الوهم بثبوت العلم.

فإقبالك على الخلق إدبارك عن الحق، وإدبارك عن الخلق إقبالك على الحق.. وهُما لا يجتمعان ..

وفى وصيته ﷺ لابن عباس رضى الله عنهما :

**«احفظ الله يحفظك .. احفظ الله تجده تجاهك .. إذا سألت فاسأل الله .. وإذا استعنت فاستعن بالله .. واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك .. ولو اجتمعوا على أن يضروك بشىء لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك .. جفت الأقلامُ، وطُويت الصُحُف».**

قال الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضي الله عنه :

« أيسْتُ من نفع نفسى لنفسى، فكيف لا أيأسُ من نفع غيرى لها، ورجوتُ الله لغيرى، فكيف لا أرجوهُ لنفسى ؟

وقال فى « لطائف المنن »:

« اعلم بأن مبنى الولىِّ على الاكتفاء بالله، والقناعة بعلمه، والاعتناء بشهوده ».

قال تعالى:

﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ [الطلاق :٣].

وقال:

﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ﴾ [العلق :١٤].

وقال:

﴿ أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت :٥٣].

فسبيل أمرهم فى بدايتهم:

١ - الفرارُ من الخلق.

٢ - الانفرادُ بالملك الحق.

٣ - إخفاء الأعمال.

٤ - كتمُ الأحوال.

تحقيقًا لغنائهم .. وتثبيتًا لزُهدهم، وعملاً على سلامة قلوبهم ..

حتى إذا تمكن اليقين، وأيِّدوا بالرسُوخ والتمكين وتحققُوا بتحقيق الفناء، وردُوا إلى وجود البقاء .. فهناك: إن شاء الحقُ أظهرهم هادين إليه عباده .. وإن شاء سترهم فاقتطعهم عن كل شيء إليه.

قال سهل بن عبد الله:

«لا ينالُ العبدُ حقيقةً من هذا الأمر حتى يكون قد تحقق بأحد وصفين:

١- حتى يُسقط الناس من عينه .. فلا يرى فى الدارين إلا هو خالقه ..

فإن أحداً لا يقدر أن يضُره ولا ينفعه ..

٢- أن تسقط نفسه من قلبه، فلا يُبالى بأى حالٍ يرونه ..

ويكونُ شأنهم مع الله كقول القائل:

فليتــك تحلُو والحياةُ مريـرةٌ

وليتك ترضى والأنام غِضـــابُ

وليت الذى بينى وبينــك عامرٌ

وبينى وبيـــن العالمـينَ خـرابُ

وليت شرابى مـن ودادك صافيًا

وشُربى من مـاءِ المعينِ ســرابُ

إنْ صحَّ منك الود فالكُلُّ هينٌ

وكلُّ الـــذى فوق التراب تُرابُ

فرضى الخلق غاية لا تُدرك .. ولننظر قضية لقمان مع ابنه، وهى مشهورة ..

يتبين لنا أن:

١- رضى الخلق مُحالٌ أو متعذَّر.

٢- أجهلُ الناس مَنْ طلب ما لا يُدرك.

وقال بعضهم:

«مالي وللناس .. كنتُ في بطن أمي وحدى .. وخرجتُ إلى الدنيا وحدى ..

وأموتُ وحدى .. وأدخُلُ قبرى وحدى..

وأسألُ وحدى .. وأبعثُ من قبرى وحدى..

وأحاسبُ وحدى ..

فإن دخلتُ الجنَّة .. دخلْتُ وحدى .. وإن دخلْتُ النّارَ .. دخلْتُ وحدى ..

ففى هذه المواطن لا ينفعنى أحد .. فمالى وللناس ..

**والفرق بين الفانى والعارف:**

١- أن العارف يُثبت الأشياء بالله ..

والفانى لا يثبت شيئًا سوى الله ..

٢- والعارفُ يُقرر القدرة والحكمة ..

والفانى لا يرى إلا القُدرة ..

٣- العارف يرى الحق فى الخلق ..

«ما رأيت شيئًا إلا رأيت الله فيه».

والفانى لا يرى إلا الحق ..

«ما رأيتُ شيئًا إلا رأيتُ الله قبله».

٤- العارفُ فى مقام البقاء ..

والفانى مجذوب فى مقام الفَنَاء.

٥- والعارف متمكن واصل .. والفانى سائر.

ومَنْ أحب الله لم يؤثر عليه شيئًا من حظوظه ونفسه، ولو كان فيه حتف نفسه وأنفه.

والكلامُ فى المحبة طويل ..

فأوَّلُ ما يقذف الله فى قلبِ عبده الذى يريدُ أن يصطفيه لحضرته ويُعرفه به: محبتُه.

فلا يزال يلهجُ بذكره.

ويُتعب جوارحه فى خدمته.

ويتعطش إلى معرفته.

فلم يزل يتقرب إليه بالنوافل فيحبه الحق.

فإذا أحبهُ أفناه عن نفسه.

وغيبه عن حسه:

- فكان سمعه وبصره.

- ويده وجُملته.

ثم رده إليه وأبقاه به.

فعرفه فى كل شىء.

ورآه قائمًا بكل شىء، ظاهراً فى كل شىء.

ولما كانت المعرفة تقتضى ظهور الحق فى كل شىء حتى تراه ظاهراً فى كل شىء بين وجه احتجابه وخفائه.

**«إنما حَجَب الحقَ عنك شدة قربه منك، وإنما احتجب لشدةِ ظهوره، وخفى عن الأبصار لعظيم نوره».**

وقد ذُكر فى حكمة خفائه تعالى مع شدة ظهوره ثلاث حكم:

١- شدة القرب ..

قال الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضي الله عنه:

«حقيقة القُرب أن تغيب فى القُرب عن القُرب لعظيم القُرب، كمن يشمُ رائحة المسك، فلا يزال يدنُو، وكلما دنا منها تزايد ريحُها، فلما دخل البيت الذى فيه المسك انقطعت رائحته».

٢- فى خفائه تعالى بشدة ظهوره ..

٣- شدة نوره جل شأنه.

ولله دَر القائل:

**ويظهـرُ فى الهـوى عـز المـوالى**

**فـلـيزمُـنى لـهُ ذُل العبيـد**

والمقصود هنا بعز الموالى «الستر» لأنه لو انتهك الحجاب لتفطرت الألباب ..

وحاصلُها ثلاثة أمور:

١- تُلازُم الدلالة على أولياء الله، الدلالة على الله، بحيث لا ينفك أحدهما عن الآخر في الغالب.

٢- تفسير أسرار الولاية ..

وهى الاطلاع على أسرار غيب الملكوت دون اشتراط الاطلاع على أسرار العباد، لأن ذلك قد يكون فتنة في حقه، وسببًا فى عقوبته، إذا لم يتمكن من معرفته مع ما فيه من حظ النفس، فربما تقصده بطاعتها فيكون رياء فى حقها، وهو من الأمراض الباطنية التى يصعُب علاجها كالاستشراف إلى اطلاع الناس على خصوصيته، ودواؤه الغيبة عنهم، والاكتفاء بنظر الله عن نظر غيره.

٣- علامة وجود هذه الأسرار فى العارف وهى:

- شهودُ الحق فى كل شىء.
- وفناؤه عن كل شىء.
- وإيثار محبته على كل شىء.

قيل لبعضهم: ما تشتهى؟ قال: ما يقضى الله.

قال ذو النون المصرى رضي الله عنه:

«التوحيد أن يعلم أن قدرة الله فى الأشياء بلا علاج، وصنعه لها بلا مزاج، وعلة كل شىء صُنعه، ولا علة لصنعه، وليس فى السموات العُلى ولا فى الأرضين السُّفلى مدبر غير الله .. وما يخطُرُ ببالك فالله بخلاف ذلك».

# أوليـــاءُ اللــه

يقول الله عز وجل فى سورة «يونس» الآيات ٦٢، ٦٣، ٦٤:

﴿ أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ ﴾.

أولياءُ الله هم الذين والَوا ربَّهم بالطاعة، ووالاهم ربُّهم بالمعُونة والتوفيق.. عرفوا الله حق المعرفة، فعبدُوه حق العبادة، عرفوه علمًا ففازوا بعلم اليقين، ثم أطلعهم على أسراره فشاهدوا بعيون قلوبهم ما لم يشهده غيرهم من العباد، ففازوا بالمشاهدة القلبية، فذلك عين اليقين، ثم تدرجوا فى مقامات الكمال فآمنوا واطمأنوا وخشوا الله حقا، فذلك حق اليقين..

وذلك قوله تعالى فى سورة «فاطر» آية (٢٨):

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾.

فهم الذين هابوا وخشوا الله فى السر والعلانية وذلك بتأثير علمهم، بعكس الجُهال من الكفار والمشركين الذين لن يدركوا ما أدركه هؤلاء فتخبطوا فى الباطل وخفى عليهم الحق فأنكروه.

وقد عرفهم الله عز وجل فى الآية (٦٣) من سورة «يونس»، بأنهم ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾.

فلا ولاية من غير المؤمنين، ولا ولاية لأحدٍ من غير المتقين. فالإيمان والتقوى سمتان من أهم سمات أولياء الله الصالحين، عرفوا فآمنوا، فاتقوا، ثم أحسنوا..

وقد استحقوا من الرحمن جائزتين عظيمتين إحداهما فى الدنيا والثانية فى الآخرة، أما فى الدنيا فلهم النصر ولهم الرفعة، ولهم الإمارة

فقد قال الحق سبحانه فى الحديث القدسى:

«مَنْ عادى لى وليًا فقد آذنته بالحرب»..

كما منَّ عليهم سبحانه وتعالى بالكرامات، وهى لهم بديل عن معجزات الرُّسل السابقين، ثبَّت بها قلوبهم وثبت بها قلوب الآخرين.

والولى الحقيقى هو الذى يُقيم الشرع ويحكم بكتاب الله ويتبع سُنة النبى ﷺ دون ابتداع، ويتحلى بمكارم الأخلاق ..

وقد قيل فى تعريف الولى:

« أنهُ مَنْ سلك الطريق ثم عاد ، ليخبر الخَلْق بما استفاد » والولى لا بُد أن يكون ذا بصيرة نافذة، وعزيمة قوية، ولا يخشى فى الله لومة لائم ..

أما البشرى له فى الآخرة، فرضوان الله وسُكنى الجنان، والعيش فى رحاب الله وحفظه فى أمان، ومرافقة النبى المصطفى ﷺ، والنظر إلى وجهه الكريم، وعند الحشر يكون حاملاً لواء من ألوية الشفاعة يندرج خلفه أتباعه ومريدوه.

وذلك قوله تعالى فى سورة الإسراء آية (٧١):

﴿ يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ ﴾.

وفى الآية (٦٤) من سورة يونس أيضًا يُقرر الله سبحانه وتعالى هذا الفضل لهم بالبشرى فى الحياة الدُنيا وفى الآخرة، فيقولُ جل شأنه:

﴿ .. لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾.

وهذا تأكيد لما يكافؤهم به الله تعالى، وأن ذلك لهم فوزٌ عظيمٌ لا تعادله جائزة أو مكافأة أخرى، لأن العطاء والمنح من الله تعالى وهم الذين يُحدثون عن الله وقد آتاهم الله رحمة من عنده وعلمهم من لدُنه علمًا، هو علمُ الصُدور الذى لا يوجد له مثيل فى علم السُّطور وهم بذلك مُلْهمُون بفضل الله مصيبون فى أقوالهم وأفعالهم لأنهم يشهدون الفضل من الله، نطقُوا بالحكمة، وتكلموا بالله، فكان قولهم صوابًا دائمًا، ومسدداً وموفقًا ..

قال عنهم رسول الله ﷺ:

**«لقد كان فيمن كان قبلكم من الأمم ناس مُلهمُون، فإنْ يكُ فى أُمتى أحدٌ، فإنه عمر».**

قال رجُلٌ: يا رسول الله، مَنْ أولياءُ الله؟.

قال ﷺ: **«الذين إذا رُؤوا ذُكر الله».**

وأولياء الله، هم أتقياء الأمة، أنقياء السرائر، أصفياء القُلوب هم أهل حُب الله ورسوله ﷺ، يقودون ركب المتحابين فى الله ويحرسونهم من أذى النفس والشيطان، ويربونهم على الحب الخالص فى الله، هؤلاء الذين قال فيهم رسولُ الله ﷺ:

**«لله رجال ليسُوا بأنبياء ولا مرسلين ولا شهداء، يغبطهم هؤلاء يوم القيامة لقُرب مكانتهم من الله تعالى .. قوم تحابوا فى الله على غير أرحام بينهم ولا تجارة يتعاطونها، تالله إن وجوههم لنورٌ وإنهم لعلى منابر من نور، لا يفزعون إذا فزع الناس».**

ويقول قائلهم فى وصف العارفين بالله:

**قلوبُ العارفينَ لها عيونٌ ... تـرى ما لا يُرى للناظرينا**

**والسنـةٌ بأسـرار تُناجى ... تغيبُ عن الكرامِ الكاتبينا**

**وأجنحةٌ تطيرُ بغير ريشٍ ... إلى ملكوتِ ربِ العالمينا**

ولا بُد للعبد أن يؤثر ما أحبه الله على ما تؤثره نفسه، فيحب ما أحبه الله، ويبغض ما أبغضه الله، ويوالى فى الله، ويعادى فيه وذلك إذا رغب فى الوصول إلى ولاية الله[1].

وما يظنه كثيرٌ من العوام من أن ولى الله هو مَنْ طار فى الهواء أو مشى فوق الماء، أو فعل خوارق العادات، فهمٌ باطلٌ لمعنى ولاية الله.

فالولى لله من عباده من آمن به وتقرب إليه بالصالحات، ووافقه فيما يحبه، وفيما يكرهه، فوالى مَنْ يُوالى، وعادى من يعادى، وأحب من أحب، فكان بذلك عبده ووليه، فإن أكرمه الله بكراماتٍ، من استجابة دعوة، أو كشف كُربة أو رفع بليَّة، كان ذلك بشرى له فى الدنيا.

فلا أساس لما يظنه كثير من العوام فى معنى الولى، ولا يؤيده الشرع، بل إن من العجب أن المجنون الذى رفع القلم عنه والذى اتفق الفقهاء على أنه لا تصح منه عبادة ولا معاملة فى بيع وشراء وغيره، يظُن الكثير من العوام أنه ولى لله، فإذا مات رُبما أقاموا عليه ضريحًا وأطلقوا عليه «الولى الصالح».

كذلك من المفاهيم الخاطئة للولى: هو أن بعض الناس لا يؤدون الفرائض ولا يجتنبُون المحارم، بل قد يفعلون ما يُغضبُ الله، ومع ذلك نجدُ أن كثيراً من عوام الناس، يجعلون منه وليًا لله، وهو فى الحقيقة من أعداء الله.

صحيحٌ، ليس من شرط الولى أن يكون معصومًا، بل يجوز عليه أن يخفى عليه بعض عُلوم الشرع، ولكن ذلك لا يعنى أنه - أى الولى - يكون مُنافقًا أو مجنونًا.

---

(١) الأولياء: للحافظ بن أبى الدُّنيا.

أما كرامات الأولياء فقد تكون بحسب حاجة الرجل، فإذا احتاج إليها ضعيف الإيمان أو المحتاج، أتاه ما يُقوى إيمانه، ويُسد حاجته، ويكون مَنْ هو أكمل ولاية لله منه مستغنيًا عن ذلك، فلا يأتيه مثلُ ذلك لعُلو درجته، وغناهُ عنها، لا لنقص ولايته، ولهذا كانت هذه الأمور فى التابعين أكثر منها فى الصحابة بخلاف من يجرى على يديه الخوارق، لهَدْى الخَلْق، ولحاجتهم، فهؤلاء أعم درجة عند الله.

**ومن أهم الصفات اللازم توافرها فى الولى:**

١- لا بد له من الإيمان الصحيح الخلى من الشركيات والخرافات، والالتزام بالتقوى بالقيام بفعل المأمورات، وترك المنهيات.

٢- لا بد له أن يتحرى أحواله حتى يصير من أولياء الله.

٣- أولياء الله يتفاضلون بالإيمان والتقوى، فلا بد للولى منهما معًا.

٤- أولياء الله - من غير الأنبياء والمرسلين - لا عصمة لهم، على أن الغالب عليهم البُعد عما حرم الله، والقيام بما يرضى عنه.

٥- لزم للناس أن يصححوا مفاهيمهم عن الولى.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن المصطفى ﷺ عن جبريل عليه السلام، عن رب العزة جل شأنه، قال:

**«مَنْ أهان لى وليًا فقد بارزنى بالمُحاربة، وما ترددت فى شىء أنا فاعله ما ترددتُ فى قبض نفس المؤمن، لأنه يكره الموت، وأنا أكرهُ مساءته، ولا بد له منه، وإن من عبادى المؤمنين مَنْ يريدُ بابًا من العلم فأكفه عنه حتى لا يدخله عُجبٌ فيفسد لذلك، وما تقرب إلى عبدى بمثل أداء ما افترضته عليه، وما يزال عبدى يتنفل لى حتى أحبه، فإذا أحببته كنت له سمعًا وبصرًا ويدًا ومؤيدًا، دعانى فأجبته، وسألنى فأعطيته، ونصح لى فنصحت له، وإن من عبادى المؤمنين لمن لا يُصلحُ إيمانه إلا الغنى، ولو أفقرته لأفسده ذلك، وإن من عبادى المؤمنين لمن لا يُصلحُ إيمانه، إلا الفقر ولو بسطت له لأفسده ذلك، وإن من عبادى المؤمنين من لا يُصلح إيمانه إلا الصحة، ولو أسقمته لأفسده ذلك، وإن من عبادى المؤمنين مَنْ لا يُصلحُ إيمانه إلا السقم، ولو أصححته لأفسدهُ ذلك ..**

**إنى أُدبِّر أمر عبادى بعلمى، إنى عليم خبير».**

- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

« إنَّ اليسير من الرياء شرك، وإن الله يُحب الأتقياء الأخفياء الأبرياء الذين إنْ غابوا لم يُفقدُوا، وإنْ حضروا لم يُعرفوا، قلوبُهُم مصابيح الهُدى يخرجون من كل غَبْرَاء مُظْلمة ».

- عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال:

**«ثلاثٌ مَـنْ كن فيـه استحـق ولايـة اللـه وطاعتـه، حلـمٌ أصيلٌ يـدفـع سفـه السفيـه عن نفســه، وورعٌ صادقٌ يحجزه عن معاصى الله، وخُلُقٌ حسنٌ يدارى به الناس».**

- قال الله تعالى فى الحديث القُدسى:

**«إن أحب عبادى إلى الذين يتحابون من أجلى، الذين يعمرون مساجدى، ويستغفرون فى الأسحار، أولئك الذين إذا أردت أهل الأرض بعقوبة أو بعذابٍ ثم ذكرتهم صرفتُ عقوبتى عنهم من أجلهم».**

والولى فى الفقه هو «القريب[1]»، فإذا كان العبدُ قريبًا من حضـرة الله بسبب كثرة طاعاتـه وكثـرة إخلاصه، وكان الربُّ قريبًا منه برحمته وفضله وإحسانه فهناك حصلتْ الولاية.

وللأولياء كرامات، ومما يدل على جوازها:

القُرآن، والأخبار، والآثار، والمعقول ..

أما القرآن فالمعتمد عنها فيه آيات.

الحُجة الأولى: قصة مريم عليها السلام، وقد وردت آياتها فى سورة آل عمران.

والحُجة الثانية: قصة أصحاب الكهف وبقاؤهم فى النوم أحياء سالمين من الآفات مدة ثلاثمائة سنة وتسع سنين، وأن الله سبحانه وتعالى كان يعصمهم من حر الشمس.

أما الأخبار، فهى كثيرة:

١ - ما أُخرج فى الصحيحين عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال:

**«لـم يتكلـم فى المهـد إلا ثلاثـة: عيسـى ابن مريـم، وصَـاحِبُ جُرَيْج، وكَانَ جرَيْج رجُلا عابدا، فاتخذ صومعة فكان فيها، فأتته أمه وهو يُصلى فقالت:**

(١) جامع كرامات الأولياء: ليوسف ابن إسماعيل النبهان.

يا جُريجُ، فقال: يا ربِّ أُمّي وصلاتي فأقبل على صلاته فانصرفت فلمَّا كانَ من الغد أتتهُ وهو يُصلي، فقالتْ: يا جُريجُ، فقال: أي ربِّ أمّي وصلاتي. فأقبل على صلاتِهِ، فلمَّا كان من الغد أتتهُ وَهُوَ يُصلي فقالت: يَا جُرَيْجُ، فقال: أي رَبِّ أمّي وَصَلاتي، فأقبل على صلاتِهِ، فقالتْ، اللهُمَّ لا تُمته حتى ينظر إلى وجُوهِ المومسات، فتذاكر بنُو إسرائيل جُريجًا وعبادته، وكانت امرأةٌ بغيٌّ يُتمثَّل بحُسنها، فقالت: إن شئتُمْ لأفتننهُ، فتعرضت لهُ، فلم يلتفتْ إليها، فأتتْ راعيًا كان يأوي إلى صومعته، فأمكنته من نفسها فوقع عليها. فحملتْ، فلمَّا ولدت قالتْ: هُوَ من جُريج، فأتوهُ فاستنزلوهُ وهدَمُوا صومعتَه، وجعلُوا يضربُونه، فقال: ما شَأنُكُم؟ قالوا: زنيتَ بهذهِ البغيِّ فَولَدَتْ منك. قال: أينَ الصبي؟ فجاءوا به فقال: دَعُوني حتَّى أصلي فصلىَّ، فلما انصَرَفَ أتَى الصبي فطعن في بطنه وقال: يا غلام من أبوك؟ قال: فلان الراعي، فأقبلوا على جُريج يُقبلُونهُ ويتمسَّحُون به وقالُوا: نبني لك صومعتك من ذَهب، قال: لا، أعيدُوها من طين كما كانتْ، ففعلُوا. وبَيْنَا صبي يرضعُ منْ أُمه، فَمَرَّ رَجُلٌ راكِبٌ على دابَّةٍ فارِهَةٍ وشارةٍ حسَنَةٍ، فقالت أمه: اللهُمَّ اجعَل ابني مثل هذا، فتَرَك الثديَ وأقبل إليه فنظر إليه فقال: اللهم لا تجعلني مثلهُ، ثم أقبَل على ثَدْيِه فَجَعْلَ يَرْتضعُ» فكأني أنظر إلى رسول الله ﷺ وهو يحكي ارتضاعه بأصبعه السبابة في فيه، فجعل يمصها، وقال: «وَمَرُّوا بجاريَةٍ وهُم يضربُونَهَا، ويقُولُونَ: زنيتِ سَرَقْتِ، وهي تقولُ: حسبي الله ونعم الوكيلُ: فقالت أمُّهُ: اللهُمَّ لا تجعل ابْني مثلَهَا، فتَركَ الرضاعَ ونظر إليها فقال: اللهم اجعلني مثلها: فَهُنَالِكَ تراجَعَا الحَديث فقالت: مَرَّ رجلٌ حسَنُ الهيئة فقلتُ: اللهم اجعل ابني مثلهُ فقلت: اللهُمَّ لا تجعلني مثلهُ، ومروا بهذه الأمةِ وَهُم يضربُونهَا ويقولونَ: زنيتِ سَرَقتِ، فقُلتُ: اللهُمَّ لا تجعل ابني مثلها فَقلْتَ: اللهُمَّ اجعَلني مثلَها؟! قال: إنَّ ذلكَ الرَّجُلَ كَانَ جَبَّارًا فقلت: اللهُمَّ لا تجعلني مثلهُ، وإن هذه يقولون لها زنيت، ولم تزن، وسرقت، ولم تسرق، فقلتُ: اللهُم اجعلني مثلها».

٢- خبر الغار، وهو مشهور في الصحاح، عن الزهري، عن سالم، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «انطلق ثلاثة رهطٍ ممن كان قبلكم فأواهم المبيت إلى غارٍ فدخلُوه، فانحدرت صخرة من الجبل وسدت عليهم باب الغار فقالوا: والله لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم فقال رجل منهم: كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أغبقُ قبلهما، فناما في ظل شجرة يومًا فلم أبرحْ

عنهما، وحلبت لهما غبوقهما فجئتهما به، فوجدتهما نائمين، فكرهتُ أن أوقظهما، وكرهتُ أن اغبق قبلهما، فقُمتُ والقدح فى يدى أنتظر استيقاظهما حتى ظهر الفجر، فاستيقظا فشربا غبوقهما. اللهم إن كنت فعلت هذا ابتغاء مرضاتك، فافرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فانفرجت انفراجًا لا يستطيعون الخروج منه.. ثم قال الآخر: كانت لى ابنة عم وكانت أحب الناس إلى، فراودتها عن نفسها فامتنعت، حتى ألمت بها سنة من السنين، فجاءتنى وأعطيتها مالاً عظيمًا على أن تخلى بينى وبين نفسها، فلما قدرت عليها، قالت: لا يجوز لك أن تفض الخاتم إلا بحقه، فخرجت من ذلك العمل وتركتها وتركت المال معها، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك، فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها، قال رسول الله ﷺ: ثم قال الثالث: اللهم إنى استأجرت أجراء فأعطيتهم أجورهم إلا رجلاً واحدًا ترك الذى له وذهب فثمَّرت أجرته حتى كثرت منه الأموال، فجاءنى بعد حين وقال: يا عبد الله أدِّ إلى أجرى، فقلت له: كل ما ترى من أجرتك من الإبل والغنم والرقيق، فقال: يا عبد الله، أتستهزئ بى؟ فقلت: إنى لا أستهزئ بك، فأخذ ذلك كله، اللهم إن كنت فعلتُ ذلك ابتغاء وجهك فافرج ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة عن الغار فخرجوا يمشون».

٣- الخبر الثالث: قوله ﷺ: «رُبَّ أشعث أغبر ذى طمريْنِ لا يُؤبه له، لو أقسم على الله لأبره».

٤- الخبر الرابع: روى سعيد بن المسيب عن أبى هريرة رضى الله عنهما عن النبى ﷺ أنه قال: «بيْنا رجُل يسوقُ بقرة قد حمل عليها فالتفتت إليه البقرة وقالت: إنى لم أخلق لهذا، إنما خُلقتُ للحرث، فقال الناس: سُبحان الله، بقرة تتكلم؟ فقال النبى ﷺ: «آمنت بهذا أنا وأبو بكر وعُمر» ..

٥- الخبر الخامس: عن أبى هريرة رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: «بينما رجل يسمعُ رعداً أو صوتًا فى السحاب أن: اسْقِ حديقة فلان، قال: فغدوتُ إلى تلك الحديقة، فإذا رجُلٌ قائمٌ فيها، فقلتُ: ما اسمك؟ قال: فلان بن فلان، قلت: فما تصنع بحديقتك هذه إذا صَرَمْتَها؟ قال: ولم تسأل عن ذلك؟ قلتُ: لأنى سمعتُ صوتًا فى السحاب أن: اسق حديقة فُلان، قال: أما إذ قُلت: فإنى أجعلها أثلاثًا، فأجعلُ لنفسى وأهلى ثُلثًا، وأجعلُ للمساكين وابن السبيل ثُلثًا وأنفق عليها ثُلثًا.

أما الآثار: فقد ظهرت كرامات عن الخلفاء الراشدين، وظهرت على بعض الصحابة، وقد ذكرها الفخرُ الرازى:

وأما الدلائل العقلية القطعية على جواز الكرامات، فهى على وجوه:

**الحجة الأولى:** أن العبد ولى الله.

قال تعالى: ﴿ أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[ يونس:٦٢].

**والرب ولى العبد.**

قال تعالى: ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾[ البقرة:٢٥٧].

وقال تعالى: ﴿ .. وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾[ الأعراف:١٩٦].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴾[ المائدة:٥٥].

وقال تعالى: ﴿ أَنتَ مَوْلانَا ﴾[ البقرة:٢٨٦].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾[ البقرة:٢٥٧].

فثبت أن الرب ولى العبد، وأن العبد ولى الرب.

**وأن الربَّ حبيبُ العبد، والعبدَ حبيبُ الرب.**

قال تعالى: ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾[ المائدة:٥٤].

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾[ البقرة:١٦٥].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾[ البقرة:٢٢٢].

فالعبدُ إذا بلغ فى الطاعة إلى حيث يفعل كل ما أمره الله، وكل ما فيه رضاه، وترك كل ما نهى الله وزجر عنه، فلا يبعد أن يفعل الربُّ الكريمُ مرة واحدة ما يُريده العبدُ، بل هو أولى، لأن العبد مع لُؤمه وعجزه لما فعل كل ما يُريدُه الله ويأمره به، فلأن يفعل الرب الكريمُ الرحيمُ مرة واحدة ما أراده العبدُ كان أولى، ولهذا قال تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾[ البقرة:٤٠].

**الحجة الثانية:** لو امتنع إظهار الكرامة لكان ذلك إما لأجل أنَّ الله ليس أهلاً لأن يفعل مثل هذا الفعل، أو لأجل أن المؤمن ليس أهلاً لأن يُعطيه الله هذه العطية ..

والأول: قدح فى قدرة الله تعالى، وهو كفر ..

والثانى: باطل.

فإن معرفة ذات الله وصفاته وأفعاله وأحكامه وأسمائه ومحبة الله وطاعته والمواظبة على ذكر تقديسه وتمجيده وتهليله، أشرف من عطاء رغيف واحد فى صحراء أو تسخير حية أو أسد.

**الحجة الثالثة:** قال رسول الله ﷺ حكايةً عن رب العزة:

**«ما تقرب عبد إلى بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزالُ يتقربُ إلى بالنوافل حتى أُحبهُ، فإذا أحببتُه كنتُ له سمعًا وبصرًا ولسانًا وقلبًا ويداً ورجلاً، وبى يسمع، وبى ويبصر، وبى ينطق، وبى يمشى».**

وهذا الخبر لم يدل على أنه لم يبق فى سمعهم نصيب لغير الله، ولا فى بصرهم ولا فى سائر أعضائهم، إذ لو بقى هناك نصيب لغير الله، لما قال: أنا سمعه وبصره.

**الحجة الرابعة:** قال ﷺ حاكيًا عن رب العزة:

**«مَنْ آذى لى وليًا فقد بارزنى بالمحاربة».**

فجعل الله سبحانه وتعالى إيذاء الولى قائمًا مقام إيذائه، وهذا قريب من قوله تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ ﴾[الفتح: ١٠].

وقال تعالى:

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا ﴾[الأحزاب: ٣٦].

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ﴾ [الأحزاب: ٥٧].

- فجعل بيعة محمد ﷺ بيعة مع الله.
- وجعل رضا محمد ﷺ رضا الله.
- وجعل إيذاءه ﷺ إيذاء لله.

فلا جرم كانت درجة محمد ﷺ أعلى الدرجات إلى أبلغ الغايات..

فلما قال: **«مَنْ آذى لى وليًا فقد بارزنى بالمحاربة»** دل ذلك على أنه تعالى جعل إيذاء الولى قائما مقام إيذاء نفسه.

**الحجة الخامسة:** أنَّ الحق سبحانه وتعالى إذا شرَّف عبداً بأن أوصله إلى عتبات خدمته ودرجات كرامته، وأوقفه على أسرار معرفته، ورفع حُجُب البُعد بينه وبين نفسه، وأجلسه على بساط قربه، فليس غريبًا أن يظهر على يدى هذا العبد بعض تلك الكرامات.

**الحجة السادسة:** أنَّ كل من كان أكثر علمًا بأحوال عالم الغيب، كان أقوى قلبًا وأقل ضعفًا ، والعبد إذا واظب على الطاعات بلغ إلى المقام الذى يقول الله: «**كنت له سمعًا وبصرًا**».

**الحجة السابعة:** أنَّ الأرواح إذا استأنست بمعرفة الله ومحبته، وقل انغماسها فى تدبير هذا البدن، وأشرقت عليها أنوار الأرواح السماوية العرشية وفاضت عليها من تلك الأنوار قويت على التصرف فى أجسام هذا العالم، وذلك هو الكرامات.

وقد احتج المنكرون للكرامات بوجُوهٍ:

**الشبهة الأولى:** أن ظهور الخارق للعادة جعله الله دليلاً على النبوة، فلو حصل لغير نبى لبطلت هذه الدلالة، لأن حصول الدليل مع عدم المدلول يقدحُ فى كونه دليلاً، وذلك باطل.

**الشبهة الثانية:** قالوا: إن التقرُب إلى الله بأداء الفرائض أعظم من التقرب إليه بأداء النوافل.

**الشبهة الثالثة:** كيف يُعقل أن يُقال: إن الولى ينتقل من بلده إلى الحج فى يوم واحد؟.

**الشبهة الرابعة:** هذا الولى الذى تظهر عليه الكرامات إذا ادعى على إنسانٍ درهمًا، فهل نطالبه بالبينة أم لا؟

**الشبهة الخامسة:** إذا جاز ظهورُ بعض الكرامات على بعض الأولياء جازَ ظهورُها على الباقين، فإذا كثرت الكرامات حتى خرقت العادة، جرت وفقًا للعادة، وذلك يقدح فى المعجزة والكرامة.

والجواب عن هذه الشبهات الخمس ما يلى:

**عن الشبهة الأولى:** أن الناس اختلفُوا فى أنهُ: هل يجوزُ للولى دعوى الولاية؟ فقال قوم من المحققين: إن ذلك لا يجوز ..

فعلى هذا القول يكون الفرق بين المعجزات والكرامات، أن المعجزة تكونُ مسبوقة بدعوى النبوة، والكرامة لا تكون مسبوقة بدعوى الولاية ..

والسببُ فى هذا الفرق أن الأنبياء عليهم السلام إنما بُعثوا إلى الخلق ليكونوا دُعاةً للخلْق من الكفر إلى الإيمان، ومن المعصية إلى الطاعة .. فلو لم تظهر دعوى النبوة لم

يؤمنوا به، وإذا لم يؤمنوا به بقوا على الكفر، وإذا ادعوا النبوة وأظهروا المعجزة آمن القوم بهم، فإقدام الأنبياء على دعوى النبوة ليس الغرض منه تعظيم النفس، بل المقصود منه إظهار الشفقة على الخلْق، حتى ينتقلوا من الكفر إلى الإيمان.

أما ثُبوتُ الولاية للولى، فليس الجهلُ بها كفراً، ولا معرفتُها إيمانًا، فكأن دعوى الولاية طلب لشهوة النفس، فعلمنا أن النبى يجب عليه إظهار دعوى النبوة والولى لا يجوز له دعوى الولاية، فظهر الفرق.

أما الذين قالوا: يجوزُ للولى دعوى الولاية، فقد ذكروا الفرق بين المعجزة والكرامة من وجوه:

أ- أن الفعل الخارق للعادة يدل على كوْن ذلك الإنسان مبرأ عن المعصية، ثم إن اقترن هذا الفعل بادعاء النبوة دل على كونه صادقًا فى دعوى النبوة، وإن اقترن بادعاء الولاية دل على كونه صادقًا فى دعوى الولاية ..

وبهذا الطريق لا يكون ظهور الكرامة على الأولياء طعنًا فى معجزات الأنبياء.

ب- أن النبى يدعى المعجزة ويقطع بها، والولى إذا ادعى الكرامة لا يقطع بها، لأن المعجزة يجبُ ظهورها، أما الكرامة فلا يجب ظهورها.

جـ- أنه يجب نفى المعارضة عن المعجزة، ولا يجب نفيها عن الكرامة.

د- لا يجوز ظهور الكرامة على الولى عند ادعاء الولاية إلا إذا أقر عند تلك الدعوى بكونه على دين ذلك النبى.

ومتى كان الأمر كذلك صارت تلك الكرامة معجزة لذلك النبى ومؤكدة لرسالته ..

وبهذا التقدير لا يكون ظهورُ الكرامة طاعنًا فى نبوة النبى، بل على العكس يصير مقويًا لها ..

**والجواب عن الشبهة الثانية:** أن التقرُب بالفرائض وحدها أكمل من التقرب بالنوافل..

أما الولى فإنما يكون وليًا إذا كان آتيًا بالفرائض والنوافل .. ولا شك أنه يكون حاله أتم من حال من اقتصر على الفرائض فظهر الفرق.

**والجواب عن الشبهة الثالثة:** أن قوله تعالى:

﴿ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ ﴾[النحل:٧] محمول على المعهود المتعارف .. وكراماتُ الأولياء أحوال نادرة ..

لذا تصير مستثناة عن ذلك العموم ..

**أما الجواب عن الشبهة الرابعة:** فهو التمسك بقوله ﷺ:

«البينةُ على المدَّعى».

**والجواب عن الشبهة الخامسة:** أن المطيعين فيهم قلة، كما قال تعالى:

﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾[سبأ:١٣].

وكما قال إبليس:

﴿ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾[الأعراف:١٧].

وإذا حصلت القلة فيهم لم يكن ما يظهر عليهم من الكرامات فى الأوقات النادرة قادحًا فى كونها على خلاف العادة.

## أنواع الكرامات

قال التاج السبكى فى «الطبقات الكبرى»:

**الكرامات أنواع:**

١- **إحياء الموتى:** واستشهد لذلك ببعض القصص الواقعية:

أ- قصة أبى عبيد البسرى، إذْ دعا الله فى الغزو أن يحيى دابته فأحياها.

ب- قصة مفرج الدمامينى، إذ قال للفراخ المشوية : طيرى فطارت.

جـ- وقصة الشيخ الأهدل، إذْ نادى على الهرة الميتة فجاءت إليه.

٢- **كلام الموتى:** وهذا أكثر من النوع قبله ورُوى مثله عن أبى سعيد الخرَّاز، وعن الشيخ عبد القادر والإمام تقى الدين السبكى.

٣- **إغلاق البحر وجفافه والمشى على الماء:** وكل ذلك كثير، وقد اتفق مثله لشيخ الإسلام تقى الدين بن دقيق العيد.

٤- **انقلاب الأعيان:** ومنه ما روى عن الشيخ عيسى الهتار اليمنى إذ أرسل إليه شخص - مستهزئًا - إناءين ممتلئين خمراً فصب أحدهما فى الآخر وقال: بسم الله، كُلُوا فأكلوا فإذا هو سمن، وقد أكثروا فى ذكر نظير هذه الحكاية.

٥- **انزواء الأرض لهم:** حيث حكُوا أن أحد الأولياء كان فى جامع طرسوس فاشتاق لزيارة الحرم فأدخل رأسه فى جيبه ثم أخرجه وهو فى الحرم.

٦- **كلام الجمادات والحيوانات:** فقد حكى عن إبراهيم بن أدهم إذ نادى رمانة فأتته وكانت قصيرة فطالت وحامضة فحلت وأكل منها، وحملت فى العام مرتين.

٧- **إبراء العلل:** كما روى عن السرى فى حكاية الرجل الذى لقيه ببعض الجبال يبرئ الزمنى والعميان والمرضى.

٨- **طاعة الحيوانات لهم:** كما مع أبى سعيد أبى الخير الميهنى، وقبله مع إبراهيم الخواص.

٩- **طى الزمان.**

١٠- **نشر الزمان.**

١١- **استجابة الدعاء.**

١٢- إمساك اللسان عن الكلام وانطلاقه.

١٣- جذب بعض القلوب بعد نفورها.

١٤- الإخبار ببعض المغيبات والكشف: وهو درجات تخرج عن حد الحصر.

١٥- الصبر على عدم الطعام والشراب لمدة طويلة.

١٦- مقام التصريف: ومنهم الشيخ أبو العباس الشاطر، كان يبيع الأمطار بالدراهم.

١٧- القدرة على تناول الكثير من الغذاء.

١٨- الحفظ عن أكل الحرام.

١٩- رؤية المكان البعيد من وراء الحجب.

٢٠- الهيبة: بحيث مات من شاهد بعضهم.

٢١- كفاية الله لهم من الشر وانقلابه خيراً.

٢٢- التطور بأطوار مختلفة.

٢٣- إطلاع الله لهم على ذخائر الأرض.

٢٤- تيسير العلم والتصانيف فى وقت يسير.

٢٥- عدم تأثير المسمومات وأنواع المتلفات فيهم.

# بعض الأحاديث الصحيحة من معجزاته

# ودلائل نبوته ﷺ

١ - عن أبى موسى الأشعرى رضي الله عنه قال:

« سمعت النجاشى يقول: أشهد أن محمداً رسول الله الذى بشر به ولولا ما أنا فيه من الملك وما تحملت من أمر الدنيا لأتيته حتى أحمل نعليه » .

( رواه أبو داود )

٢ - عن على بن أبى طالب رضي الله عنه عن أبيه قال:

« خرجنا إلى الشام فى أشياخ من قريش وكان معى محمد ﷺ، إذ مروا على دير الراهب فإذا تسعة من الروم مقبلين نحو ديره، فقال لهم: ما جاء بكم؟ قالوا: بلغنا من أحبارنا أن نبيًا من العرب خارج إلى بلادنا فى هذا الشهر، قال لهم: أرأيتم أمراً أراد الله تعالى أن يقضيه، هل يستطيع أحدٌ من الناس أن يرده؟ قالوا: لا، قال: فبايعوا هذا النبى فإنه حق، فبايعوه وأقاموا مع الراهب، ثم رجع إلينا الراهب فقال: أنشدكم أيكم وليه؟ قالوا: هذا - يعنوننى - فما زال يناشدنى حتى رددته مع رجال، وكان فيهم بلال، وزوده الراهب كعكًا وزيتًا » ( رواه رزين ) .

٣- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال أبو جهل: لئن رأيت محمداً ساجداً لأطأن على رقبته، فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلى، فما فجأ الحاضرين منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويتقى بيديه، فقيل له: ما لك؟ فقال: إن بينى وبينه لخندقًا من نار، وهولًا، وأجنحة، فقال ﷺ: **«لو دنا منى لاختطفته الملائكة عضواً عضواً»** ( رواه مسلم ) .

٤- عن خباب بن الأرت رضي الله عنه: شكونا إلى النبى ﷺ وهو متوسد بردة فى ظل الكعبة، وقد لقينا من المشركين شدة، فقلنا: ألا تدعو الله؟ فقعد وهو محمر وجهه وقال: **«كان الرجل فيما كان قبلكم يحفر له فى الأرض فيجعل فيه، فيجاء بمنشار فيوضع فوق رأسه فيشق باثنين، فما يصده ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم وعصب، فما يصده ذلك عن دينه والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله، والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون».**

( رواه البخارى )

٥- عن أبى قتادة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لعمار حين يحفر الخندق، فجعل يمسح على رأسه ويقول: «بُؤس ابن سمية، تقتلك الفئة الباغية».

(رواه مسلم)

٦- عن أنس رضي الله عنه قال: «نعى النبى ﷺ زيداً وجعفراً وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم، فقال: أخذ الراية زيد فأصيب، ثم أخذها جعفر فأصيب، ثم أخذها ابن رواحة فأصيب، وعيناه تذرفان حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله - يعنى خالد بن الوليد - حتى فتح الله عليهم».

(رواه البخارى)

٧- وعنه أيضًا قال: «إن رجلاً كان يكتب للنبى ﷺ فارتد عن الإسلام ولحق بالمشركين فقال النبى ﷺ : «إن الأرض لا تقبله» .. فأخبرنى أبو طلحة أنه أتى الأرض التى مات فيها فوجده منبوذاً، فقال: ما شأن هذا؟ فقالوا: دفناه مراراً فلم تقبله الأرض» (رواه البخارى ومسلم).

٨- عن ابن مسعود رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «إنكم منصورون ومصيبون ومفتوح لكم، فمن أدرك ذلك منكم فليتق الله وليأمر بالمعروف ولينه عن المنكر» (رواه أبو داود).

٩- عن أبى ذر رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «إنكم ستفتحون مصر وهى أرض يسمى فيها القيراط، فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها، فإن لهم ذمة ورحمًا» (رواه مسلم)

١٠- عن سليمان بن صرد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ حين أجلى الأحزاب عنه: «الآن نغزوهم ولا يغزونا، نحن نسير إليهم» (رواه البخارى).

١١- عن أنس رضي الله عنه قال: «أتى النبى ﷺ بإناءٍ وهو بالزوراء، فوضع يده فى الإناء، قال أنس: فجعل الماء ينبع من بين أصابعه، فتوضأ القوم .. قال قتادة: قلت لأنس: كم كنتم؟ قال: ثلاثمائة أو زهاء ثلاثمائة».

(رواه البخارى ومسلم)

## أمثلة من كرامات بعض أصحاب النبى ﷺ

• **من كرامات أبى بكر الصديق رضي الله عنه:**

ما أخرجه الشيخان عن عبد الرحمن بن أبى بكر رضى الله عنهما، أن أبا بكر جاء بثلاثة - يعنى أضيافًا - وذهب يتعشى عند رسول الله ﷺ، ثم لبث، فجاء بعد ما مضى من الليل ما شاء الله، فقالت له امرأته: ما حبسك عن أضيافك؟

قال: أو ما عشيتهم؟ قالت: أبوْا حتى تجىء..

قال: والله لا أطعمه أبداً، ثم قال: كلوا..

فقال قائلهم: وأيم الله ما كنا نأخذ من نعمة إلا ربَا من أسفلها أكثر منها، فشبعنا وصارت أكثر مما كانت قبل ذلك.

فنظر إليها أبو بكر فإذا هى كما هى وأكثر، فقال لامرأته:

«يا أخت بنى فراس ما هذا؟

قالت: لا وقرة عينى لهى الآن أكثر مما كانت قبل ذلك بثلاث مرات..

فأكل منها أبو بكر وقال: إنما كان ذلك من الشيطان - يعنى القسم الذى أقسمه. ثم حملها إلى رسول الله ﷺ فأصبحت عنده.. وكان بيننا وبين قوم عهد، فمضى الأجل فتفرقنا اثنى عشر رجلاً مع كل رجل منهم ناسٌ الله أعلم كم مع كل رجل، غير أنه بعثهم فأكلوا منها أجمعين.

• **ومن كرامات أبى الدرداء رضي الله عنه**، أنه كان يوقد يومًا تحت قدْر وعنده سلمان إذ سمع فى القدر صوتًا، ثم ارتفع بتسبيح كهيئة صوت الصبى، ثم انكفأت ثم رجعت مكانها ولم ينصب شىء، فعجب سلمان وقال: انظر يا أبا الدرداء إلى ما لا ينظر لمثله. قال أبو الدرداء: أما إنك لو سكت لرأيت من آيات الله عجبًا».

• **ومن كرامات أبى موسى الأشعرى رضي الله عنه**، عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى ﷺ استعمل أبا موسى على سرية فى البحر، فبينا السفينة تجرى بهم بالليل إذ بمنادٍ من فوقهم: ألا أخبركم بقضاء قضاه الله على نفسه، إنه من يعطش لله فى يوم صائفٍ فإن حقا على الله أن يسقيه يوم العطش» (رواه الحاكم).

• **ومن كرامات أبى هريرة** رضي الله عنه: ما نقله المناوى فى طبقاته الكبرى عن القاضى أبى الطيب قال : كنا فى حلقة المناظرة، فجاء شاب خرسانى يسأل عن المصراة ويطلب الدليل، فاحتُجَّ عليه بخبر الشيخين عن أبى هريرة، فقال، وكان حنفيًا : أبو هريرة غير مقبول الحديث، فما أتم كلامه حتى سقطت عليه حية، فتفرق الناس هاربين، فتبعت الشاب دون غيره، فقال: تُبتُ .. تُبتُ .. فلم يُر لها أثر».

• **ومن كرامات أبى أمامة الباهلى** رضي الله عنه: أخرج البيهقى وابن عساكر عن أبى غالب، عن أبى أمامة الباهلى قال: بعثنى رسول الله ﷺ إلى قومى فانتهيت إليهم وأنا طاوٍ، وهم يأكلون الدم، فقالوا: هلم، فقلت: إنما جئتكم لأنهاكم عن هذا، فاستهزءوا بى وكذّبونى وردُّونى من عندهم وأنا جائع ظمآن قد نزل بى جهد شديد، فنمت، فأتانى آت فى منامى فناولنى إناء فيه لبن فأخذته فشربته فشبعت ورويت، فعظم بطنى، فقال بعضهم لبعض: أتاكم رجل من سراة قومكم فرددتموه، اذهبوا إليه فأطعموه من الطعام والشراب ما يشتهى فأتونى بطعامهم وشرابهم، فقلتُ: لا حاجة لى به، قالوا: قد رأيناك تجهد، قلت: إن الله أطعمنى وسقانى، فأريتهم بطنى، فأسلموا عن آخرهم».

• **ومن كرامات ابن أم مكتوم** رضي الله عنه: أخرج ابن سعد عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: كان ابن أم مكتوم يتوخَّى الفجر فلا يُخطؤه، وكان ضريراً.

• **ومن كرامات أسيد بن حضير** رضي الله عنه : ما رواه ابن الأثير فى أسد الغابة بسنده إليه رضي الله عنه وكان من أحسن الناس صوتًا بالقرآن أنه قال: قرأت ليلة سورة البقرة، وفرس لى مربوطة، وبجنبى ابن لى مضطجع قريبًا منى وهو غلام، فجالتْ الفرس، فقمتُ وليس لى هم إلا ابنى، ثم قرأتُ فجالتْ الفرس فقمت وليس لى هم إلا ابنى، ثم قرأت فجالت الفرس، فرفعت رأسى فإذا شىءٌ كهيئة الظلة فى مثل المصابيح مقبل من السماء، فهالنى، فسكت فلما أصبحت غدوت على رسول الله ﷺ فأخبرته، فقال: **«تلك الملائكة دنوا لصوتك، ولو قرأت حتى تصبح، لأصبح الناس ينظرون إليهم»**.

• **ومن كرامات أنس بن مالك** رضي الله عنه: كانت له أرض فشكا القائم عليها عطشها فصلى أنس وقال: هل ترى شيئًا ؟ فقال: لا ، ثم صلى فقال: هل ترى شيئًا ؟ فقال: أرى مثل جناح الطائر من السحاب، فجعل يصلى ويدعو حتى مطرت السماء ورويت الأرض، فقال أنس: انظر أين بلغ المطر، فقال: لم يجاوز أرضك.

• **ومن كرامات أنس بن النضر** رضي الله عنه: أخرج الشيخان عن أنس رضي الله عنه : أن عمه أنس ابن النضر قال يوم أحد: والذى نفسى بيده إنى لأجد ريح الجنة، ثم استشهد رضي الله عنه.

• **ومن كرامات تميم الدارى** رضي الله عنه أخرج البيهقى وأبو نعيم عن معاوية بن حرمل قال: خرجت نار من الحرة، فجاء عمر إلى تميم الدارى فقال: قم إلى هذه النار فقام معه، وتبعتهما، فانطلقا إلى النار، فجعل تميم يحوشها بيده حتى دخلتْ الشعب، ودخل تميم خلفها، فجعل عمر يقول: «ليس من رأى كمن لم ير» قالها ثلاثًا.

• **ومن كرامات ثابت بن قيس** رضي الله عنه: روى البيهقى عن عبد الله بن عبيد الله الأنصارى قال: كنت فيمن دفن ثابت بن قيس رضي الله عنه، وكان قُتل باليمامة، وهو خطيب الأنصار، وشهد له النبى ﷺ بالجنة، فسمعناه حين أدخلناه القبر يقول: «محمد رسول الله، أبو بكر الصديق، عمر الشهيد، عثمان البر الرحيم»، فنظرنا فإذا هو ميت» أورده أيضا صاحب الشفاء وغيره.

• **من كرامات حجر بن عدى** رضي الله عنه: وهو المدفون هو وأصحابه فى قرية «عذراء» من قُرى الشام، حينما قتلوا فى خلافة معاوية، وهم الذين قال عنهم النبى ﷺ: «**سيُقتل بعذراء أناس يغضب الله لهم وأهل السماء**».. كان حجر يحرص على الوضوء والطهارة جداً، لما حُبس احتلم، فطلب ماء من السجان ليغتسل به فقال له: ليس عندى إلا قدر شربك، فدعا الله تعالى بنزول المطر، فنزل وتطهر فقال له المسجونون معه: ادْع الله ليُفرج عنا وإياك.. فقال: لا أحب إلا ما أنا فيه، لكونه بإرادة ربى وقدرته جل شأنه وإنما دعوت للمطر لتعلقه بالعبادة..

• **من كرامات الحسن بن على رضى الله عنهما**: أخرج أبو نعيم وابن عساكر عن الأعشى أن رجلاً تغوط على قبر الحسن، فجن، فجعل ينبح كما تنبح الكلاب ثم مات، فسُمع من قبره يعوى.

• **من كرامات الحسين بن على رضى الله عنهما**: عن ابن شهاب الزهرى قال: لم يبق من قتلة الحسين أحد إلا عوقب فى الدنيا، إما بالقتل أو بالعمى أو سواد الوجه، أو زوال الملك فى مدة يسيرة، ومنها أن عبد الله بن حصين ناداه وقت محاربتهم له ومنعهم الماء عنه: يا حسين ألا تنظر إلى الماء كأنه كبد السماء والله لا تذوق منه قطرة حتى تموت عطشًا، فقال الحسين: اللهم اقتله عطشًا، فكان ذلك الخبيث يشرب الماء ولا يُروى حتى مات عطشًا.

• **من كرامات حمزة بن عبد المطلب** رضي الله عنه: ما أخرجه الحاكم عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قُتِل حمزة جنبا، فقال ﷺ: «**غسلته الملائكة**».

• **من كرامات حمزة الأسلمى** رضي الله عنه **:** أخرج البخارى فى التاريخ والبيهقى وأبو نعيم عن حمزة الأسلمى رضي الله عنه قال: كنا مع النبى ﷺ فى سفر، فتفرقنا ليلة ظلماء، فأضاءت أصابعى حتى جُمعوا عليها».

• **من كرامات حنظلة** رضي الله عنه **:** عن عاصم بن عمر بن قتادة أن رسول الله ﷺ قال يوم أحد: «**إن حنظلة تغسله الملائكة**»، فاسألوا أهله، ما شأنه؟ فسُئلت زوجته، فقالت: خرج وهو جنب حين سمع الهائعة، فقال رسول الله ﷺ «**لذلك غسلته الملائكة**».

• **من كرامات خالد بن الوليد** رضي الله عنه **:** أخرج البيهقى وأبو نعيم عن أبىَ السفر قال: نزل خالد بن الوليد الحيرة، فقالوا له: احذر السُّم لا تسقيكه الأعاجم، فقال: ائتونى به، فأخذه بيده ثم التهمه، وقال: بسم الله فلم يضره شيئًا.

• **ومن كرامات ذؤيب بن كلاب** رضي الله عنه**:** أخرج ابن رهب عن ابن لهيعة أن الأسود العنسى لما ادعى النبوَّة وغلب على صنعاء أخذ ذؤيب بن كلاب وألقاه فى النَّار لتصديقه بالنبى ﷺ فلم تضره النار. فذكر ذلك النبى ﷺ وأصحابه، فقال عمر: الحمد لله الذى جعل فى أمتنا مثل إبراهيم الخليل، قال عبدان فى كتاب الصحابة: ذؤيب هذا هو ابن كلاب ابن ربيعة الخولانى، أول من أسلم من أهل اليمن.

• **من كرامات زيد بن خارجة الأنصارى** رضي الله عنه**:** أخرج البيهقى وصححه عن سعيد ابن المسيب أن زيد بن خارجة توفى فى زمن عثمان ثم إنهم سمعوا جلجلة فى صدره ثم تكلم وهو ميت حيث قال: «أحمد أحمد فى الكتاب الأول، صدق صدق أبو بكر الصديق الضعيف فى نفسه القوى فى أمر الله فى الكتاب الأول، صدق صدق عمر بن الخطاب القوى الأمين فى الكتاب الأول، صدق صدق عثمان بن عفان على منهاجهم، ومضت أربع وبقيت اثنتان أتت الفتنة، وأكل الشديد الضعيف، وقامت الساعة، وسيأتيكم من جيشكم خبر بئر أريس، وما بئر أريس!..».

ثم مات رجل آخر من بنى خطمة، فسُجى فى ثوبه، فسمع جلجلة فى صدره ثم تكلم فقال: «إن أخا بنى الحارث بن الخزرج صدق صدق».

• **من كرامات سعد بن أبى وقاص** رضي الله عنه**:** عن جابر رضي الله عنه قال: شكا ناس من أهل الكوفة سعد بن أبى وقاص إلى عمر، فبعث معهم من يسأل عنه فى الكوفة فطيف به فى مساجد الكوفة فلم يقل له إلا خير، حتى انتهى إلى مسجد، فقال رجل يدعى أبا سعدة: أما إذ أنشدتنا فإن سعداً كان لا يقسم بالسوية، ولا يسير بالسرية، ولا يعدل فى القضية، فقال سعدة: اللهم إن كان كاذبًا، فأطل عمره، وأطل فقره، وعرضه لفتن .. قال ابن عمير:

فرأيته شيخًا كبيراً قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر، وقد افتقر، يتعرض للجوارى فى الطريق يغمزهن، فإذا قيل له: كيف أنت؟ يقول: شيخ كبير مفتون أصابتنى دعوة سعد».
(أخرجه الشبخان والبيهقى)

• **من كرامات سعد بن الربيع** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: عن زيد بن ثابت رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: بعثنى رسول الله ﷺ يوم أحد أطلب سعد بن الربيع، قال: «**إن رأيته فأقرئه منى السلام وقُلْ له: كيف تجدك؟**» فأصبته وهو فى آخر رمق وبه سبعون ضربة فقال: قل له: يا رسول الله أجدنى أجد ريح الجنة، وقل لقومى الأنصار: لا عذر لكم إن خُلص إلى رسول الله ﷺ وفيكم شفر يطرف، وفاضت نفسه. (أخرجه الحاكم وصححه البيهقى)

• **ومن كرامات سعد بن عبادة** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ذكر الشيخ العارف أبو اسحاق ابراهيم أنه زار سعد بن عبادة عدة مرات - وكان سعد قد توفى فى خلافة أبى بكر سنة ١٤هـ فى بلاد الشام واختلف فى موضع قبره - وأنه اختلج فى فكره فى بعض المرات: هل هذا قبر سعد أم لا؟ فأخذته سنة من النوم، فإذا القبر قد انشق من أعلاه، وإذا برجل طويل بدوى ملثم، على كتفه رمح، قد طلع من أعلاه وهو يقول: «أنا سعد»، ثم أفقت من النوم فقلتُ: إنه قبره، فقرأت شيئًا من القرآن الكريم ودعوت وانصرفت.

• **من كرامات سعد بن مُعاذ** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أخرج أبو نعيم عن سعد بن أبى وقاص: «أن سعد ابن معاذ لما مات بعد الخندق، خرج رسول الله ﷺ مسرعاﷺ، ورداؤه يسقط فما يلوى عليه، فقالوا: يا رسول الله إن كدت تقطعنا؟ قال: «**خشيت أن تسبقنا الملائكة إلى غسله كما سبقتنا إلى غسل حنظلة**».

• **من كرامات سعيد بن زيد** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: روى الشيخان عن عروة بن الزبير قال: «إن سعيد ابن زيد خاصمته أروى بنت أويس إلى مروان بن الحكم وادعت أنه أخذ شيئا من أرضها فقال: إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من أخذ شبرا من الأرض ظلما طوقه إلى سبع أرضين**» فقال له مروان: لا أسألك بينة بعد هذا، فقال سعيد: «اللهم إن كانت كاذبة فاعْم بصرها واقتلها فى أرضها»، فما ماتت حتى ذهب بصرها، وبينما هى تمشى فى أرضها إذ وقعت فى حفرة فماتت».

• **من كرامات سفينة مولى رسول الله** ﷺ: قال ابن الأثير فى كتاب «أسد الغابة» روى محمد بن المنكدر عن سفينة مولى رسول الله ﷺ أنه قال: ركبت سفينة فانكسرت فركبت لوحًا منها فطرحنى إلى الساحل، فلقينى أسد، فقلت: يا أبا الحرث أنا سفينة مولى

رسول الله ﷺ، فطأطأ الأسد رأسه وجعل يدفعنى بجنبه أو بكتفه حتى وقفنى على الطريق، ثم همهم، ففهمت أنه يودعنى.

● **من كرامات سلمان الفارسى رضي الله عنه:** أنه خرج من المدائن ومعه ضيف، وإذا بظباء تسير فى الصحراء، وطيور فى الهواء، فقال: ليأتنى منكن طير وظبى، فقد جاءنى ضيف أحب إكرامه، فأتياه، فقال الضيف: «سبحان الله» فقال له سلمان: أتعجب! .. أرأيت عبدا أطاع الله فعصاه شىء؟.

● **من كرامات عاصم بن ثابت وخبيب رضى الله عنهما:** أخرج البخارى وغيره عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: بعث رسول الله ﷺ بعثًا وأمر عليهم عامر بن ثابت، فانطلقوا حتى إذا كانوا بين عسفان ومكة ذكروا الحى من هذيل فتبعوهم بما يقرب من مائة رام فاقتفوا آثارهم حتى لحقوهم، فلجأ عاصم وأصحابه إلى فُدْفُدْ، وهو الموضع المرتفع، وجاء القوم فأحاطوا بهم، فقالوا: لكم العهد والميثاق إن نزلتم إلينا أن لا نقتل منكم رجلاً، فقال عاصم: «أما أنا فلا أنزل فى ذمة كافر، اللهم أخبر عنا نبيك» فرموهم بالنبال حتى قتلوا عاصمًا فى سبعة نفر، وبقى خبيب وزيد بن الدفنة ورجل آخر فأعطوهم العهد والميثاق، فنزلوا إليهم فلما استمكنوا منهم حلوا أوتاد قسيهم فربطوهم بها، فقال الرجل الثالث: «هذا هو الغدر» فأبى أن يصحبهم فجروه فلم يطاوعهم فقتلوه، وانطلقوا بخبيب وزيد حتى باعوهما فى مكة، واشترى خبيبًا بنو الحارث بن عامر بن نوفل، وكان خبيب قد قتل الحارث يوم بدر، فأجمعوا على قتل خبيب، ولما خرجوا به من الحرم قال: دعونى أركع ركعتين، فركع ثم قال: «اللهم أحصهم عدداً، واقتلهم بدداً، ولا تبق منهم أحداً».

واستجاب الله لعاصم يوم أصيب، فأخبر رسول الله ﷺ يوم أصيبوا خبرهم، وبعثت قريش إلى عاصم ليؤتوا بشىء من جسده يعرفونه، وكان عاصم قتل عظيمًا من عظمائهم يوم بدر، فبعث الله عليه مثل الظلة من الزنابير فحمته وسَلِم، فلم يقدروا أن يقطعوا منه شيئًا.

● **من كرامات عامر بن فهيرة رضي الله عنه:** أخرج البخارى من طريق هشام بن عروة قال: أخبرنى أبى قال: «لما قتل الذين ذهبوا إلى بئر معونة، وأسر عمرو بن أمية الضمرى، قال له عامر بن الطفيل: من هذا؟ وأشار إلى قتيل، فقال له: هذا عامر بن فهيرة .. قال: لقد رأيته بعدما قتل رفع إلى السماء، حتى إنى لأنظر إلى السماء بينه وبين الأرض، ثم وضع، فأتى

النبى ﷺ خبرهم فنعاهم، فقال: «إن أصحابكم قد أصيبوا، وإنهم قد سألوا ربهم فقالوا: ربنا أخبر عنا إخواننا بأننا رضينا عنك، ورضيت عنا، فأخبروهم».

• **من كرامات عباد بن بشر وأسيد بن حضير رضى الله عنهما:** أخرج ابن سعد والحاكم وصححه البيهقى وأبو نعيم من وجه آخر، عن أنس ؓ قال: كان عباد بن بشر وأسيد بن خضير عند رسول الله ﷺ فى حاجة حتى ذهب من الليل ساعة، وهى ليلة شديدة الظلمة، خرجا وبيد كل منهما عصا، فأضاءت لهما عصا أحدهما، فمشيا فى ضوئها، حتى إذا افترقت بهما الطريق، أضاءت للآخر عصاه، فمشى كل منهما فى ضوء عصاه حتى بلغ أهله.

• **من كرامات العباس ؓ:** ما ذكره التاج السبكى وغيره أن الأرض أجدبت فى زمن عمر، فخرج بالعباس رضى الله عنهما يستسقى، فقال عمر: اللهم إنا نتقرب إليك بعم نبيك، فإنك تقول وقولك الحق: ﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا ﴾[الكهف: ٨٢] فحفظتهما لصلاح أبيهما، فاحفظ اللهم نبيك فى عمه، فقد دنونا به إليك متشفعين ومستغفرين، ثم أقبل على الناس فقال: ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا (١٢) ﴾[نوح: ١٠-١٢] والعباس قد طال غَمُّه، وعيناه تنضحان، وسبابته تجول على صدره وهو يقول: «اللهم أنت الراعى، لا تهمل الضالة، ولا تدع الكسير بأرض مضيعة، فقد ضرع الصغير، ورق الكبير، وارتفعت الشكوى، وأنت تعلم السر وأخفى، اللهم فأغثهم بغياثك، فقد تقرب بى القوم لمكانى من نبيك ﷺ، فنشأت طريدة فى سحاب وقال الناس: ترون؟ ترون؟ ثم تلاقت واستتمت ومشت فيها ريح، ثم هرت ودرت، فما برح القوم حتى قلصوا المآزر، وخاضوا الماء إلى الركب، ولاذ الناس بالعباس يمسحون رداءه ويقولون: هنيئًا لك ساقى الحرمين، فأمرع الله الجناب وأخصب البلاد ورحم العباد.

• **من كرامات عبد الله بن عمر رضى الله عنهما:** كما قال السبكى فى الطبقات: أنه قال للأسد الذى منع الناس الطريق: «تنح» فبصبص بذنبه وذهب.

• **من كرامات عبد الله بن الزبير ؓ:** «أنه لما صلبه الحجاج كان الناس يشمون منه رائحة المسك».

● **ومن كرامات عبد الله بن عمرو بن حزام** رضي الله عنه: عن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه قال: أردت مالى بالغابة فأدرنى الليل فأويت إلى قبر عبد الله بن عمرو بن حزام فسمعت قراءة من القبر ما سمعت أحسن منها، فجئت إلى رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له، فقال: **«ذاك عبد الله، ألم تعلم أن الله قبض أرواحهم فجعلها فى قناديل من زبرجد وياقوت، ثم علقها وسط الجنة، فإذا كان الليل ردت إليهم أرواحهم، فلا تزال كذلك حتى إذا طلع الفجر ردت أرواحهم إلى مكانها الذى كانت فيه».**

● **ومن كرامات عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب** رضي الله عنه وهو ابن عم النبى ﷺ وكان أسن المسلمين يوم بدر، وقد عاد مع رسول الله ﷺ من بدر فتوفى فى الصفراء ولما نزل النبى ﷺ مع أصحابه هناك بعد ذلك قال له أصحابه:

إنّا نجد ريح مسكٍ، فقال: **«وما منعكم، وها هنا قبر أبى معاوية».**

● **من كرامات عثمان بن عفان** رضي الله عنه: ما ذكره التاج السبكى وغيره أنه دخل إليه رجل كان قد لقى امرأة فى الطريق فتأملها، فقال له عثمان رضي الله عنه: «يدخل أحدكم وفى عينيه أثر زنا، فقال الرجل: أوحى بعد رسول الله ﷺ؟ قال: لا: إنما هى فراسة المؤمن».

● **من كرامات العلاء بن الحضرمى** رضي الله عنه: عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: خرجت مع العلاء ابن الحضرمى، فرأيت منه خصالاً لا أدرى أيهن أعجب؛ انتهينا إلى ساحل البحر فقال: سموا الله واقتحموا، فسمينا واقتحمنا، فعبرنا وما بل الماء إلا أسافل خفاف إبلنا، وصرنا بفلاةٍ من الأرض وليس معنا ماء، فشكونا إليه، فصلى ركعتين ثم دعا، فإذا سحابة مثل الترس ثم أرخت عزاليها فسقينا واستقينا، ومات رضي الله عنه فدفناه فى الرمل، فلما سرنا غير بعيد، قلنا: يجيء سبع فيأكله، فرجعنا فلم نره.

● **ومن كرامات على بن أبى طالب** رضي الله عنه **وكرم الله وجهه:** ما أخرجه البيهقى عن سعيد بن المسيب قال: دخلنا مقابر المدينة مع على بن أبى طالب فنادى: يا أهل القبور السلام عليكم ورحمة الله .. تخبرونا بأخباكم أم نخبركم؟ قال: فسمعنا صوتًا: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته يا أمير المؤمنين .. خبرنا عما كان بعدنا، فقال على: أما أزواجكم فقد تزوجن، وأما أموالكم فقد اقتسمت، وأما الأولاد فقد حشروا فى زمرة اليتامى، وأما البناء الذى شيدتم فقد سكنه أعداؤكم، فهذه أخبار ما عندنا، فما أخبار ما عندكم؟ فأجابه ميت: قد تخرقت الأكفان، وانتثرت الشعور، وتقطعت الجلود، وسالت

الأحداق على الخدود، وسالت المناخر بالقيح والصديد، وما قدمناه وجدناه، وما خلفناه خسرناه ونحن مرتهنون».

• **من كرامات عمر بن الخطاب** رضي الله عنه: ما أخرجه ابن أبى الدنيا: أنه مر بالبقيع فقال: السلام عليكم يا أهل القبور، أخبار ما عندنا أن نساءكم قد تزوجت، ودياركم قد سكنت، وأموالكم قد فرقت.. فأجابه هاتف: يا عمر بن الخطاب أخبار ما عندنا: ما قدمناه فقد وجدناه، وما أنفقناه فقد ربحناه، وما خلفناه قد خسرناه.

## دوحة المصطفى ﷺ فى مصر

شعر/ أحمد مصطفى الخولى

دوحةٌ قد أورقت ثم ارتقتْ لمعانى ... والبدْر من إشعاعها دائمُ اللمعان

هى دوحةُ المختار طه المصطفى ... من أصْل بيتٍ ثابتِ الأركانِ

من نسل فاطمة ونسل نبيِّنا ... ذاك ابنُ عم رسولِنا الإنسانِ

قَدَرٌ يُساقُ إليهمُو فى محنةٍ ... كانَتْ بَلاءً فانبرُوا لتفانى

جاءوا لمصر فهلَّلتْ أرجاؤها ... إذْ أبدتْ الترحاب خيرَ معانى

فهمو الذين غزوا قلوبًا أنبتتْ ... حبًا فأدْلى وارفَ الأغصانِ

والأرض قد لبست ثيابًا سندسًا ... والبحرُ جاد نفائسَ المَرْجانِ

حُرسَتْ ديارُ العز فى أكنافهم ... غَزَتْ الشجاعةُ موكب الفرسانِ

منهم مَنْ اجتمعتْ لديه فراسةٌ ... تُعطى شُعاعَ النُور للعميانِ

منهم مَنْ اخترع العلاج لعلةٍ ... لم تجتمعْ للإنسِ أو للجانِ

منهم من استدعى الجموع لمجلسٍ ... فيه العُلومُ بدقة وبيانِ

عمرت بهم أصقاع مصر جميعُها ... حيث ارتقتْ بشوارعٍ ومبانى

والجُودُ صَارَ على العطاء سجيَّةً ... لم ينقطع أبدًا بأى زمانِ

وتعلَّم الغلمانُ منهُم صَنْعةً ... كانتْ أمانًا من رَدَى الحرْمَانِ

وتعلموا فنَّ القتال بحنكةٍ ... فى الفَر أو فى الكر فى الميدانِ

وهُنَا المدارسُ والجوامع أزهرتْ ... بعُلوم فقهٍ فى هُدى القرآنِ

- حبُّ أهل البيت فرضٌ وواجبٌ .. ويتأكد هذا الحب بالتعبير عنه ..

قال المصطفى الحبيب ﷺ:

**«أدِّبوا أولادكم على ثلاث خصال:**

**حب نبيكم، وحب أهل بيته، وعلى قراءة القرآن ..**

**فإن حملة القرآن فى ظل الله يوم لا ظل إلا ظله مع أنبيائه وأصفيائه».**

ويقول أيضًا ﷺ:

**«أربعة أنا شفيع لهم يوم القيامة:**

**المُكرمُ لذريتى، أو القاضى لهم الحوائج، والساعى لهم فى أمورهم عندما اضطروا إليه، والمحب لهم بقلبه ولسانه».**

## الإمام الحسين بن على رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

هـذا حُسـينٌ وجهُـهُ وَضَّـاءُ ... سبْطُ النبـى وأُمُّـه الزهـراءُ
وهُنا بمصرَ مقامُـهُ عبْـر المدى ... يأتى إليـه على الهُدى السُّعـداءُ
فلتسألوا عنـه الحبيب المصطفى ... مـا فُضِّلت مـن غيـره الأبنَـاءُ
وحُسين منى كان قـولُ حبيبنا ... والأمـر فى هـذا المقـام جلاء
فضلاً أعـزُوا شأن أهـل نبينا ... فهمـو الأحبـة أصلهُـم فُضَـلاءُ
ولتجعلُـوا منهـم هُداة درُوبكم ... فهمُـو النُجُومُ شواهـب عليـاءُ
هيـا جميعًا نحـو حُـب قائمٍ ... بالحقِ حـينَ يُزحـزَحُ الجهُلاءُ
لَسنَا بإشـراك نقيـمُ ولاءَنـا ... لكـن دأب السالكـين ولاءُ
ولهـم علينـا احتـرامُ جنابِهِم ... ويحيِّهـم حقًا يُجـابُ دُعـاءُ
وإلـى إلـه العرشِ نـرفعُ أمـرنا ... وبـذا يُوفَّـى الأجـرُ والأُجـراءُ
لا تلبسـوا بالحـق شيئًا غيـرَهُ ... وكـذا تُصانُ وتُحفـظُ الأشيـاءُ
وخزانـة وُضعـتْ لأجل جواهر ... والبيـعُ يغلـو دائمًا وشـراءُ
فالمهْرُ يغلـوُ إن أردنـا خطبـة ... إن العـروسَ كريمـةٌ حسناءُ
هيًّا نقيـم علـى الـودادِ محبةً ... تحيا بهـا وتُعطـرُ الأرجـاءُ
لا تحرمِونـا فى الوصـالِ مودةً ... هـى للنبـى الهاشـمى رضـاءُ

- الإمام الحُسين بن على اسمٌ غنىٌ عن التعريف بنسبه الشريف ومكانه من محبة النبى ﷺ وما تحلى به من الفضائل والمناقب، وما بذله من جهد وتضحية فى سبيل العقيدة ورعاية الحق والأنفة من الضيم.

وقد أصبح رضي الله عنه بعد مأساة كربلاء، سيد الشهداء ورمز الإيمان والفداء، وموضع الحب والتقدير والإكبار.

وفى قبة ضريحه رضي الله عنه فى القاهرة أبيات من نظمه مكتوبة بالخط الثُّلُث المذهب:

خيرة الله من الخلق أبى بعد جدى وأنا ابن الخيرينْ
عَبَدَ الله غلامًا ناشئًا وقُريشُ يعبُدون الوثنينْ
والدى شمسٌ وأمى قمرٌ وأنا الكوكبُ بين النيِّرينْ

قال سبط الجوزى: «ففى أى مكان كان رأس الحسين أو جسده فهو ساكن فى القلوب والضمائر، قاطن فى الأسرار والخواطر».

## السيدة زينب رضى الله عنها

سيّدتى كُنــتِ المُمْتحنــة ... وبصبرك قد مضَتْ المحنةْ

وجهــادُكِ لَــم يُبــق أثــرا ... للنكبة، فُزْتِ، قــد ارتحــنا

وقُدومك فى مِصــرَ نعيــمٌ ... قــد شــاء اللــهُ ليمنحــنا

وبَــلاءٌ صــار لنــا درسا ... إذ ســتــر الــحقُّ فنجَّحنا

الجــد محمــد يــرعــاكى ... والخــيرُ تعلّــق بخُطــاكى

قد صِرتِ على الكل رئسيةْ ... سُبحانَ قديــرٍ أعطــاكى

يا بنــتَ الزهراءِ تحــيةْ ... يا بنْتَ الــكرّار حمَــاكــى

القلــبُ يُحــبكِ في عِشقٍ ... والــكُــلُ يُســارعُ لرضــاكى

في الشكل يقالُ لك الزهراءْ ... والوجــهُ تمثّــلَ فيه ضياءْ

وتُقاك مــن الوالــدِ أضحى ... عُنوانًا فــى سَمْت العلماءْ

ورئيســة ديــوانِ الشــورى ... والخَطْوُ يسيرُ إلى العليــاءْ

قــد صــرتِ عقيلةَ بنى هاشم ... واليــدُ تفيضُ بكــل عطــاءْ

- يُجمع كُتّابُ التاريخ من عرب ومستشرقين أن السيدة زينب أول سيدة فى الإسلام قُدر لها أن تلعب على مسرح الأحداث السياسية دوراً ذا شأن، فقد اقترن اسمها فى التاريخ الإسلامى والإنسانى بمأساة كربلاء.

وهى غنية عن التعريف فأبوها على بن أبى طالب، وجدها لأمها محمد رسول الله وأمها فاطمة البتول (الزهراء)، وجدتها لأمها خديجة بنت خويلد أولى أمهات المؤمنين وشقيقاها الحسن والحسين سبطا الرسول ﷺ.

وقد تزوجت ابن عمها عبد الله بن جعفر الملقب (قُطب السَّخاء).

وموقفها عند ابن زياد والى الكوفة وعند يزيد بن معاوية فى مقر الخلافة فى دمشق يدعو إلى الإكبار والأنفة والإعزاز.

وصلت إلى مصر فى شعبان عام ٦١هـ فاستقبلها مسلمة بن مخلد الأنصارى والى مصر وكافة جموع المسلمين فى الفسطاط وسكنت فى دار مسلمة بن مخلد لمدة عام لم تبرحه حتى صعدت روحها الطاهرة إلى ربها عام ٦٢هـ.

## السيدة رقية
## بنت الإمام على رضى الله عنهما

عند الأخيار لها ثمن ويطيب لقوم أن يُثنُوا
فرقيةُ قد سكنتْ روضًا سمَّوهُ بقيعًا حين بنوا
ويُحيطُ فريقٌ من آلٍ بعلُو القدْرِ ولم يدنوا
لها معروفٌ وكرامة ويحق القطفُ لمن يجنُوا
ويقال إن لها أخٌ وأبوه علىٌّ لم يُهَنُوا
فالنسبُ صحيحٌ لرُقية ولآلِ البيْت وما ضنُّوا
صاحبةُ القبر لها مَدَدٌ والسِّر تطابقَ والعَلَنُ
ببقيعٍ يُدْعى بالأصغرْ يعلوُ ويصانُ به الوطنُ

- هى رقية بنت الإمام على كرم الله وجهه، فى المشهد القريب من جامع دار الخليفة، ومعها جماعة من أهل البيت، وهو معروف بجامع شجرة الدر وهذا الجامع على يسار الطالب للسيدة نفيسة، والمكان الذى فيه السيدة رقية عن يمينه، وقيل: إن للسيدة رقية ضريحًا بدمشق ..

وتقول بعض المصادر: إن أمها هى السيدة فاطمة الزهراء ..

وأخرى ترى أنها ليست أمها، وإنما أمها «أم حبيب الصهباء التغلبية» من سبى الردة.

والبعض الثالث يرى أن هناك رقية صغرى ورقية كبرى .. وأن رقية فى مصر هى من «أسماء بنت عميس الخثعمية».

ويسمى «شارع الخليفة» الذى يقع فيه قبرها وجبانات كثيرة أخرى: «البقيع الصغير».

# السيدة سكينة

## بنت الإمام الحسين رضى الله عنهما

سكنت قلوب النـاس فى أكنافها ... لجمـال خلقتـها وحُسن عفافها
فالاسـم آمنة لأم المصطـفى ... وبمكـة الغَـرَّاءِ مـن أشرافـها
أمـا سُكينـة فهـو وصفُ سَكينةٍ ... صـارتْ لدى التعريف من أعرافها
مَـرَحُ الفتاةِ لـدى الجميـع مُحبَّبٌ ... ملكت قُلـوب القـومِ بين شغافها
وهى الأديـبة واللسـانُ مهـذبٌ ... وتُعـد بـين النـاسِ مـن أظرافها
عُقدتْ لها الندواتُ فى أرض يثرب ... فتألقـت كالبـدرِ فى أعطافـها
قُبضتْ على السبعين عند كمالها ... مـا قصـر الناعـونَ فى إنصافها
ومـزارُها بـاقٍ بـأرض كنانـةٍ ... قيـل الجمـالُ اشتُق من أوصافها

- السيدة سكينة «آمنة» بنت الإمام الحسين، بلغت السبعين من عمرها عام ١١٧هـ، فاضت روحها الطاهرة فى يوم شديد الحرارة ..

لقد كانت آية فى الشجاعة وضبط النفس، وآية فى العلم والتقوى ..

وهى أول من عقدت للنساء ندوة علمية بالمدينة المنورة وامتازت تلك الندوة بالأدب والعلم الغزير، واجتمع عندها الفرزدق وجرير وجميل وكثير فى موسم الحج .. كما كانت تبسط يدها.

ويقول الإمام الشعرانى رضي الله عنه:

«لما دخلت السيدة نفيسة مصر، كانت عمتها السيدة سكينة المدفونة قريبًا من دار الخلافة، مقيمة بمصر ولها الشهرة العظيمة».

ولا بد لنا أن نعى أنه لا عبرة بالاختلاف فى دفن بعض أهل البيت الذين لهم بمصر القاهرة مزارات أو أضرحة، فإن الأنوار التى على أضرحتهم شاهدة صدق على وجودهم بهذه الأمكنة .

## السيدة فاطمة النبوية

## بنت الإمام الحسين رضى الله عنهما

سيدة قوم لهم يقين | رافعةُ لواءِ القاصدين
بابٌ لتفريج الكروبْ | وحفيدةُ خيرِ المرسلين
من أهل بيت لا يُضامْ | بنتُ الحسين سبطُ الأمينْ
تسمَّتْ بجدتها الزهراءْ | فكانتْ لها نِعْمَ القرينْ
سيدة الكل ووالدُها | سيدُ شُهداءِ العالمين
صوامة دَهْرٍ قوَامةْ | جنَّبها اللهُ الشرَّ سنين
فصيحةُ قولٍ، منطقُها | لا يعجزُ أبداً فهو مُبِينْ
وابنُ العم يُقالُ: الحسنْ | رُزِقَتْ بالحُب بخيرِ بنين

- من عقيلات بنى هاشم، ومع جمالها تمتزج التقوى والعلم والجود والكرم، فقد كانت فاطمة بنت الحسين صوامة قوامة، وكانت تروى عن رسول الله ﷺ، وكانت فصيحة اللسان قوية البيان، كما كانت كريمة سخية تحب الفقراء وتساعد الضعفاء وتقضى حوائج ذوى الحاجات.

عاشت ستين عامًا من عمرها، وقد تزوجت فى حياة أبيها الحسين من ابن عمها الحسن المثنى وأثمر هذا الزواج ثلاثة أبناء هم:

١- عبد الله، الملقب بالمحض.

٢- وابراهيم، الملقب بالقمر.

٣- والحسن، الملقب بالمثلث.

وهؤلاء الثلاثة ماتوا مخنوقين فى سجن أبى جعفر المنصور عام ١٤٥هـ.

والسيدة فاطمة النبوية مدفونة خلف الدرب الأحمر فى زقاق يحمل اسمها ..

ويلقبها المترددون عليها باسم «أم اليتامى» لشدة حنوّها وعطفها على الفقراء والضعفاء والمعوزين.

## الإمام زين العابدين بن على

## ابن الإمام الحسين رضى الله عنهم

زيــدٌ لــهُ بــينَ الرجــال عرينُ ... لا يُستهــانُ بــه، فعــزٌ قريــنُ
قلــب تهيــأ للصُمــودِ فلم يزل ... كالطـود لم يحْـن الجباه مكينُ
شيــخُ الزيـود علىٌّ زين العابدين ... خلــقٌ تأصـل فى الوجُودِ متينُ
تلميــذُ واصل حيـث كـان مُريـدهُ ... علــم غزيــر يرتجـيه الديــنُ
وهــو الشهيدُ لدى النزّالِ بكوفةٍ ... فرَّ الرجــالُ، فظـل وهـو أمينُ
صنِــوٌ لجدٌ فى الشجاعة والتُقى ... ولمصــرَ جــاءَ الرأسُ فهو دَفينُ
للعلــم والعلـماءِ كـان زعيمهـم ... ولــه علــومٌ فى الزّمــانِ تُبينُ
فإذا أتيــت مقـام زين العابدين ... فــادْعُ الإله يعزُنــا ويُعــينُ

- هو الإمام زيد بن على، المعروف بزين العابدين ابن الحسين بن على رضى الله عنهم.

وتنسب إليه طائفة «الزيدية» وهى من أكبر فرق الشيعة وأكثرها اعتدالاً وقربًا إلى أهل السنة .. وكان تلميذاً لواصل بن عطاء ..

وكان دائم التفكير فى الخلافة ..

سقط شهيداً فى شهر صفر عام ١٢٤هـ فى الكوفة، ويؤكد الكندى قدوم رأسه إلى مصر حيث طيف بها ثم نُصبت على منبر جامع عمرو، ثم دفنت فى موضعها الحالى فى الحى الذى سُمى باسمه فى أبى الريش بالقاهرة فى العصر الفاطمى.

ومما يجدر ذكره أن هناك ثلاثة رءوس شريفة لأهل البيت قد جىء بها إلى مصر ودفنت بها:

١- رأس زيد (زين العابدين). ودفنت فى المكان السابق ذكره.

٢- رأس ابراهيم بن عبد الله المحض، ودفنت فى حى المطرية.

٣- رأس الإمام الحسين، ودفنت فى موضع مسجده فى أم الغلام.

## السيــدة نفيســة

## بنت الإمام حسن الأنور رضى الله عنهما

هــذا المقــامُ تحوُطـُـهُ الأنوارُ ... هبطـت عليه من العُلا الأسرارُ

حســنُ بــنُ زيــدٍ والــدٌ لنفيسةٍ ... والجَـد أصلاً مُصطفىً مُختارُ

حجـتْ ثلاثينًا وتطلـب غيـرها ... وتقـولُ: لا تُسـدلْ لنـا أستارُ

وقضت بمصر سنين سبع فارتقت ... نحـو العُـلا، وتواتـرت أخبارُ

ولقبـرها حضـرتْ بيـدٍ، آمـنتْ ... أنْ القضَـاءَ تسُوقـهُ الأقـدارُ

قُرآنُهـا مـا زال رطبـًا دائمـًا ... تسعـينَ مَـع مائـةٍ بـدتْ أنوارُ

علـمٌ ترسَّـخ لـم تشُبْهُ علائق ... فهى العليمـةُ واقتـــدى الأحبارُ

«لهــم دار الســلام» نهايــةً ... عنـد الــوداعِ توافـدَ الأبرارُ

- السيدة نفيسة رضى الله عنها هى بحق لؤلؤة أهل البيت على جبين مصر.. حجت ثلاثين حجة كانت فيها تتعلق بأستار الكعبة الشريفة وتقول:

«إلهى وسيدى ومولاى، متعنى وفرحنى برضاك عنى، ولا تسبب لى سببًا يحجبك عنى».

وقد قال الحبيب المصطفى ﷺ:

**«أهل بيتى كسفينة نوح، مَنْ دخلها نجا، ومن تخلف عنها غرق»**

وقد روى عنه ﷺ أيضًا أنه قال:

**«خُلق الناسُ من أشجار شتى، وخلقت أنا وعلى بن أبى طالب من شجرة واحدة، فما قولكم فى شجرة أنا أصلها، وفاطمة فرعها، وعلى لقاحها، والحسن والحسين ثمارها، وشيعتنا أوراقها، فمن تعلق بغصن من أغصانها ساقه إلى الجنة، ومن تركها هوى إلى النار».**

وفدت على مصر فى ٢٥ رمضان عام ١٩٣هـ.

وكانت وفاتها فى أول جمعة من رمضان وهى تقرأ قوله تعالى:

﴿ لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[الأنعام: ١٢٧].

## السيـدة عائشـة

## بنت الإمام جعفر الصادق رضى الله عنهما

| | |
|---|---|
| يا بنتَ جعفـرَ والإمـام الصادقِ | يا أخت موسى ذا الجهادِ السابقِ |
| فالاسـم عائشـة وجَـدُّكِ باقـرٌ | وأبُـوهُ زيـن العابديـن العاشقِ |
| ولك الكـلامُ العـذْبُ عَـزَّ مقالُهُ | إذ كنتِ فى التوحيد خيرَ مُحققِ |
| وبحسـنِ ظـن فى الإلهِ لك المُنى | إذ كُنتِ أخوفَ مَنْ يُحب ويتقىَ |
| والبـابُ قـد كُتبتْ عليه عبارة | والخـطُ أضحى كالبيانِ الناطقِ |
| «بمقـام عائشة المقاصدُ أُرْخَتْ» | سل بنت جعفر فى الزمانِ العابقِ |
| لا يستديـمُ على المعاصى زائر | كُتبَ الإيابُ على الطريد المارقِ |
| فلتسـألى ربَّ العبـادِ لجَمْعِنَا | فك الكروبِ ومخرجًا من مأزقِ |

- السيدة عائشة بنت الإمام جعفر الصادق، دخلت مصر فى صحبة إدريس بن عبد الله المحض بعد موقعة «كربلاء».

يقول الشيخ عبد الوهاب الشعرانى رضي الله عنه:

«أخبرنى سيدى على الخواص أن السيدة عائشة بنت جعفر الصادق رضى الله عنهما فى المنارة القصيرة على يسارك وأنت تريد الخروج من الرميلة - حى القلعة - إلى باب القرافة، وهى المدفونة بباب القرافة بمصر».

كان للسيدة عائشة أخوين: أحدهما موسى والثانى إسحق المؤتمن زوج السيدة نفيسة وهى التى قالت:

«وعزتك وجلالك لئن أدخلتنى النار، لآخذن توحيدى بيدى، وأطوف به على أهل النار، وأقول: وحَّدْتُهُ فعذبنى».

ومما كُتب على الباب البحرى لضريحها:

| | |
|---|---|
| مسجـــد أُسُّهُ التقى فـتراه | كبـدور تُهدى بها الأنــوارُ |
| وعـبـادُ الرحمـن قـد أرخُوهُ | تتـــــلألأ بحبــه الأنـــوارُ |

وكُتب على الباب الثانى:

| | |
|---|---|
| بمقام عائشة المقاصد أرخت | سل بنت جعفر الوجيه الصادقِ |

وكتب على باب القبة:

| | |
|---|---|
| لعائشة نور مضىءٌ وبهجة | وقبتـها فيها الدعـاء يجـابُ |

## سيدى حسن الأنور رضي الله عنه

فى يثـرب كـان هـو الـوالى ... ويُمثـــلُ جُمهـــورَ الآلِ

إذ دخـل السجـنَ بـلا جُـرمِ ... أخرجــهُ المهــدى بنــوالِ

قـد لُقِّـب شيـخَ بنى هاشم ... مـوصُـوفًا بالقَــدْرِ العــالى

ونفيســة كانــت صحبتــه ... وبغُرفــةِ جدهـما الغـالى

فيقــولُ: أنــا راضٍ عنــها ... وجــواب يـأتــى بالتــالى

برضـــاك رضينــا يــا حســنُ ... برضـا الرحمــن عــن الآلِ

ويُعــــد الحسَــــنُ بآلافٍ ... إذ صــار نقــى الأحــوالِ

إذ صــار القُطبَ على مصـر ... وتعاظــم شــأنُ الأنجــالِ

- لم ينج سيدى حسن الأنور بن زيد الأبلج بن الحســن السبط بن على بن أبى طالب من اضطهاد العباسيين حيث عُزل فجأة من ولاية المدينة المنورة، وألقى به فى السجن عام ١٥٦هـ إلى أن ولى المهدى العباسى فأخرجه منه.

كان شيخ بنى هاشم فى زمنه من بنى الحسن حتى أن رئاسة آل البيت انتهت إليه فى عصره.

لقد صار سيدى حسن الأنور قطبًا وإمامًا وكان يقصده الناس من القرى والبلاد، وكان يعد بألفٍ من الكرام.

وقد دارت حياته رضي الله عنه والتى امتدت لعمر ٨٥ عامًا حول عدة محاور أهمها:

١- المحور الدينى والعلمى.

٢- المحور السياسى.

٣- المحور الاقتصادى.

لقد كان حازمًا وعطوفًا وكان متواضعًا.

وتبدو أهمية جامع سيدى حسن الأنور .. وتكمن هذه الأهمية فى الضريحين الموجودين به: لسيدى حسن الأنور، ووالده، وهما ينتميان للحسن السبط رضي الله عنه .

## سيدى عبد الله المحض

## ابن الحسن المثنى بن الحسن السبط رضى الله عنهم

سـار الركـابُ إلى تقى العابدينْ فمقامـهُ ريحانةٌ فى عابديـن

عنـد الوُصُـولِ إلى الرحـابِ أظلـتـا قُطـبُ النهى أو قُلْ إمامُ الصالحينْ

فالمحضُ من جد هو السبط الحسنْ جَـد شهيـد وهو مولانا الحُسينْ

والأُم فاطمـــة عـلى زهرائـــنـا والأبُ حســـن كـانَ وضَّاءَ الجبينْ

سيـق الامـامُ إلى السجـونِ بمحنةٍ لـم يرْضَ يومـًا عن عدوٍّ مُستهينْ

ابنـاه إبراهيـم ثُـم محمـدٌ لقيـا الشهـادةَ فى شُهودٍ باليقينْ

لم تعمـلْ الأحـداثُ فيه إصابـةً بـل قـال إنى بالإلـه لُمستعـينْ

أعطـاهُ ربُ العـرش خـيرَ شهادةٍ إذ مات مثل الأسدِ فى قلبِ العرينْ

- هو عبد الله الملقب بالمحض لأنه حَسَنى حُسينى ..

فأبوه الحسن المثنى بن الحسن السبط بن على رضى الله عنهم.

وأمه السيدة فاطمة النبوية بنت الحسين بن على رضى الله عنهم.

وقد مات مخنوقًا فى سجن أبى جعفر المنصور عام ١٤٥هـ مع أخويه إبراهيم والحسن المثلث ضمن الحملة التى شنها العباسيون على أهل البيت.

وهو من أضرحة «الرؤيا» لأنه لا يحوى الجسد الشريف ..

وهذا الضريح كائن فى شارع الشيخ ريحان بحى عابدين فى ساحة المسجد الذى يحمل اسمه .

وكان يشبه جده المصطفى ﷺ، كما كان من شيوخ بنى هاشم فى زمانه.

وقد قيل له مرة:

«لماذا صرتم أفضل الناس؟ فأجاب:

«لأن الناس جميعًا يتمنون أن يكونوا منا، ولا نتمنى أن نكون من أحدهم».

## سيدى إبراهيم

## ابن عبد الله المحض رضى الله عنهما

| | |
|---|---|
| الـرأسُ تطـوفُ علانيـة | لتُـوارى أرضَ المطـريـةْ |
| ذاك ابـن المحـضِ وأسوتُـهُ | برسـولِ اللـه ومرضيـةْ |
| ويـأول عهـد بنى العبـاسْ | قتلُـوه بسـوء فـى النيـةْ |
| إذ كـان يُسمـى إبراهيـم | ووريـث القـومِ العلـويـةْ |
| هـذا وقـد كـان لهم سببًا | ليبيـدوا الدعـوى الخلافيـةْ |
| وحديـث يرجـعُ لأخيـه | لمحمـد ذى النفـس زكيـةْ |
| واعتقـلوا المحـض وإخوتَـهُ | ببـدايـة حـربٍ علنيـةْ |
| هـذا إبراهـيمُ ضحيتُـهُم | والأخ استُعْـمـلَ كضحـيـةْ |

- كان ثانى الرءوس التى وصلت لمصر رأس سيدى إبراهيم بن عبد الله المحض وهذا الرأس مدفون فى حى المطرية فى شارع البرنس «ماهر» حاليًا.

وقد دفن رضي الله عنه فى المسجد الذى عُرف باسمه فى الموقع المشار إليه بحى المطرية، وهو مسجد تعددت أسماؤه فى الماضى، فقد عُرف باسم مسجد التبر ومسجد التبن، ومسجد البئر والجميزة ..

وقد قُتل رضي الله عنه فى عهد الخليفة المنصور العباسى عام ١٤٥هـ، وقد أرسل رأسه إلى مصر فنصب فى المسجد الجامع العتيق «مسجد عمرو بن العاص».

لقد استطاع سيدى إبراهيم أن يُدخل أهل واسط والأهواز وفارس فى دعوته وحصل منهم على اعتراف بمبايعة أخيه محمد النفس الزكية بالإمامة، وتصل الأخبار إلى إبراهيم بمقتل أخيه محمد النفس الزكية فى المدينة المنورة، فصعد إبراهيم المنبر ونعى أخاه فأبكى الناس، وفى معركة قادها ابن عم المنصور عيسى بن موسى انهزم جيش إبراهيم وأصيب بسهم فى حلقه فأنزلوه وهو يقول:

﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾[الأحزاب : ٣٨]«أردنا أمراً وأراد الله غيره».

ومما ينهض دليلاً على أهمية مقبرة سيدى إبراهيم فى منطقة المطرية هو اهتمام الأمير تبر ببناء مسجد بجوارها.

## سيدى شبل الأسود

### ابن الفضل بن العباس رضى الله عنهم

| | |
|---|---|
| عرج على الشهداء تلقى شبلَنْا | فهو الأميرُ يقودُ جيشًا جاءَنا |
| شبلُ الأسُود ودَوْحُ من سادُوا الورى | إقبالُهُ نحو الديارِ أعزَّنا |
| الأبُ «فضلٌ» والكرامةُ أصلُه | وهو ابن عمِ للحبيب نبينا |
| والجد «عباس» وعَم المصطفى | قصدُوه يدعوُ والإله أغاثنا |
| عمرو يوزع قادةً فى جيشهِ | يا شبل فى تلك البقاع أتيتنا |
| أجريْت خيرًا فانمحى ليل الدجى | فلقد أضاءَ اللهُ منكم شمسنَا |
| ودعوتَ للإسلام أصلِ شريعةٍ | فتحقق المأمول قد عمَّ الهَنا |
| وبموقع الشُهداءِ صار مقامكم | للزائرينَ القاصدين لهم مُنى |

- سيدى محمد بن الفضل بن العباس بن عبد المطلب وشهرته «شبل» لشجاعته، ويقال إنه ولد بالحبشة، فقد كان والده الفضل بن العباس يتاجر بأمواله وأموال غيره من العرب فى بلاد الحبشة، وكان ملك الحبشة قد أهداه جارية اسمها «ميمونة» ..

وقد حضر محمد شبل إلى مصر على رأس جيش لمحاربة الكفار، ولكنه مات شهيداً فى عام ٤٠هـ فى المنوفية فى المنطقة التى عُرفت باسم «الشهداء» نسبة لمن استشهدوا فى تلك المعركة .. «هذه رواية غير محققة».

وهناك روايات كثيرة أخرى حول سيدى محمد شبل، والرواية الأقرب للصحة: أنه بعد وفاة يزيد بن معاوية دعا عبد الله بن الزبير لنفسه بالخلافة فثار أنصاره بمصر فأرسل عبد الله بن الزبير عبد الرحمن بن عتبة بن حجدم واليا على مصر من قبله فوصلها فى عام ٦٤هـ فى جمع كبير من أنصار ابن الزبير ومن أهل المدينة الناقمين على الأمويين بسبب مأساة كربلاء، ولما بويع مروان بن الحكم بالخلافة بنفسه إلى مصر وحارب ابن جحدم فى عدة مواضع كان من بينها موضع بالمنوفية ، قتل فيه من الفريقين عددٌ عظيم وانتهت المعركة بانتصار مروان بن الحكم ودخوله الفسطاط عام ٦٥هـ، وبعد المعركة دفن أنصار ابن الزبير قتلاهم فى ذلك الموضع بجوار قرية «سرسنا» وكان هناك كفر صغير من توابع سرسنا يسمى «الشهداء» فأطلق على موضع تلك المقابر.

| | |
|---|---|
| وبنصف العلم تراهُ أفَادْ | ويُقالُ تخطى النصف وزَادْ |
| فدعا لله على مددٍ | وبأن التقوى خيرُ الزادْ |
| جعل الضَوابطَ حول حُدودْ | وأضافَ إلى الفقه الأبعادْ |
| والفكرُ جديدٌ لا يبلى | رَجلٌ يتخطى للأمجادْ |
| وبزاوية، فى جامع عمرو | الفقهُ يُفَسرُ ثم يُجادْ |
| كالشمعة كان يُضىء الفِكْرْ | ويقُودُ الكل إلى الإسعادْ |
| فالجد التاسعُ عبدُ مَنَافْ | والدوحة كانت خيرُ مُرادْ |
| ولأم كانتْ هاشميَّة | أنعِم بالأبِ مَعَ الأجدادْ |

– الشافعى قطب من أقطاب الدوحة المباركة دوحة المصطفى ﷺ، يلتقى نسبه مع النبى ﷺ فى جده الثالث «عبد مناف» الذى هو الجد التاسع للشافعى، واسمه الكامل هو:

«محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف».

كان الإمام الشافعى يتردد على السيدة نفيسة رضى الله عنها بصفة دورية ويستمع إليها، وقد صلت عليه حين مات مأمومة بتلميذه أبى يعقوب البويطى وسمعوا بعد انتهاء الصلاة عليه من يقول: إن الله قد غفر لمن صلى على الشافعى بالشافعى، وغفر للشافعى بصلاة السيدة نفيسة عليه.

ورحلة الشافعى فى سبيل العلم كانت رحلة مثيرة حقًا من فلسطين إلى مكة المكرمة، ومنها إلى المدينة المنورة ثم إلى بغداد واليمن والرقة وما بين النهرين وجنوب آسيا الصغرى والشام ومصر.

ويكفيه أن ابن حنبل كان يعتبره أستاذاً له.

دخل رضي الله عنه مصر فى ٢٨ شوال عام ١٩٩هـ.

قال البوصيرى عن قبته:

بقبة قبر الشافعى سفينةً
رست فى بناءٍ محكمٍ فوق جلمود

# نخبة مختارة من أولياء الله الصالحين

# فى مصر

## سيدى على أبو الحسن الشاذلى رضي الله عنه

من أدرك النفحات منك قد اهتدى ... منك الرضا منك الثباتُ أبا الحسنْ

أنت المنارُ وفى حميثرةٍ غَدَا ... هذا المقامُ هو الملاذُ هو الوطنْ

فأساسُ دربك للمريد على المدى ... حُب النبى وآله فى السر دومًا والعلنْ

النفسُ عندك للإخاءِ هى الفدَا ... والروحُ عندك للحبيب هى الثمنْ

مَنْ جاء يومًا فى حِماكَ قد ارتدى ... ثوب الكرامة نسجه من قول: كنْ

فلقد حَبَاكَ الله نهرًا فَرْقَدًا ... فيه الكُنوزُ من العُلوم وما بطنْ

شاءَ الإله لنا نعيمًا أخْلدَ ... مَنْ جاء عندك طال نفْسًا واطمأنْ

الله ربى قــد حبــاكم سُؤددًا ... فضلاً لما قد كان منكم واستكَنْ

- سيدى أبو الحسن على الشاذلى، السيد الشريف زعيم الطائفة الشاذلية وإمام الأولياء والصوفية .. قال المرسى: جُلْتُ فى الملكوت فرأيت أبا مدين متعلقًا بساق العرش، فقلت: ما علومك؟ قال: أحد وسبعون ..

قلتُ: ما مقامك؟ قال: رابع الخلفاء، ورأس السبعة الأبدال.

قلتُ: وما تقول فى الشاذلى؟ قال: زاد على بأربعين علمًا، وهو البحرُ الذى لا يحاط به.

لقد مات أبو الحسن الشاذلى أثناء سفره للحج وكان برفقته مجموعة من إخوانه بينهم تلميذه وخليفته أبو العباس المرسى، وفى طريقهم إلى ميناء عيذاب على البحر الأحمر قبالة جدة، وفى وادى حميثرة كانت وفاته رضي الله عنه.

وللشيخ كرامات كثيرة لا يمكن حصرها، ومنها: أنه تكلم مرة فى الزهد وكان فى المجلس فقير عليه أثواب رثة وكان على الشيخ أثواب حسان، فقال الفقير فى نفسه: «كيف يتكلم الشيخ فى الزهد وعليه هذه الكسوة؟ أنا الزاهد فى الدنيا» فالتفت إليه الشيخ وقال: ثيابك هذه ثياب الرغبة فى الدنيا لأنها تنادى عليك بلسان الفقر، وثيابنا تنادى بلسان الغنى والتعفف، فقام الفقير على رءوس الناس، وقال: «أنا والله متكلم بهذا فى سرى وأستغفر الله وأتوب إليه» فكساه الشيخ كسوة جيدة ودله على أستاذٍ يقال له: ابن الدهان ..

## سيدى أبو العباس المرسى رضي الله عنه

حيَّاك اللهُ دومًا أبا العبَّاس — قد جئتُ حيَّك حانيًا للرأس
أحييت قلبى بأنفاسٍ معطرةٍ — فمحَوتَ كلَّ مصادر لليأس
لمَّا أراد الشاذلىُّ صلاحنا — عطاك أمْر خلافةٍ للناس
أضحى النبى أمام عينك دائمًا — ما كُنت يومًا فاقدَ الإحساسِ
إن غاب عنك للحظةٍ لم تُعتبرْ — من تابعيه، مُقْلدَ الخنَّاسِ
من أجل ذلك يُستجابُ بحيّكمُ — للزائرين، ما عدا الأنجاس
فارفع دعاءك للإله يجيرُنا — من كل كيدٍ، مُبعد الخنَّاس
واطلبْ رضاهُ على الدوامِ لجمْعنا — يُذهبْ عن الأحبابِ شرَّ الباس

– هو سيدى أحمد بن عمر الأنصارى أبو العباس المُرسى المالكى، قطب الزمان المشار إليه بالولاية، أصله من المغرب ونزل الإسكندرية ..

ومن أقواله رضي الله عنه: «لى أربعون سنة ما حجبت عن رسول الله ﷺ ولو حُجبتُ عنه طرفة عين ما عددْتُ نفسى من جملة المسلمين».

وقد أخبر بخليفته سيدى ياقوت العرش يوم وُلد ببلاد الحبشة ..

ومن كراماته أنه قال: «وأما الخضر عليه السلام فهو حى، وقد صافحته بكفى هذه، وأخبرنى أن من قال كل صباح: «اللهم اغفر لأمة محمد ﷺ، اللهُم أصلح أمة محمد ﷺ، اللهم تجاوز عن أمة محمد ﷺ، صار من الأبدال».

فعرض بعضُ الفقراء ذلك على سيدى أبى الحسن الشاذلى، قال: «صدق أبو العباس».

ومن كراماته أيضًا أن دعاه أربعة رجال إلى وليمة عند كل واحد منهم عقب صلاة الجمعة، فأجاب الجميع، ثم صلى الجمعة، وجلس بين الفقراء ولم يذهب لأحد منهم ..

فإذا بكل واحد منهم جاءه ليشكره على حضوره عنده ..

وكان رضى الله عنه كثير المجاهدة لنفسه ..

تتلمذ على سيدى أبى الحسن الشاذلى وتزوج إحدى بناته ونصبه الشيخ قبل وفاته خليفة له وكتب إليه مرة يقول:

«ما صحبتُك إلا لتكونُ أنت أنا، وأنا أنت».

## سيدى أحمد البدوى رضي الله عنه

هـذا طريــقُ العاشقينَ ذوى الأربْ ... هـذا طريـقُ السالكينَ ذوى الأدبْ

هيــا فإنــا قـد وصلـنـا حــيَّهُ ... هـذا لعَمْرى شيخُنا شيـخُ العــربْ

جِئـنـا ببابِـك يا سطوحى بالرَّجــا ... فكـذا يُسـاقُ السائلون إلــى الطلبْ

هذا مقــامُ العارفينَ بـهِ الهــنا ... إن الزمان المُستطابَ قـد اقتـربْ

إن الــــذى لا يستجـيرُ بربّه ... كالـماءِ يأسَنُ مـن بـوارٍ أو عطـبْ

إن الدعــاءَ لـدى الكـرام فضيلـة ... واللهُ يقضى بالقضـاءِ ومـا كَتَبْ

فاللــه يمحُو مـا يشــاءُ ومُثبتٌ ... للعَبْدِ مـا شـاءَ الإلـه ومـا شطبْ

إنا ببـابِ اللــه رُمْنَا أهـلَهُ ... قال الحبيـبُ: أنـا الـنبى ولا كَـذِبْ

- سيدى أحمد البدوى أحد أئمة التصوف وواحد من آل البيت، وقد حدَّد بعض العقبات التى لا بد من اجتيازها لمريد طريقته، وهى تسع عقبات:

١- لا تتعلق بالدنيا.

٢- راعِ الإحسان فى العمل.

٣- أبعد النفس عن الشح بالعطاء.

٤- استمر فى ذكر الله.

٥- لا تغفل عن القيام بالليل.

٦- لا تكن سيء الخُلُق فى المعاملة.

٧- اصبر على تحمل الأذى.

٨- لازم الصدق دائمًا.

٩- كُن صافى القلب، حسنَ الوفاء، حافظًا للعهود.

لقد جاء السيد البدوى من مكة إلى طنطا حيث استمر فى الدعوة إلى الله وقد أوفد شيخ الإسلام إلى طنطا سيدى عبد العزيز الدرينى ليمتحن السيد البدوى وكان الدرينى من العلماء الصالحين، وقد رجع سيدى عبد العزيز الدرينى من عند السيد أحمد البدوى يقول فى تقريره الذى رفعه لشيخ الإسلام:

«إن السيد البدوى بحرٌ لا يُدرك له قرار».

## سيدى إبراهيم الدسوقى رضي الله عنه

جئنـــا حِمــاكَ فنظــرةٌ لمشُــوقِ — هــذا المقــامُ مــكرَّمٌ بدُســوقِ
فإذا سمحْــت فجُدْ علينــا بالرضــا — بالعجز عندك قد بــدا منطوقى
إنَّ الكرَام عطاؤهم لا ينمحــى — عَبْرَ الزمـــان بمغـــربٍ وشُـــرُوقِ
لجــأ المُحــبُّ لبابِ عِزِّك شأنـــه — عبدٌ تحـــرَّر صـــار كالمعتُوقِ
فإذا رضيتَ فأنــت أهــلٌ للرضى — قلبٌ تعلــق فـــى هـــوى المعشُوقِ
قلبى يُحدثنى بأنـــك قابلى — هــذى علامــةُ مَخْرجى مـــن ضيقى
فَرَجٌ أتى مـــن بعـــد ضيقٍ حَوائـــج — ولمحــتُ فى وســط الغُيوبِ طريقى
فخطوت نحـــو البابِ خطواً راسخاً — وشربـــتُ كاســاتٍ فبلَّتْ ريقى

- يعتبر سيدى إبراهيم الدسوقى أحد فلاسفة التصوف الإسلامى الكبار، وقد أثمر عمله واجتهاده مؤلفات كثيرة، وقد قرأ ودرس لغات كثيرة ..

وهو شيخ الإسلام (أبو العينين) سيدى إبراهيم الدسوقى من مواليد مدينة دسوق وهو جوهرة من جواهر آل البيت، وهو يلتقى مع سيدى أحمد البدوى فى الجد العاشر، فهو قرشى الأصل وينتهى نسبُه إلى الإمام جعفر الصادق ابن الإمام محمد الباقر بن الإمام على زين العابدين بن الإمام الحسين رضى الله عنهم فهو رضي الله عنه (إبراهيم بن إبراهيم بن عبد العزيز بن على بن قريش بن محمد الرضا بن محمد أبى النجا) وأمه السيدة فاطمة ابنة ولى الله أبى الفتح الواسطى وهو من أصحاب سيدى أحمد الرفاعى ..

وهو رضي الله عنه من مواليد عام ٦٥٣هـ، وقد مات فى مقتبل عمره فى سن الثالثة والأربعين ولم يتزوج مثل سيدى أحمد البدوى.

والتصوف عنده رضي الله عنه ليس فى لبس الصوف، وهو يقول لأحد مريديه: «يا بُنى البس قميص الفقر النظيف الظريف، فما الأمر بلبس الثياب ولا بسُكنى القباب، ولا بلبس الصوف، إنما الفقر أن تُخلص عملك بقلبك».

ومن حكمه:

- حياةُ العبد لا تكونُ إلا بالعلم والعمل.
- إذا جمع الله العلم والعمل فى رجل، أفاد منه الناس.

## سيدى السلطان أبو العلا رضي الله عنه

هُنا ببُولاقِ بَشطِ النيلِ — وقَفَ البِناءُ بفائق التبجيلِ
وأبو العلاءِ ضريحه نبعُ الهُدى — يُدعى بسُلطانٍ لدى التأويلِ
وعليه من سيما الوقار مهابة — عقباتهُ دومًا إلى التذليلِ
والناسُ تحيا في رحابِ جَنابهِ — فهو الولى بسوْقِ كل دليلِ
ويقولُ من قصد الحمى لأبى العُلا — أنت المُرادُ وعُدتى ودليلى
وأنا المشوقُ أتيتُ رهن إشارةٍ — فإذا أتيتُك فالحياءُ سبيلى
فاطلبْ من الرحمن يُعلى شأننا — حَالُ المُحبِ هو الرضا بقليلِ
والسترُ من عندِ الإله يُظلُّنا — وتئُولُ أحوالٌ إلى التعديلِ

- يقول الإمام الشعرانى رضي الله عنه عن السلطان أبى العلا:

«كان رضي الله عنه من أكمل العارفين وأصحاب الدوائر الكبرى، وكان كثير التطورات، ومكث نحو أربعين سنة فى خلوةٍ مسدود بابُها، ليس لها غير طاقة وكان من لا يعرف أحوال الفقراء يقول: هذا كيماوى سيماوى، وكان رضي الله عنه بريئًا مما فعله أصحابه من الشطح الذى ضربت به رقابهم فى الشريعة».

وقد عاش رضي الله عنه مائة وعشرين عامًا فى طاعة الله وعبادته فأكرمه الله تعالى بمنزلة أوليائه ودرجة أحبائه ..

ومسجده وبه ضريحه فى حى بولاق مصر الذى أطلق عليه فى عصره - العصر المملوكى - بولاق أبو العلا ..

وقد كُتب على باب ضريحه بالخط الكوفى:

قف على الباب خاضعًا — حسّن الظن والتجى
فهو باب مجرَّبٌ — لقضاء الحوائج

وقد اهتمت دولة المماليك اهتمامًا كبيراً بمسجد السلطان أبى العلاء ..

حتى أنها مدت جسراً وسط الأراضى الزراعية شرقى النيل، ليوصِّل هذا الكوبرى بين النيل وبين حدود قاهرة المعز ..

## سيدى أحمد الرفاعى رضي الله عنه

هـــو أحمـــد، وتكَنَّى بالرفــاعى
الشيخُ تألفـهُ الوحـوش مــع الأفاعى

عَلَوى، خيرُ الرجال وخيرُ داعِ
ولجـده السابــع، يُقـال «رفاعــة»

منْ خير مَنْ يهدُوا الرجــالَ وخير راعِ
جعـل اللـه الولايـة لليتيـم هديـة

فكانَ لرزقـه جـاداً وملتزمًا وسـاعِ
أعـال النفْسَ مـن غير اتكالٍ وفاقـةٍ

فتحمَّلَ الأمر المنوط به من عهد الرضاعِ
فهـو العصامى الـذى لـم يرتكن للغَيْر

بـه اقتدُوا، رهـطُ المحبينَ والأتباعِ
كـل الذيــن تعاهـــدُوا بطريقــهِ

أضحى الضريحُ لسائـر الأصقاعِ
وهنــاك فى أرض العـــراقِ بواصـل

رُؤيــا لمـــن يأتــى لأمـــرِ دفـــاعِ
أمــا الضريحُ بمصر فهـــو باسمهِ

- الإمام أحمد الرفاعى ولد بجزيرة أم عبيدة قرب واصل بالعراق، عام ٥١٢هـ وقد زاول الرفاعى كل الحرف حتى لا يعتمد على أحد، كان خاله الشيخ منصور البطائحى شيخًا للطريقة، وتوفى والرفاعى فى سن الخامسة والعشرين فتولى الرفاعى خلافة الطريقة، وأخذ يلقى دروسه فى المسجد الكبير فى البصرة ..

وقد عبَّر الرفاعى عن مبادئ طريقه فيما يلى:

١- طريق دين بلا بدعة.

٢- وهمة بلا كسل.

٣- وعمل بلا رياء.

٤- وقلبٌ بلا شُغل.

٥- ونفسٌ بلا شهوة.

وقد ترك الرفاعى الكثير من الأوراد والكتب ومختلف العلوم الدينية، فى التوحيد والتفسير والحديث والتصوف والفقه مثل كتاب:

(البهجة وشرح التنبيه فى الفقه للشافعى).

وقد توفى الرفاعى فى أم عبيدة عام ٥٧٢هـ وعمره ستين عامًا ودفن فى ضريحه هناك، أما **رفاعى مصر** فهو أحد أحفاده على أبو الشباك.

## سيدى عبد الرحيم القناوى رضي الله عنه

هــذا مقــامٌ للمسافــرِ والمُقيــمْ شَرُفَـتْ «قنا» وبسيدى عبـد الرحيـمْ

أحيـا العُـلا بصعيـد مصـر وشأنُهُ جَلْـبُ السعادة والهنـاءِ المُستديـمْ

ربَّـى رجـالاً للمحبــةِ سارعُـوا كانـوا الهُـداة على الصراط المستقيمْ

فلتسألُــوا عنــه الديــار بأسرهــا فالكـلُّ يعـرفُ مَنْ هـو القُطبُ العظيم

ووجــودُهُ بــين الديــارِ أعــزُّها مـا بين أمْـرِ جَـدٍّ أو أمْـرِ قديـمْ

فهُنَــاك آلاف تحيــط مــزارهُ يتعوذون مــن اللعينِ مع الرجيـمْ

والكـلُّ يحيــا فى الرحـابِ كأنــهُ فى قُـرْبِ طه المصطفى أصل النعيمْ

ورديفُ مولانـا الإمــام الشــاذلى أحيُوا موات القلبِ مـن بعـد الرميمْ

- من سبتة بالمغرب، شريف حسيب نسيب صاحب كرامات شهيرة، كان إذا استشاره إنسان قال: أمهلنى حتى أستأذن جبريل، فيُطرق ثم يقول: افعل أو لاتفعل.

ومر به كلب فقام له، فسئل فقال: قمتُ إجلالاً لأثر الفقراء، ففتش فوجد فى عنقه خرقة من أثر صوفى.

ومنها: أنه مد عنقه يومًا بقنا، وقال: صدق الصادق الصدوق فقيل: مَنْ هو؟ فقال: الشيخُ عبد القادر، قال فى هذا اليوم:

«قدمى هذه على رقبة كل ولى لله» وتواضع له رجال المشرق والمغرب، فأرخ ذلك الوقت فجاء الخبر بذلك كذلك، وقال الكمال بن عبد الظاهر:

«زرتُ قبره وجلستُ عنده، فخرجتْ يدُهُ من قبره وصافحنى وقال:

«يا بنى لا تعص الله طرفة عين فإنى فى عليين».

وقد جربوا استجابة الدُّعاء عند قبره يوم الأربعاء وقت الظهر، يمشى الإنسان حافيًا مكشوف الرأس، ويُصلى عنده ركعتين ويقرأ شيئًا من القرآن ثم يقول:

«اللهم إنى أتوجه إليك بجاه محمد ﷺ، وبأبينا آدم وحواء وما بينهما من الأنبياء والمرسلين، وبعبدك عبد الرحيم القناوى» ويذكر الحاجة فتُقضى بإذن الله تعالى. وقد مات رضي الله عنه فى قنا بصعيد مصر عام ٥٦٢هـ.

# سيدى أويس بن عامر القرنى رضي الله عنه

سعد "البرمبُل" هلَّل السُعَداءُ      أهلُ المحبةِ كلُّهم أحيَاءُ

هذا جوار من استجيب دعاؤهُ      فالواقفُون ببابه فُضَلاءُ

هذا «أويس» من أناب لربهِ      فأتاهُ من فضل الإله عطاءُ

رفَضَ الحياة لدى نعيم زائلٍ      حينَ اشتهى مطلوبهُ الأُمراءُ

وطعامُه ما كان يسكنُ بطنه      ولباسُه عُرْى فكيفَ يُساءُ

عَرَفَ الشريعة نَال علمًا وافرًا      ومن الحقيقةِ كان حيث يشاءُ

أسرارهُ كانَتْ دفينة قلبْه      إذْ لم يكُن من طبعه الإفشاءُ

يا ربنا جئنَا ضيوفًا عندهُ      فاسمح بقُربٍ إننا ضُعفاءُ

– عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«إن الله عز وجل يحب من خلقه الأصفياء الأخفياء الأبرياء، الشعثة رءوسهم، المغبرة وجوههم، الخمصة بطونهم، الذين إذا استأذنوا على الأمراء لم يُؤذن لهم، وإن خطبُوا المتنعمات لم يُنكحوا وإن غابوا لم يُفتقدوا، وإنْ طلعُوا لم يُفرح بطلعتهم، وإن مرضُوا لم يُعادوا، وإن ماتوا لم يُشهدوا».

قالوا: يا رسول الله .. كيف لنا برجل منهم؟

قال: «ذاك أويس القرنى» قالوا: وما أُويس القرنى؟

قال: أشهَل ذو صُهوبة، بعيد ما بين المنكبين، معتدل القامة، يتلو القُرآن ويبكى على نفسه، ذو طمرين، لا يؤبه له، مجهول فى أهل الأرض، معروف فى السماء، لو أقسم على الله لأبرَّ قسمه، ألا وإنه إذا كان يومُ القيامة قيل للعباد: ادخُلُوا الجنة، ويُقالُ لأويس: قف فاشفع، فيُشفعه الله عز وجل فى مثل ربيعة ومُضَر».

وأويس القرنى من أهل اليمن ..

وله ضريح على أعلى ربوة فى قرية البُرمُبْل مركز أطفيح آخر مراكز الجيزة.

قال له هرم بن حيَّان مرة: أوصنى يا أويس. قال:

«توسَّدْ الموت إذا نمت، واجعله نُصب عينيك، وإذا قُمت فادع الله أن يُصلح لك قلبك ونيتك، فلن تُعالج شيئًا أشد عليك منهما، فبينا قلبك معك ونيتك إذا هو مُدْبر، وبينما هو مُدبر إذ هو مقبل، وألا تنظر فى صغر الخطيئة، ولكن انظر إلى عظمة مَنْ عصيْت».

## سيدى السُّلطان الحنفى رضي الله عنه

شمسٌ لدين اللــه أبــداً لا تغيــبْ ... فهــو الــذى للأوليــاء نقيـــبْ

أبا محمود أَنْتَ لدى المطالب مُنــجدٌ ... مَنْ جــاء حيَّك لا يضيعُ ولا يخيــبْ

أنتَ الإمــامُ وللشريــعةَ حَافــظٌ ... والقاصدون قد اهتدوا عز الإله لهم مجيبْ

جدَّدْتَ عهد الشاذلى فأنت مصباحُ الهدى ... ما بين داعٍ للصلاح ومهتدٍ أو مُستجيبْ

والناسُ تأتى حيَّكم حى الكرام على الهدى ... ويُقالُ: يا حنفى مدد، متوسلين إلى الحبيبْ

بُشرى لمن أخذ العهُودَ وكان من أهل التُقى ... والله كان لمن أخذ العهُودَ هو الرقيبْ

فادعُ الإله لنا جميعاً يستر الفعل القبيحْ ... ويُعين كُل مُكابدٍ في ذلك الوقت العصيبْ

فنعيشُ عيش القانعين مُيسَّرينَ مؤلفينْ ... تأتى العطايا للجميعِ من البعيد أو القريبْ

- هو سيدى محمد شمس الدين الحنفى، المصرى الشاذلى، من أجلاء مشايخ مصر وسادات العارفين، وكان رضي الله عنه يتكلم على خواطر القوم، ويخاطبُ كل واحد من الناس بشرح حاله .. وله كرامات كثيرة منها:

- أن إمام زاويته خرج للصلاة فرأى فى طريقه امرأة جميلة، فنظر إليها، فلما دخل الزاوية أمر الشيخ غيره أن يُصلى، فلمَّا جاء الوقت الثانى فعل كذلك إلى خمسة أوقات، فلما وقع فى قلبه أن الله أطلع الشيخ على تلك النظرة استغفر وتاب. فقال الشيخ: «ما كل مرة تسلم الجرَّة» ..

- ومنها أن أحد الأمراء أراد به شراً فعزمه على وليمة، وكان الشيخ يأكل وحده، فوضعوا له السم فى إنائه، فلما أكل بعض الشىء أطلعه الله على أنَّ بالإناء سُمًّا، فترك الأكل ولم يتكلم وركب دابته وذهب إلى زاويته، ولما انصرف اختلطت الأوانى، فأقبل ولدان من أبناء الأمير فلعقا الإناء الذى كان به السم فماتا ..

- كان إذا زار القرافة سلم على أصحاب القبور فيردُّون السلام عليه بصوتٍ مسمُوع، يسمعُه من معه.

مات رضي الله عنه عام ٧٤٨هـ وقبره فى حى الحنفى مشهود بالبركات.

قال الإمام الشعرانى: قال سيدى الحنفى عند موته: «مَنْ كان له حاجة فليأت إلى قبرى ويطلب حاجته أقضيها له، فإن ما بينى وبينكم غير ذراع من تُراب، وكل رجل يحجبه عن أصحابه ذراع من تراب فليس برجل» ..

## سيدى عمر بن الفارض رضي الله عنه

ليس الثراءُ بفيض مالٍ عارِض ... فالمرءُ بين البَسْطِ، بين القابضِ
ولقد أنار الله عينَ بصيرةٍ ... إذ هيأ النفحات لابن الفارضِ
خصَّتْ قصائده الإله ولم يزل ... مُتغنيًا فى الذاتِ، نعْمَ القارضِ
هذا هو السلطانُ نالَ محبَّة ... لم يلْقَ يومًا قط أى مُعارضِ
وحياتهُ فى الحُب كانَتْ أُسْوةً ... للسالكين على الطريق الناهضِ
لم يسْعَ يومًا فى نعيم زائلٍ ... وأمام كل المُغرياتِ الرافضِ
وبمصرَ ظلَّ مزارهُ روضًا لنا ... وهو الدليلُ على الوُجُودِ النابضِ
أشعارهُ ملأتْ ديارًا واهتدى ... فى نُورها كل الأنامِ بفائضِ

- سمُّوه فى مصر «سلطان العاشقين» لأنه كان عاشقًا للذات الإلهية ومن قصائده قوله:

زدنى بفرط الحب فيك تحيُّرا ... وارحم حشا بلظى هواك تسعَّرا
وإذا سألتك أن أراك حقيقةً ... فاسمح ولا تجعل جوابى لن ترى

واسمه عمر - حموى الأصل، مصرى المولد - وعُرف «بابن الفارض».

سلك طريق العلم ودرس على الحافظ بن عساكر، ثم حُبب إليه الخلوة وسلوك طريق الصوفية، فتزهد وتجرد وأصبح يسيح فى جبل المقطم ويأوى إلى بعض أوديته وإلى بعض المساجد المهجورة فى خرابات القرافة مدة، ثم يعود إلى والده فيقيم عنده مدة ثم يشتاق إلى التجرد فيعود إلى الجبل، وهكذا، حتى ألف الوحش وألفه فصار لا يفر منه.

قضى فى مكة خمسة عشر عامًا ثم عاد إلى مصر فأقام بقاعة الخطابة بالجامع الأزهر وعكف عليه الأئمة، وقُصد بالزيارة من الخاص والعام حتى إن الملك الكامل كان ينزل لزيارته، وسأله أن يعمل له ضريحًا عند قبره بالقبة التى بناها على ضريح الإمام الشافعى فأبى، وكان جميلاً نبيلاً حسن الهيئة والملبس، حسن الصحبة والعشرة .. رقيق الطبع عذب المنهل فصيح العبارة، ومناقبه كثيرة ..

مات عام ٦٣٢هـ ودُفن بالقرافة ..

# السيدة رابعة العدوية رضى الله عنها

| | |
|---|---|
| اللهُ يرحَمُ مَنْ يُحبُك رابعةْ | خَبَرُ المُحب لدى السماء السابعةْ |
| مدفَنُكِ فى أرضِ العراقِ ببصرةٍ | بضريحكِ المشهور رُوحٌ قابعةْ |
| بطريقِ نَصْرٍ قد حظيتِ بمسجدٍ | تلك التحايا للخوارقِ شائعةْ |
| لم تقترن دعواك أمْرَ نُبُوةٍ | تأتى الكرامةُ فى رحابك ناصعةْ |
| جاءتْ من الرحمن وهو مؤيِّدٌ | لعباده مَنًا وحقًا للإرادة رابعةْ |
| قد كُنْتِ دومًا للإله محبَّةً | لا تخلدين إلى الحياة الوادعةْ |
| فالعينُ تبكى من ذُنوبٍ لم تقعْ | والشكرُ دومًا فى انتظار الواقعةْ |
| لا تبتغين بحبِّ ربكِ مَغنَمًا | فعلى طريق العِشقِ أنتِ مُتابعةْ |

- تُدعى رابعة العدوية «شهيدة العشق الإلهى، وهى تنتمى إلى بنى عدى الذين اشتهر كثير من أفرادها بالورع والتقوى فى مدينة البصرة.

ولها فى مجال الكرامات شهرة واسعة ..

وقد جاء فى كتاب «طبقات الأولياء» أن رجلاً قال لرابعة:

إنى قد أكثرت من الذنوب والمعاصى، فلو تبت، هل يتوب الله علىَّ؟

فقالت: لا، بل لو تاب عليك لتبت، مصداقًا لقوله تعالى:

﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾[التوبة: ١١٨].

ورابعة هى التى قالت: «اللهم إنى أعوذ بك من كل ما يشغلنى عنك، ومن كل حائل يحولُ بينى وبينك، اللهم اجعل الجنة لأحبائك والنار لأعدائك، وأما أنا فحسبى أنت».

وكانت رضى الله عنها إذا صلت العشاء تتهجد وتقوم الليل كله وهى تقول:

«إلهى ناءت النجوم، ونامت العيون وغلّقت الملوك أبوابها، وخلا كل حبيب بحبيبه وهذا مقامى بين يديك» وعند الفجر تقول:

«إلهى هذا الليل قد أدبر، وهذا النهار قد أسفر، أقبلت منى ليلتى فأهنًأ، أم رددتها على فأعزَّى؟ وعزتك .. لو طردتنى عن بابك ما برحت عنه لما وقع فى قلبى من محبتك».

## سيدى ذو النون المصرى «ثوبان» رضي الله عنه

"ثوبانُ" فى قلب الزمان مَصُونُ ... واللومُ فى حُب الحبيب يهونُ
والقتلُ فى حُبَّ الكرام فضيلةٌ ... والصبرُ عند النائبات يكونُ
قد كُنت براً بالفقير ومُحسناً ... والرُوحُ قد مُلئتْ رضًا وسكونُ
فالدارُ أبقى فى الجنان لمؤمنٍ ... من زُخرُفٍ لا يرتجيه بَنونُ
واتتهُ رابعة تسُوق دليلها ... فى الحُبُّ قالتْ إنه المكنُونُ
فالحُبُّ عند العاشقين علامةٌ ... للقُربِ وهو لدى الجميع فُنونُ
حُمِلَ الفقيدُ بمَوتٍ جسدٍ فانى ... فى مركبٍ، بقرافةٍ مدفونُ
بجِوارِ عُقبةَ قد اقيم ضريحهُ ... متهيأ بالقُرب فيه سكُونُ

- هو ثوبان بن إبراهيم أبو الفيض، المعروف بذى النون المصرى، أحد مشايخ الصوفية المذكورين فى رسالة القشيرى، وكان أوحد وقته علمًا وورعًا وحالاً وأدبًا، وهو معدودٌ فى جملة من روى الموطأ عن الإمام مالك وهو أول من عبَّر عن علوم المنازلات.

ولد رضي الله عنه فى أخميم ثم رحل إلى الفسطاط طلبًا للعلم، فلما تصوَّف أخذ يهيم على وجهه.

ومن أقواله رضي الله عنه:

«إنما دخل الفسادُ على الناس من ستة أمُور:

١- من ضعف النية لعمل الآخرة.
٢- أن أبدانهم صارت رهينة لشهواتهم.
٣- غلبهم طولُ الأمل مع قُرب الأجل.
٤- آثروا رضا المخلوق على رضا الخالق.
٥- اتباعهم هواهم ونبذهم سنة نبيهم.
٦- جعلوا زلات السلف حجة لأنفسهم.

وقيل إنه لما قابل رابعة سألها عن وصف للمحبة فقالت:

أحبَك حبَين، حُب الهوى ... وحبًا لأنك أهلٌ لذاكا
فأما الذى هو حُبُّ الهوى ... فشغلى بذكرك عمن سواكا
وأما الذى أنت أهلٌ له ... فكشفك لى الحُجْبَ حتى أراكا
فلا الحمدُ فى ذا ولا ذاك ... لى ولكن لك الحمدُ فى ذا وذاكا

هـذى تحايـا بالسـلام العاطـرِ للقُطـبِ إذ يُدعى بعبـد القـادر

مَـنْ قـال للشيطـان اخسأ واحتشـم فأنـا المُحـاطُ بباطنٍ وبظاهـر

وأنـا «جيلانى» وقلبـى لـم يَنَـم منـذُ القديـم وبالزمـان الحاضر

قلـبٌ تربى فى رحـابِ المصطفى ويحيـا بذكـر اللـه شأنُ الباصرِ

عينُ البصيـرةِ قـد أنـارت بالهـدى وتـرى بنُور اللـهِ كُـلُّ خواطـرى

يجلُو بهـا الرحمـنُ كـل غشاوةٍ وهى التى للحُب خيرُ مصادرى

لـم نستكـن ابـداً فعشـنا سـادةً جلَّى بنـا الرحمن كُلَّ مخاطـرِ

مَـنْ جـاء يرجُـو نفحـةً جُدنا بِهـا مـن فيضِ محبُـوبٍ لعبْـدٍ شاكـرِ

- سلطان الأولياء وإمام الأصفياء، وأحد أركان الولاية الأقوياء الذين وقع الإجماع على ولايتهم عند جميع أفراد الأمة المحمدية ..

روى عنه الإمام الشعرانى أنه توضأ يومًا فبال عليه عصفور، فنظر إليه وهو طائر فوقع ميتًا، فغسل الثوب ثم باعه وتصدق بثمنه وقال: هذا بهذا ..

ولما اشتهر أمره فى الآفاق اجتمع مائة فقيه من أذكياء بغداد يمتحنونه فى العلم فجمع له كل واحد مسائل وجاء له، فلما استقر بهم الجلوس أطرق الشيخ عبد القادر فظهرت من صدره بارقة من نور فمرت على صدور المائة فمحت ما فى قلوبهم، فهتوا واضطربوا وصاحوا صيحة واحدة ومزقوا ثيابهم وكشفوا رءوسهم، ثم صعد الشيخ الكرسى وأجاب الجميع عما كان عندهم، فاعترفوا بفضله.

وكراماته رضي الله عنه كثيرة جداً قد ثبتت بالتواتر ..

كانت وفاته رضي الله عنه عام ٥٦١هـ.

كان يقرأ على المريدين سورة العصر، وعلى المُرادين سورة النصر ، وعلى الفقراء : ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾[الزمر:٣٦]، وعلى الأغنياء: ﴿ وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾[الأنعام:٥٢].

ولما سئل عن الاسم الأعظم قال: (أن تقول: «الله» وليس فى قلبك سواه، ولتكن رياضتك فى أدبك وخلوتك بمناجاة ربك، ظاهرك مع الخلق وباطنك مع الحق»..

## سيدى أبو الحجاج الأقصرى رضي الله عنه

| | |
|---|---|
| ما بين ماءِ النيل والأمواجِ | ما بينَ صحراءِ بها وفجاجِ |
| وبوسط آثارِ توحَّد دربُنا | تدعُو لجلب سياحةِ ورواجِ |
| تجد المقام مع المعابد قائمًا | فهو الولى بكنيةِ الحجاجِ |
| يدعو إلى الرحمن دونَ كلالةِ | ومضى إليه على الدوام يُناجى |
| مَنْ خَصَّ مشهدهُ الكريم زيارة | فهو الذى مِنْ حر نارِ ناجى |
| والنيلُ يدعُوهُ لغسل همُومه | قَصَد الولى لعفو ربٍّ راجى |
| ويُقالُ: يا من قد اتيت لحيِّنا | حقًا اتيتَ لصاحبِ المعراجِ |
| هذا النبى المصطفى وهو الذى | عن كل عبدِ دافعٌ ومُحاجى |

- كان أبو الحجاج إمامًا لمسجد القيم ..

حُكى عنه: أن نصرانيًا تستر وصلى خلفه، فلما سلم قال: إنى أجد فى المسجد رائحة كريهة، ثم التفت إلى النصرانى وأشار إليه بعينه «أن أخرج» وإلا أعلمتُ الناس بك. فصاح النصرانى ثم أسلم لوقته.«قاله السخاوى»

وفى طبقات الشعرانى رضي الله عنه:

«قال الشيخ يعيش بن محمود أحد أصحاب أبى الحجاج:

جئتُ أنا والقُليبى السخاوى وشخص آخر إلى زيارة الشيخ بعد صلاة الصبح، فوقفنا متأدبين، وإذا بالخادم قد خرج وقال:

«يدخل يعيش والقليبى ويروح هذا - يعنى الشخص الثالث الذى كان معنا- يستحم فإنهُ جُنُب».

قال: فدخلنا وقد هُدَّتْ أركاننا من الهيبة ..

فوجدنا الشيخ متكئًا .. ثم قال الشيخُ عن الشاب: «يستغفر ويدخُل».

وضريحه رضي الله عنه قرب النيل فى الأقصر .

## أقــوال فى التصوُّف

يعتبر علم التصوف من أجلِّ العلوم الشرعية ..

قال عنه ابنُ خلدون فى مقدمته:

«هذا العلم من العلوم الشرعية الحادثة فى الملة الاسلامية، وأصله طريقة هؤلاء القوم التى لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم طريقة الحق والهداية، وأصلُهُ العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد فيما يُقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه، والانفراد عن الخلق للعبادة، وكان ذلك عامًا فى الصحابة والسلف، ولما فشا الإقبال على الدنيا فى القرن الثانى للهجرة وما بعده وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا، اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة».

أما أبو بكر محمد إسحاق البخارى الكلاباذى المتوفى عام ٣٣هـ، فقد وصفه فى كتابه «التعرف لمذهب أهل التصوف» بقوله: «إن علوم الصوفية علوم الأحوال، والأحوال مواريث الأعمال، ولا يرث الأحوال إلا من صحح الأعمال، ومن هذه العلوم علوم شرعية كالفقه وأصول الفقه، وعلم التوحيد والمعرفة من طريق الكتاب والسنة وما أجمع السلف الصالح عليه».

وقال عنه الإمام الغزالى المتوفى عام ٥٠٥هـ فى كتابه «إحياء علوم الدين»:

«إنه يؤدى إلى السعادة التى وعد الله المتقين بها، وهى المعرفة والتوحيد».

بل إن الإمام الغزالى رضي الله عنه تزعم الدفاع عنه، فأصبح لسانه الناطق وترجمانه الصادق.

ومما يجدر ذكره، إنه حينما اتسعت أنظار الباحثين فى العلوم الدينية بعقولهم، ودقت هممهم إلى الكلام فى أصول الدين، ولطفت أذواق المراقبين لمعانى العبارات وحركات القلوب، اتسع معها التصوف، وتطور كلما تطورت العلوم والأفهام .. فأطلق عليه «علم القلوب» و«علم الأسرار» و«علم المقامات والأحوال» و«علم السلوك».

أما الشيخ مصطفى عبد الرازق رحمه الله فيرى فى تعليقه على مادة التصوف بدائرة المعارف الإسلامية فى الترجمة العربية، أنه: «علم الأخلاق».

واستدل بقول ابن القيم المتوفى سنة ٧٥٦هـ فى كتابه: «مدارج السالكين» وهو:

«واجتمعت كلمة الناطقين فى هذا العلم أنّ التصوف هو الخلق».

وقول ابن القيم أيضًا:

«إنَّ هذا العلم مبنى على الإرادة فهى أساسُه ومجمعُ بنائه، وهو يشتمل على تفاصيل أحكام الإرادة وهى: حركة القلب، ولهذا سُمى «علم الباطن» كما أن الفقه يشتمل على تفاصيل أحكام الجوارح، ولهذا سُمى «علم الظاهر».

كما استدل بقول الكتانى وهو:

«التصوف هو الخُلقُ، فمن زاد عليك فى الخُلقُ زاد عليك فى الصفاء».

وقال عنه السرى السقطى المتوفى ٢٥٧هـ: «التصوف تمامُ الأدب».

وقال سهل التسترى المتوفى ٢٨٣هـ:

«التصوف ليس رسمًا ولا علمًا، ولكنه خُلق، لأنه لو كان رسمًا لحصل بالمجاهدة، ولو كان علمًا لحصل بالتعليم، ولكنه تخلق بأخلاق الله، ولن تستطيع أن تُقبل على الأخلاق الإلهية بعلم ولا برسم».

وقد نُسب للجنيد البغدادى المتوفى سنة ٢٩٧هـ قوله:

ليس التصوفُ لبسُ الصُّوفِ والخِرَقِ
بل التصوُّف حُسنُ القلب والخُلُـــقِ

فالبسْ من اللِّبس ما تختارُ انت على
جُنح الظلام، وأجْرِ الدَّمع فى الغَسَقِ

دلائلُ الصِــدق لا تخفى على أحدٍ
كحامل المسك لا يخلو من العَبَـقِ

ويقول الدكتور محمد مصطفى حلمى:

«فالقول بأن التصوف خُلُق، إنما يجعل من التصوف علمًا للأخلاق، ولكنه مع ذلك أشد ما يكون حاجة إلى معرفة النفس التى تصدُر عنها هذه الأخلاق، وذلك لا لشىء إلا أن السواد الأعظم من فلاسفة المسلمين وصوفيتهم قد عرفوا الخُلُق على أنه هيئة للنفس راسخة تصدُرُ عنها الأعمالُ بسهولة ويُسر من غير حاجة إلى فكر وروية، وقالُوا: إن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة عقلاً وشرعًا سُميت الهيئة «خُلقًا حسنًا»، وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة، سُميت الهيئة التى هى المصدر «خُلقًا سيئًا»، وهذا يعنى فى وضوح وجلاء أن التصوف الذى هو الخُلق لا بد أن يعرض للنفس التى نضع لها

القواعد، وفى أن يبين هيئاتها وصلة هذه الهيئات بما يصدرُ عنها من الأفعال وهو يعنى بعبارة أوضح: «أن التصوف بما هو علم الأخلاق ينبغى أن يكون علمًا للنفس»، وأن مثل نتائج هذه البحوث تثبت لنا أن التصوف فى وضعه العلمى ليس من العلوم الرجعية، بل إنه يتمشى مع العلوم الحديثة ومع أحدث النظريات الفلسفية المعتدلة، وتجعلنا - إذا كنا مُنصفين - نُكبر تراث الصوفية الذى مضى عليه أكثر من أحد عشر قرنًا، وأن نُقبل على دراسة ما فيه من ذخائر ومن علوم قبل أن نُقبل على نظريات (فرويد) وأمثاله من علماء الغرب الذين قيل إنهم المبتكرون لعلم النفس الحديث، فإن لدى الصوفية فى هذا الباب ما فيه الغناء والكفاية.

وصح إذًا ما سبق أن قاله المرحوم الأستاذ عبد الله حسين فى كتابه «التصوف والمتصوفة» وهو: «إنَّ ظهور الكشوف العلمية، من الكهرباء ومن الإشعاع الذرى، وكذلك ظهور بعض النظريات الفلسفية المعتدلة، تكادُ إذا فُهمت فهمًا صحيحًا، وطبقت على العقيدة الدينية، أن تزيد المرء فى التعرف على الله، وفى التعلق بالتوحيد، ثم تقوى إيمانه بحكمة الدين، والاستزادة من طلب السمو الروحى، وليس السمو الروحى فى نظرنا سوى التصوف الحق، فهو عملٌ وخُلُقٌ وحبٌ، والصوفية كما وصفهم الفيلسوف الفرنسى هنرى برجسون فى كتابه «مبنعا الأخلاق والدين» يحاولون الاتصال بالجناب الأقدس لمعرفة الأسرار الروحانية والكونية وينقلونها إلينا، فلا يكاد الصوفى يهبط علينا حتى يشعر بالحاجة إلينا، يعلمنا أن العالم الذى ندركه، وإن كان حقيقيًا، فإن ثمة عالما غيره لا يُدرك بالبرهان العقلى، بل هو يقينى يقين التجربة، فالصوفى يحس بالحقيقة تتجدد من منبعها، فلا يستطيع أن يمنع نفسه عن نشرها، والتصوف حالة تشعر النفس فيها، أو تعتقد أنها تشعر بأنها فى حضرة الله، أنيرت بنوره، وهى حالة تسمُو بالنفس الإنسانية إلى مستوى آخر يضمن للنفس الأمن والطمأنينة ولو على صورة أسمى من ذى قبل.

وفى كتابه «حقائق فى التصوف» بَيَّن الأستاذ على سالم عمار أن خصوم التصوف لم ينصرف ذهنهم إلى معناه الحقيقى ولكن انصرف خيالهم إلى ما يفعله رجال الموالد والمشعوذين والدجالين والمنجمين وسكان التكايا والمنقطعين إليها، وبالجملة إلى الذين اتخذوا مظاهر التصوف حرفة ومهنة، وعاشُوا تحت ستاره وفى حمايته، وإننا لا نقر هذا النوع ولا نعترف بهم كصوفية، والتصوف الحق ينكر عليهم ويبرأ منهم، ونعد أن هؤلاء الناس حربًا على التصوف وأشد خصومة لهم من خصومه، فهم بفعالهم الشنيعة المنكرة، وبجهلهم وتدهورهم صوروه للملأ فى صورة زائفة ممسوخة باهتة، أفزعت منه المثقفين والمتعلمين، وأعطت لخصومه أسلحة يحاربونه بها..

على أنه لم يخل جيل من الأجيال ولا زمن من الأزمان منذ نشأ التصوف وبنى أصوله وقواعده من مثل هؤلاء الدخلاء الأدعياء . .

فإذا رجعنا إلى القرون الغابرة وجدنا الإمام القشيرى المتوفى سنة ٤٥٠هـ يؤلف رسالته المشهورة «الرسالة القشيرية» لينفى الشبهة عن التصوف الصادق وعن الصوفية الصادقين وليميز الخبيث من الطيب، ولينعى على هؤلاء الأشقياء فعالهم، ويكفى أن نذكر له مجمل قوله:

أمـــا الخيــــامُ فإنهـــا كخيـامهـــم

وأرى نســـاء الحـــى غيـــر نسـائـهـا

بل قال مثله من قبل أبو طالب المكى المتوفى ٣٧٦هـ فى «قوت القلوب» والكلاباذى البخارى المتوفى سنة ٣٨٠هـ ، وسلك هذا المسلك فى كتابه «التعرف لمذهب أهل التصوف» والسراج الطوسى المتوفى سنة ٣٧٨هـ فى كتابه «اللمع».

وأنكر الجنيد البغدادى نهاية القرن الثالث الهجرى كل ما بدا مخالفًا للشريعة وسمو الأخلاق، وادعاء الصوفى ما ليس فيه، كما أنكره غيره من العلماء من قبل.

وإذا سرنا إلى ما بعد القشيرى إلى الغزالى وإلى غيره إلى القرن السابع الهجرى وجدنا عز الدين بن عبد السلام شيخ الإفتاء وإمام الشريعة المتوفى سنة ٦٧٢هـ يقول فى كتابه «حل الرموز ومفتاح الكنوز» ما يشير إلى التبرم بهؤلاء الدخلاء فى شعره:

بالـــذوق والشـــوق نالوا عـــزة الشـــرف

(لا بالدُّلـوق) ولا بالعُجب والصَّلَـفِ

ومذهـــبُ القــــوم أخــلاقٌ مطهـــرةٌ

بهـا تخلَّقـت الأجسـاد فى النُّطـــفِ

صبـرٌ وشكـرٌ وإيثـــارٌ ومخمصـــةٌ

وأنفُـسٌ تقطـــع الأنفـاس باللَّهـــفِ

والزهـــدُ فى كـل فـانٍ لا بقـــاءَ لـــه

كمـا مضت سُنَّـــةُ الأخيـار والسَّلَـفِ

قـــوم لتصفيـــة الأرواح قـــد عمـــدُوا

وسلَّمُـوا عَـــرَضَ الأشبـاحِ للتَّلَـــفِ

لا بالتخلُّف فـي المعـروف تعرفهـم

ولا التكـلف في شيء مـن الـكُلَف

مـا ضـرَّهــم (رثُّ أطمـارٍ) ولا (خِلَـقٌ)

كالـدُّر ما ضـرَّه مُخلـولق الصَّـدَفِ

واشقــوتي إذ تولــت أمــةٌ سلفــتْ

حتـى تخلفـت في خلـفٍ من الخلفِ

ينمقــون مـزاويـــر الفــروق لـنـا

بالـزور والبهـت والبهتـان والحلـفِ

***

ليس التصـوُّفُ (عكـازًا ومسبحــةً)

كـلا ولا الفقـرُ رؤيـا (دلتَّكَ) للترفِ

وأن تــروح وتغــدو في (مـرقــعـة)

وتحـتـها (موبقـات الكبـر والسـرف)

وتُظهـر الزُّهـد في الدنـيا وأنـت عـلى

عكوفها (كعكـوف الكلـبِ في الجيف)

الفقــرُ سرٌّ وعنـك النفــسُ تحجبــه

فـارفع حجابـك تجلُو ظلمــة الأسفِ

واخضــع لــه وتـذلّـل إن وعيـت لـه

واعـرف (محلـك من إيـاك) واعتـرفِ

وادخُـل إلى خـلــوة الأفكـار مبتـكرًا

وعُـدْ إلـى حالـة الأذكـار كالصُّحــفِ

واتْـلُ المثانـي وكـررِ إن عزمــتَ عـلى

وَصْـلِ الحبيـبِ وصِـفْ ما شئتَ واتّصفِ

***

وهكذا سار كبار القوم الأبرار ..

وفى كتابه «حقائق في التصوف» أيضًا يطالعنا الأستاذ على سالم عمّار، بجزءٍ من قصيدته «التصوف» التى ندّد فيها بمتصوفى هذا الزمان:

عجبًا يصير مدى التصوف هكذا

قلبُ الحقائق وامتهانُ معانى

تخريفُ أوضاعٍ وسُوءُ تفهُّم

وسقوطُ مرتبةٍ وفعلُ هوانِ

أوهامُ شعوذةٍ وعلمُ كهانةٍ

وطقُوسُ مخرفةٍ وذلّةُ جانى

***

قومٌ أضاعوا حُسنه وجلالهُ

ومهابة الإرشاد والتبيان

قد بدَّلُوهُ حماقةً وسخافةً

هزوًا وسخرية الزمان العانى

أضحى بفعلهمو مشوبًا باهتًا

ومحرفًا عن شرعة العرفانِ

فجماعةٌ لا يفهمونَ أصوله

دخلُوا بضعفِ عزيمةٍ ودهانِ

وجماعةٌ تخذوا المظاهر حرفةٍ

تركُوا اللُّباب وأمسكوا بمبانى

تخذوهُ للعيش الرخيص وسيلةٌ

من غير إقبالٍ ولا إذعانِ

فأولاء قومٌ لا تساقُ أمورُهم

لحصيلة العلم الشريف الهانى

ظلمُوا التصــوُّفَ حــين ولُّــوا شطــره

ليجُـب مـا فعلُـوا مــن البُهتـــــانِ

أمــا الذيـــن قــد افتــرُوا وتحللــوا

مـــن جــادة الـتـكليـف بالإعـــلانِ

فــأولاء قـــومٌ مــا استحقُــوا نظــرةً

ولبئـس ما فــعلـوا مــن الخُســرانِ

إن قيــل جــذبٌ، قلــت ستــرًا للخنــا

والجـــذبُ، إذ يعلـو فللــديـــانِ

والجـــذبُ إذ ينحـــط فهــو مطيّـــةُ

لــدوافــع الإفســـاد والطغـــيانِ

***

أمــا الـولايــةُ فـهــى منزلـــة التـقــى

وتـرســـم الأحـكـامَ فـى إيقـــانِ

أو مـــن تـولى اللـــه يألــف شرعـــه

دون الـــتى أوحـى مـــن الــقـــرآنِ

أم مـــن تـــولاه الإلـــه يقـــــودهُ

لمـــواطـن الإسـفـــاف والحرمـــانِ

***

والفيــــضُ إلهـــام علـــى هابـــط

بالفتــح والتقـــوى وبالإحســـانِ

فــإذا تسفَّـــل لــم يكـــن إلا هـــوى

أو فعــل وسوسـةٍ مـن الشيطــــانِ

والكشـــفُ إدراكُ البصيـــرة للنهـــى

مــن منبــع الأســرارِ والفُرقـــانِ

وكـذا الشهـودُ هـو انغمـارٌ في هُـدى

فـي الحـق دون تتبُّـع البُرهـــانِ

***

أمـا الكرامـةُ وهـي أمـر خـارقٌ

أجـراه ذو الإكـرامِ للإنسـانِ

نصـرٌ وتأييـدٌ لنفـسٍ آمـنـتْ

حـتى تصيـر بنجـوةٍ وأمـانِ

ليسـتْ تجيء كمـا تريـدُ وكلمـا

رُمـت التحـدي لالتمـاس رهـانِ

فـإذا لمحـت وقوعهـا لمغـانـمٍ

فوسيلةُ استـدراج واستهجـانِ

***

تلـك الأمـورُ مـن التصـرُّف إن سمـتْ

وفـق الشريـعـة باكتمـالِ جنـانِ

فهـو السُّمـو إلى الـكمـالِ وسُلَّـمٌ

ترقـى عليـه الـروح للـديَّـانِ

علـمُ القُلُـوبِ وغسلـها مـع ملئهـا

بالطُّهـر والعرفـانِ والإيمـانِ

يهـدي إلـى ذوق الفضيلـة والتـقى

ومراتـب التوحـيـد والإيقـانِ

علـمٌ مؤيَّـد بالشريـعة كنُهُـهـا

ومـدعـم بشـواهـد القُـرآن

علـمٌ يُريـكَ مـن النفـوس دخيلهـا

ومـن الطـوايـا فتنـة الفـتَّانِ

يتغلبُ الشيطانُ أنَّى ينتهى

فيسدُّ توًا مسلك الشيطانِ

فهو الطبيب الباطنى لذى ضَنًا

ولهجةٍ ولهى وقلبٍ عانى

وإذا تعدَّى الشرع فهو ملفقٌ

ومعرَّضٌ للمقتِ والحرمانِ

فى سيرة السَّند الرسولِ المصطفى

ظهر التصوفُ ثابتَ الأركانِ

***

وهناك سؤال يطرح نفسه وهو: إلى متى، ومن الملوم؟

فحتى يفهم الناس ويفهم المتعلمون وخاصة علماء الدين التصوفَ على معناه الصحيح، فلا بد للأزهر الشريف بصفته أكبر جامعة إسلامية فى العالم تُعنى بدراسة العلوم الدينية وما يتفرع عنها، بالتعاون مع مشيخة الطرق الصوفية التى هى المهيمنة على الطرق الصوفية وتطبيق اللوائح والقوانين والحد من التغالى والبدع وتطهير الصوفية والتصوف مما دُسَّ عليه من الشبهات والخزعبلات وردِّه إلى قواعده التى بنى عليها أصوله ومبادئه، وعليهما سويًا - مشيخة الأزهر ومشيخة الطرق الصوفية - تقع مسئولية ترك الناس يتخبطون فى جهالاتهم ويهيمون فى أوهامهم، فلو أنهما تعاونتا على تدارك هذه الحالة المسيئة لظهر التصوف للناس فى مظهره الحقيقى، ولأقبل الجميع عليه علمًا وعملاً يلتمسون من نبعه الصافى دروس الحياة الأخلاقية والبديهية، ولسار السلوك الإنسانى فى طريقه القويم إلى سبيل الرشاد.

ولقد أصبح التصوف مادةً أصيلة تدرَّس فى جميع جامعات العالم المتمدن فى أوربا وأمريكا وفى الجامعات المصرية، وأصبح للتصوف الإسلامى بصفةٍ خاصة مركزاً ممتازاً لصلته بمكارم الأخلاق وبعلوم الكلام والفقه والتوحيد والتفسير والحديث والفلسفة وعلوم الأخلاق والتربية وعلم النفس الحديث.

ولنعرض لقضية الدُّعاء عند الصوفية، فنجد أنهم لا يقيدون الدعاء بل يطلقونه، إلا أن خصومهم يقيدونه فى مادته، فعند ابن تيمية وشيعته: أن الدُّعاء مقيد بالمأثور، ولقد وضع فى ذلك ابن تيمية كتابه: «الكلم الطيب»، أثبت مائتين وأربعين حديثًا من أدعية

رسول الله ﷺ، فى مختلف المناسبات والأوقات والأزمنة والأمكنة، وفى الحضر وفى السفر وفى السلم وفى الحرب، وقال: إنها أرفع وأعلى من دُعاء كل من دعا وإنها أوقع فى النفس وأدعى إلى طمأنينة القلب، وهى أبعد مدى لرفعة الروح وعروجها إلى حظيرة القدس .. ولا يشك مسلم فى هذا الوصف لأن مقام النبى ﷺ أعلى من مقام كل ولى ..

وكلهـم مـن رسـول اللـه ملتمـس

غرفـًا مـن البحـر أو رشـفاً مـن الدّيـم

وأعقبه تلميذه ابن القيم فأضاف إلى كتاب أستاذه بعض المأثور مما لم يُثبتُه شيخه وسماه «الوابل الصيب فى الكلم الطيب» وخرج فيه أحاديث «الكلم الطيب» وكان هَمُّ الاثنين صرف الناس عن أحزاب الصوفية لما لهما فيهم من نظرة سيئة.

أما الصوفية فلا ينكرون أفضلية المأثور لأفضلية النبى ﷺ وصحابته والتابعين وسلف الأمة، وعلى هذه الأفضلية طرَّز بعضهم أوراده بكثير من الأدعية المأثورة، إلا أنهم أطلقوا الدُّعاء بالمأثور وغير المأثور لاختلاف المناسبات واختلاف المطالب واختلاف الأزمنة والأمكنة، فأطلقوا لألسنتهم وأخلاقهم العنان بما يجيش فى صدورهم من باب الاجتهاد فى الدُّعاء، فجاءت أحزابهم مُعبرةً عن أذواقهم ومشاربهم ودرجة معارفهم وعلومهم وثمرة لقرائحهم ومقدرتهم على صياغتها من الأدب العربى، "وكل إناء ينضح بما فيه".

وكان ابنُ عطاء الله معاصراً لابن تيمية وتلميذه فجاراهما فى إثبات الأدعية المأثورة فى كتبه: «مفتاح الفلاح ومصباح الأرواح» و«تاج العروس فى تهذيب النفوس»، وفى «القصد المجرد فى الاسم المفرد» ثم بين رأى الصوفية فى إطلاق الدُّعاء وعدم تقييده، وبين الذكر وكيفيته وأوضاعه.

والدُّعاء مطلق حيث لم يرد نص فى القرآن الكريم بتقييده فكل دعاء عفو مباح، إلا مَنْ دعا بإثم أو قطيعة رحم، وقد ورد فى الأثر أن النبى ﷺ كان يحث على الاجتهاد فى الدُّعاء، وكان يحمد لكل مجتهد اجتهاده، بل كان يكافئ كل مجتهد على اجتهاده، إما بمكافأة مادية أو بمكافأة معنوية. فكانت عائشة رضى الله عنها تدعُو بما تشاء ولم ينكر عليها النبى ﷺ.

ولقد ورد فى بعض الأخبار أن النبى ﷺ مرَّ بأعرابى يدعو فى صلاته فيقول:

«يا مَنْ لا تراهُ العيون، ولا تخالطُه الظُّنون، ولا يصفُه الواصفون ..».

فكلف النبى ﷺ رجُلاً أتاهُ به بعد فراغه من صلاته وكان قد أهدى له ﷺ ذهب، فلما جاءه الأعرابى وهبه ﷺ هذا الذهب وقال له:

**«ذلك بحُسن ثنائك على الله».**

فكانت هذه مكافأة مادية للأعرابى لاجتهاده فى الثناء على الله فى الصلاة.

وأخرج الإمام أحمد برجالٍ من الثقاة عن النبى ﷺ : « أن رجلاً جاء إلى مجلس النبى ﷺ فقال:

« الحمدُ لله كثيراً طيبًا مباركًا كما يحب ربنا أن يُحمد وينبغى له ».

فاستعادها النبى ﷺ وقال:

**«والذى نفسى بيده لقد ابتدرها عشرة أملاك كلهم حريصٌ على أن يكتبها، فما دروا كيف يكتبونها بكثرة ثوابها، حتى لقد رفعوها لذى العزة فقال:**

**(اكتبوها كما قال عبدى، وعلىَّ جزاؤه بها).**

وهذه هى المكافأة المعنوية.

وروى النسائى وأحمد والترمذى وغيرهم قالوا: قال رسول الله ﷺ:

**« صلُّوا علىَّ واجتهدُوا فى الدُّعاء ».**

وفى حديث ابن مسعود ، قال:

« قال رسولُ الله ﷺ: **«إذا صلى أحدكم فليقُل التحيات .. ثم ليختر من الدعاء أعجبه إليه فيدعُو به».**

والحديث متفق عليه واللفظ للبخارى، وقيَّده صاحب « بلوغ المرام » بالدعاء بخيرى الدنيا والآخرة ».

وفى حديث فضالة: أن النبى ﷺ قال:

**«إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه، ثم يصلى على النبى ثم يدعُو بما يشاء».**

رواه أحمد والثلاثة وصححه الترمذى وابن حبان والحاكم.

وفى رأى الصنعانى: أن يدعو الدَّاعى ربه بأى لفظ شاء من مأثور وغير مأثور.

فإذا جاز للمُصلى فى الصلاة أن يدعوُ بما شاء وبغير الوارد المأثور، فكيف لا يجوز ذلك فى غير الصلاة؟ !! ..

فإذا أضفنا إلى ذلك العبارات والأدعية التى قد يتعذر على العامة بحثها أو التحرى عن صحتها، أو ما يتعذر حفظه وانتظاره لكان ذلك أدعى إلى إطلاق الدُعاء بأى صيغة وبأى تعبير وبأى أسلوب لغوى أو عامى، والمعوّل كله على الاتجاه إلى الله بنية حسنة وإخلاص قلب.

أما أحزاب الشيخ أبى الحسن الشاذلى فقد طرّزها بآيات من القرآن الكريم ومن المأثور من أدعية سيد المرسلين ﷺ، ومن غير ذلك، وجعل كل ذلك يُفسر بعضه بعضًا تحقيقًا لأفضليته وسنأخذ مثلاً من أوراد الشاذلى رضي الله عنه وأحزابه، وهو الحزب المسمى «بحزب الدعاء»:

**بسم الله الرحمن الرحيم**

بحمدك وثنائك ومجدك، أصبحتُ غريبًا فى أرضك، أعبدُك وأستعينُ بك، فاهدنى سُبُل السلام بالنُّور والبيان، أخرجنى من الظلمات إلى النور، واهدنى إلى صراط مستقيم، يا موجوداً قبل كل موجود، يا أول يا آخر، يا ظاهُر يا باطنُ، ضاقت على الأرضُ بما رحُبتْ، وضاقتْ على نفسى، لا ملجأ منك إلا إليك فتُب على لأتُوب، إنك أنت التواب الرحيم..

**ومن أدعيته عند المساء:**

أعوذُ بعظمتك وقدرتك وإرادتك وإحاطتك بكل شئ علمًا، من العيوب والذنوب والنقائص والوساوس والهواجس والخواطر والهم والفكر والقَدَر والإرادات والحركات، وأدخلنى فى حرزك وفى مأمنك وفى وكالتك وفى معاقلك وفى حمدك وثنائك ومجدك، واكشف لى عن حقيقة العبودية لك، وأيدنى بروح المعونة فيها منك، واهدنى بهداية النبيين والصديقين والشهداء والصالحين غير المغضوب عليهم ولا الضالين.

**ومن دعائه رضي الله عنه أيضًا:**

أعوذُ بعزة الله وقدرته، وبكلمات الله التامات العامات من شر ما كان وما هو كائن فى هذا اليوم وفيما بعده إلى يوم القيامة، وفى الدنيا وفى الآخرة، وفى الأزل وفى الأبد وأبد الأبد الذى لا غاية له، ومن شر ما لا يكون أن لو كان كيف يكون، وأعوذ بجلالك وجمالك وعظمتك وكبريائك ونورك وبهائك وسلطانك وقدرتك وإرادتك، ونفوذ مشيئتك وجميع أسمائك وصفاتك ونُعوتك وأخلاقك وأنوارك وبذاتك القائمة بجلالك، من شر ما أجدُه وأحاذره ومن شر كل معلوم هو لك، أنت ربى وعلمك حسبى فأعطنى من سعة رحمتك على سعة علمك، فهى التى لم تدع للخير مطلبًا، ولا من الشر مهربًا، آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسُله واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، والكلمات المتفرقة عن كلمته، القائمة بذاته، غفرانك ربنا وإليك المصير، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

**ومن أدعيته** رضي الله عنه: دعوة بسم الله الرحمن الرحيم يا الله (ثلاثًا)، يا رب (ثلاثًا) يا رحمن (ثلاثًا) يا رحيم (ثلاثًا) لا تكلنى إلى نفسى فى حفظ ما ملكتنى لما أنت أملك به منى، وامددنى بدقائق اسمك الحفيظ الذى حفظت به نظام الموجُودات، واكسنى بدرعٍ من كفايتك، وقلدنى بسيف نصرك وحمايتك، وتوِّجنى بتاج عزك وكرامتك، وردِّنى برداءٍ منك، وركبنى مركب النجاة فى المحيا وبعد الممات، وامدُدْنى بدقائق اسمك القهار، تدفعُ به عنى مَنْ أرادنى بسوء من جميع المؤذيات، وتولنى ولاية العز يخضعُ لى بها كل جبار عنيد، وشيطان مريد، يا عزيز يا جبار (ثلاثًا) ، اللهم ألق علىَّ من زينتك ومحبتك ومن شرف ربوبيتك، ما تشهد به القلوب وتذل به النفوس وتخضع له الرقاب وترق له الأبصار وتعدو له الأفكار ويصغر له كل متكبر جبار، يُسخر له كل ملك قهار، يا الله يا ملك يا عزيز يا جبار (ثلاثًا) يا الله يا واحد يا أحد يا قهار، اللهم سخر لى جميع خلقك كما سخرت البحر لموسى عليه السلام، ولين لى قلوبهم كما لينت الحديد لداود عليه السلام، فإنهم لا ينطقون إلا بإذنك، نواصيهم فى قبضتك، وقلوبهم فى يدك، تصرفهم حيث ما شئت، يا مقلب القلوب (ثلاثًا) يا علام الغيوب (ثلاثًا) أطفأت غضب الناس بلا إله إلا الله، واستجلبت رضاهم بسيدنا ومولانا محمد ﷺ ..

﴿ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾[يوسف:٣١].

**ومن أدعيته** رضي الله عنه :

اللهم آتنى عقلاً لا يحجبنى عنك وعن فهم آياتك، وعن فهم كلام رسولك ﷺ ، وهبْ لى من العقل الذى خَصَصْتَ به أولياءك ورسلك وأنبياءك والصديقين من عبادك، واهدنى بنورك هداية المخصصين بمشيئتك ووسع لى فى النور توسعة كاملة تخصنى بها برحمتك، فإن الهدى هداك وإن الفضل بيدك تؤتيه من تشاء وأنت الواسع العليم، تخص برحمتك من تشاء وأنت ذو الفضل العظيم، اجعلنى عندك دائمًا وبك قائمًا ومن غيرك سالمًا ، وفى حُبك هائمًا وبعظمتك عالمًا ، وأسقط البين بينى وبينك حتى لا يكون شىء أقربُ إلى منك، ولا تحجبنى بك عنك إنك على كل شئ قدير.

اللهم هب لى من النور الذى رأى به رسولك ﷺ ما كان وما يكون، ليكون العبدُ بوصف سيده لا بوصف نفسه غنيًا بك عن تحديد النظر لشىء من المعلومات ولا يلحقه عجز عما أراد من المقدورات ومحيطًا بأنواع السر بجميع أنواع الدعوات، ومربيًا للبدن مع النفس، والقلب مع العقل، والروح مع السِّر، والأمر مع البصيرة والصفات مع الذات، والعقل الأول الممتد عن الروح الأكبر المنفصل عن السِّر الأعلى إنك على كل شىء قدير.

**ومن أدعيته أيضًا:**

اللهم يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه، اجمع بينى وبين طاعتك على بساط مشاهدتك، وفرِّق بينى وبين هم الدنيا وهم الآخرة، وتُب عنى فى أمرها، واجعل همى أنت واملأ قلبى بمحبتك ونوره بأنوارك، وخشِّع قلبى بسلطان عظمتك ولا تكلنى إلى نفسى إنك على كل شىء قدير.

اللهم يا من خلق الخَلْق من غير حاجة إليهم، وكلُّهم إليه له الحاجة، لا تبتلينا بالحاجة يا جليل يا جميل، كُن لى باللطف الذى كنت به لأوليائك، وانصرنى بالرعب الشديد على أعدائك.

اللهم بحق اسمك المجيد اطْوِ لنا البعيد وسهل علينا كل صعب شديد، يا الله، يا الله، يا رباه، يا مغيث من عصاه، أغننا يا كريم، وارحمنا يا بر يا رحيم.

اللهم إنى أسألك توحيداً ليس له ضد، ويقينًا لا يخالطه شك، يا من فضل أنعامه أنعام المُنعمين وعجز عن شكره شكر الشاكرين، يا مَنْ به إليه توسلتُ وعليه فى السراء والضراء توكلت، حاجاتى مصروفة إليك وآمالى موقوفة عليك، فكلما وفقتنى إليه من خير أحملُه وأطيقُه فأنت الهادى إليه ومعينى وسبب أسبابى لديه يا كريم، لا تؤودُه المطالب، ويا سيداً يلجأ إليه كل قاصد وراغب ما زلتُ محفوفًا منك بالنعم جاريًا على عادة الإحسان والكرم.

ومع أن الدُّعاء واجب والسؤال محمود إلا أن الصوفى الكامل يدعو الله ويسأله ويلح فى الدعاء والسؤال امتثالا لأمر الله، ولا يسأل شيئًا معينًا فهو يتحقق بأن كل شىء قد قدر أزلاً وسيكون على نحو ما قدر، سواء كان ذلك طاعة أو معصية أوخيراً أو شراً أو حسنًا أو قبيحًا وهو يؤمن أيضًا أن هناك أشياء لا تُنالُ إلا بالدعاء والسؤال.

ورُبَّ قائل يقول: إن السؤال عديم الأثر والفائدة لأن كل شىء قد قدر أزلاً وسيكونُ على نحو ما قدر فإذا قيل: إن الدعاء سببٌ فجُل حكم الأزل أن يضاف إلى الأسباب والعلل. فلا يصح الظن بأن الصوفية يتفقون مع هذا الرأى، فإنهم رغم عدم سؤالهم لشىء معين إلا أنهم يلحون فى الدعاء والسؤال امتثالا لأمر الله تعالى ويفوضون إليه إجابة ما يشاء لا ما يشاءون ﴿لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾[الأنبياء:٢٣] والإجابة عنده محققة إما عاجلاً أو آجلاً فإن لم يسعف الداعى بمطلوبه لعدم موافقة الدعاء المبرم فإن الله سيُعطى الداعى سكينة وانشراحًا فى صدره وصبراً على تحمل ما يرد عليه من البلاء.

**قال الفخر الرازى:**

«إنما يستجاب من الدعاء ما وافق القضاء، وقد قيل: إن الداعى يعوض عن دعائه عوضاً، وربما كان إسعافه بمطلوبه إذا وافق القضاء، أعطى الداعى سكينة فى قلبه وانشراحًا فى صدره، وصبراً يتحمل به الانتظار للآجل.

والصوفى متى كان فى مقام الطلب كان مشغولاً بنفسه وقد ورد فى الحديث عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال:

**«ما من مؤمن منصُب وجهه لله فيسأله مسألة إلا أعطاه إياها إما عجلها له فى الدنيا، وإما أخرها له فى للآخرة».**

أما أحزاب الصوفية وأدعيتهم المتعددة فإنها تؤكد إيمانهم بوجوب الدعاء والسؤال، وإن كان العارفُ قد استغنى عن سؤال شىء معين، فإنما استغنى عنه اكتفاءً بحسن اختيار الحق له فيما قضاه أزلاً، فهو لا يتصور فى عدم سؤال المعين فوات مأمول، فقد يستحى العالم أو العارف أن يطلب من الله شيئًا معينًا فيكونُ ذلك مع غير مشيئته تعالى، فيسكت عن المعين أدبًا مع الله، ورضاءً بقسمته وتفويضًا وتسليمًا بما تجرى به الأقدار.

والعارفون يلحون فى السؤال والدعاء وهم ساكنون مطمئنون ينتظرون مشيئة الله فيهم، فإن أجاب قبلوا، وإن تأخرت الإجابة صبروا، وإن منحوا رضوا وأحسنوا الظن بالله فمهمتهم لا تتعلق بالإجابة العاجلة أو الآجلة وإنما تتعلق بامتثال أمر الله.

إن قلب الصوفى الكامل ليتوجه إلى الله مع مدى استعداده الروحى، فقلبه هو المرآة التى بها يتجلى الحق، وهو يؤمن أن التجلى الإلهى يتغير كل لحظة، فاللحظة التى يكون فيها قلب الصوفى حاضراً مع الله يدرك فيها ناحية من نواحى استعداده يتهيأ للدعاء ويستعد له .. وبمعنى آخر: إذا كُشف له أن ادع لفلان، دعا فأجيب، وإن قيل: وادع ضد فلان دعا فاستجيب له كذلك.

وقد قسم الشيخ أبو الحسن الشاذلى الخاصة من السالكين ثلاثة أقسام:

١- سائل يسأل عن التصديق بتحقيق القُرب.

٢- وسائل يسأل عن التحقيق برفع الحجاب.

٣- وسائل يسأل عن (النيابة) عن الله، بالفناء عن نفسه.

## اصطلاحات صوفيّة

ذكر أهلُ الفن اصطلاحات وألفاظ تداولها بينهم أهلُ الصوفية تقريبًا لفهم المعانى:

- ومنها: السَّير، والرحيل، وذكرُ المنازل والمناهل، والمقامات ..

- ومنها: الرجوعُ والوُقوف ..

وكل ذلك كناية عن مجاهدة النفوس ومحاربتها وقطع العوائق والعلائق عنها، أو الوقوف مع شيء منها «لولا ميادين النفوس ما تحقق سيرُ السائرين».

- ومنها: الوُصول والتمكين والسكون والطمأنينة.

- ومنها: المشاهدة، والمكالمة والمجالسة، والمساورة.

وغير ذلك، وكل ذلك كناية عما أدركته أرواحهم من عظمة الحق وجلاله ..

ومعنى «الوصول» عندهم: تحقيق العلم بوجُوده وحده ..

فوصولُكَ إليه هو شعورك بعدمك، حتى يكون عَدَمُك عندك ضروريًا، وعلمُك بوجوده كذلك، وهذا الأمرُ كان حاصلاً لك فى نفس الأمر، لكن لم تشعر به، وفى هذا المعنى، قال بعضهم:

| | |
|---|---|
| بيـن طلُـوعٍ ونُـزولْ | تخيلْـتُ للغَـزُولْ |
| افـن مـن لـم يكـنْ | بيـن مـن لـم يـزولْ |
| جـولْ كـى تـزولْ | أو امـش نَـزْع الفحُـولْ |

**فالزوال:** هو المعرفة، وهو معنى الوصول ..

وسببها جولان الفكرة، ولذلك أمره بها.

وقال أحد العارفين: «النّاسُ كلّهم يشاهدون ولا يعرفون».

وقال آخر: «النّاسُ كلهم فى بحر «أى بحر الوحدة» ولكن لا يشعرون».

فوُصولُ العبد إلى الله هو تحقيقُ العلم بوجوده والغيبة عن نفسه، وعن كل ما سواه، وجل ربنا: أى تعالى وترفع أن يتصل به شيء للزوم تحيّزه، أو يتصل هو بشيء للزوم افتقاره وحصره .. تعالى الله عن ذلك عُلواً كبيراً.

واعلم أن هذا العلم بالله يكون كسبيًا، ثم لا يزالُ يغيب عن نفسه وحسه، سكرة بعد سكرة، وحيرة بعد حيرة، حتى يصحو ويتجلى عنه ضباب الحس، وسحابُ الجهل وظلمة النفس، فتشرق عليه شمس النهار، وتنجلى عنه ظلمة الأغيار ..

وفى ذلك قيل:

لــيلٌ بوجهــك مُشـــــرق وظلامُــهُ فى النــاس ســارْ
النــاسُ فى سدفِ الظـلام ونحـــن فـى ضـــوء النّهــارْ

أى ليل وجودى صار مشرقًا مضيئًا بسبب شهود ذاتك .. وظلامُ ليل القطيعة سار فى جُل الناس .. الناس فى جوف ظلمة الأكوان، ونحن فى ضوء شموس العرفان ..

ثم لا يزال فى تربية الشيخ وتحت حضانته ومدده، سار إليه بقدر صدقه حتى يُسلم له خصيم الفرق الظلمانى، وينفرد النورانى، ويحس ذلك من نفسه فحينئذ يقولُ بلسان الحال:

أقر الخَصْمُ فارتفع النزاع ..

فإذا انفرد الخصم النورانى استمد من كل شىء، وشرب من كل شىء، وأخذ النصيب من كل شىء، فيبقى وصوله إلى الواسطة شكراً وإحسانًا ..

قال تعالى:

﴿ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ ﴾[ لقمان :١٤ ].

ويُنشد حينئذٍ بلسانِ حاله ومقاله:

الحمــدُ للـــه لا تفنــى محامـده
والحمدُ لله فى الأعمال والبـكرِ
مَنْ يهده الله أضحى عالماً فطنًا
بالله فى كل ما يبـدو من الصـورِ
يا طالب الوصل بالنفس ملتفتًا
عنها إلى منزل الأشـياء بالقـدرِ
فإن ظفرت فأنـت الفـرد والعلم
المنعوتُ بالحُسنِ والحُسنى لذى نَظَرِ

ومن اصطلاحاتهم أيضًا:

ذكرُ: القُرب، والاستشراق، والمراقبة ..

«قربُك منه أن تكون شاهداً لقربه».

إذا حققت أنّ الأكوان ثابته بإثباته، محوة بأحدية ذاته، علمت علم اليقين أن الأكوان والمكان والزمان لا وجود لها، وأن الحق كما كان وجوده وحده، ولا أين، ولا مكان، بقى

كذلك: لا أين ولا مكان ولا زمان، نُورُ أحديته محا وجود الأكوان، فانتفى بوجوده الزمان والمكان، ولم يبق إلا الواحد المنان ..

وفى البخارى، عنه ﷺ قال:

**« يقولُ الله تعالى: يسبُّ ابن آدم الدهر، وأنا الدهر بيدى الليل والنهار».**

فالوجود الحقيقى .. إنما هو لذاته وأثر صفاته، تجلى واستتر، واختفى فيما ظهر..

فاذا علمت هذا، علمت أنه تعالى قريب من كل شىء محيط بكل شىء، ولا شىء إلا الذى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾[الشورى :١١].

لكن حكمة الحكيم أثبتت الحادث والقديم ..

فمن فتح الله عين بصيرته شهد عدمه لوجوده، فأبصر الحق مُحيطًا به، وماحيًا لوجوده .. ومَنْ طمس الله عين بصيرته لم ير إلا الفرق، ولم يدرك إلا البعد، فإذا أراد الله أن يقربه إليه فتح شعاع بصيرته، فيبصر الحق قريبًا منه ومحيطًا به.

وقد روى أن الشيخ أبا الحسن الشاذلى رضي الله عنه قال يومًا بين يدى أستاذه عبد السلام ابن مشيش رضي الله عنه: «اللهم اغفر لى يوم لقائك» فقال له شيخه:

«هو أقربُ إليك من ليلك ونهارك، ولكن الظالم أوجب الظلام، وسبق القضاء حكم الزوال عن درجات الأنس ومنازل الوصال، وللظالم يوم لا يرتابُ فيه ولا يحتال، والسابق قد وصل فى الحال: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[مريم :٣٨] ؛ فمعنى قربك من الحق أن تكون مُشاهداً لقُربه منك، قُرْب وجودٍ وإحاطة، وذلك بعد أن تلطفت عوالمك وفنيت دائرة حسك، وحينئذٍ يتحقق قربك منه ..

قال تعالى:

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ ﴾[الإسراء :٦٠].

وقال تعالى :

﴿ .. يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾[فصلت : ٥٣].

وإذا لم تعتقد هذا .. واعتقدت وجُود نفسك وثبوت حسك الواهى، فلا تشاهد إلا البُعد، فمن أين أنت ووجود حسك وقُربك الحسى من نوره اللطيف حتى تراه بعين الحس .. فما دُمت فى عالم الأشباح فأنت بعيدٌ عن عالم الأرواح فى حال قربك منه، كما قال القائل:

ومن عجبٍ انى أَحنُّ إليهمو

وأسأل شوقًا عنهمو وهُمُو معى

وتبكيهمُو عينى وهـم بسـوادها

ويشكو النوى قلبى وهم بين أضلعى

فسبحان من أبعد قومًا فى حال قربهم، وقرب قومًا من غير بعدهم، فالقرب فى الجملة على ثلاثة أوجه:

**١- قربُ الكرامة:**

وهو تقريب الحق عبده حتى يكون شاهداً لقُربه منه، فيتولاه دون سواه.

**٢- قرب الإحاطة:**

إحاطة العلم والقدرة والإرادة، وعموم التصرف وهذا قرب الحق من عبده .

**٣- قربُ المناسبة والمسافة:**

ولا يصح فى جناب الربوبية لاستحالة المسافة عليه، ونفى مناسبة العبد للرب، فتقدير الكلام قُربُك منه على وجه الكرامة أن تكون مشاهداً لقُربه منك على وجه الإحاطة..

وإلا فمن أين أنت ووجود قربه على وجه التناسُب والمسافة؟ ..

ومَنْ حصل على مقام القُرب والوُصول ترد عليه الحقائق العرفانية، والأسرار الربانية، والعلوم اللدُنية:

- تارة تردُ جملة ثم يقع التفصيل.
- وتارة ترد مفصلة وهو غالب واردات أهل التمكين.

والغالب أن هذه الواردات إنما ترد بعد الفتح والوصول ..

ولذلك قلنا: الأحسنُ لو قُدم مقامُ القُرب ثم يُذكر مقام الوُصول ..

«الحقائق ترد فى حال التحلى مجملة، وبعد الوعى يكون البيان، ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿١٩﴾ ﴾[القيامة:١٨-١٩].

**الحقائق** هى ما يرد على قلب العارف من تجليات للعلوم والحكم والمعارف:

- فتارة تكون علومًا.
- وتارة تكون حكمًا ومعارف.
- وتارة تكون كشفًا بغيبٍ كان أو سيكون.

وحكمة ذلك أن الروح إذا تخلصت وتصفَّت من غبش الحس، كان غالبُ ما يتجلى فيها حقًا.

إن هذه الحقائق قد ترد فى حال التجلى مُجملة فيُقيدها الإنسان كما تجلب، ثم يتفكر فيها فيتبين معناها، فبعد الوعى، وهو الحفظ، يأتى البيان.

ثم استدل بآية الوحى لأن الوحى على أربعة أقسام:

١- وحى إلهام. ٢- ووحى منام.

٣- ووحى إعلام. ٤- ووحى أحكام.

فشاركت الأنبياء والأولياء فى ثلاثة:

وحى إلهام، ووحى منام، ووحى إعلام وهو الفهم عن الله .. وانفرد الأنبياء بوحى الأحكام.

فالأولياء لهم وحى الإلهام ويكون أولاً مُجملاً فى القلب، فإذا قرأه، أظهر تتبعه وبينه ..

قال تعالى:

﴿ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴾[القيامة:١٨]، كما قرأناه عليك .. ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾[القيامة:١٩] حتى تفهمه وتُبينه للناس.

وكان ﷺ يعالج من التنزيل شدةً مخافة أن ينساه :

- فإذا نزلتْ الآية كان يستمع لجبريل.

- فإذا فرغ قرأه كما أنزل.

فالوحى الذى هو «وحى أحكام» مصون لا يُنسى، بخلاف وحى الإلهام ..

فلذلك ينبغى للولى أن يُقيد تلك الواردات قريبًا، فإن الحكمة فى حال التجلى تكون كالجبل، فإذا غفل عنها ترجع كالجمل، فإذا غفل عنها بعدُ رجعت كالثور، ثم ككبش، ثم كالبيضة ثم تغيب.

ولذلك كان معظم العارفين بالله لا تُفارقهم الدواةُ والقلمُ والقرطاس ليُقيد المواهب، وكانوا يأمرون الجميع بذلك.

وكان بعض العارفين يقول لأصحابه:

«إذا كنت أتكلم عليكم، أكون أستفيدُ من نفسى ما يجريه الله على لسانى، كما تستفيدون أنتم منى».

وفى ذلك يقولُ ابن الفارض رضي الله عنه :

**ولا تكُ عن طيشته طروسة**

**بحيث استخفت عقله واستفزتِ**

**فثم وراء العقل علم يدق عن**

**مدارك غايات العقول السليمةِ**

**تلقيته منى وعنى أخذته**

**ونفسى كانت من عطائى مُمدتى**

وكان الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه إذا استغرق فى الكلام وفاضت عليه العلوم يقول: «هلا رجل يقيد عنا هذه الأسرار، هلموا إلى رجل صيره الله بحر العلوم».

وكان يحضر مجلسه أكابر وقته كعز الدين بن عبد السلام وابن الحاجب وابن عصفور وابن دقيق العيد وعبد العظيم المنذرى، وكان عز الدين بن عبد السلام إذا سمع كلامه يقول: «هذا كلام قريبُ عهد باللّه».

وكان الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد يقول:

«والله ما رأيتُ أعرف بالله من أبى الحسن الشاذلى رضي الله عنه :

وكان فى كل سنة يطلع إلى القاهرة ويجتمع عليه مشايخ القاهرة ومصر، ومَنْ بتلك الناحية، فيفيض عليهم بالعلوم والمواهب الربانية والأسرار اللدُنية.

فلما مات رضي الله عنه وخلفه أبو العباس المرسى رضي الله عنه، جعل يطلع للقاهرة كما كان يفعل شيخه، فاجتمع إليه جماعة من أكابر مصر وعلمائها وقالوا: يا شيخ .. كان الشيخ أبو الحسن إذا جاء إلى هذا الموضع، يجىء عندنا ونتبرك بقدومه وما نسمع منه من المواهب الإلهية، وأنت قد أقامك الله مقامه، فنحب أن نتبرك بكلامك ..

فقال لهم: ان كان صبيحة غد نجىء إليكم إن شاء الله فلما كان صبيحة غد أمر أصحابه بالسير إلى مصر وأمر بحمل رسالة القشيرى رضي الله عنه ..

قال ابن الصباغ: فحملتها، ووصلنا إلى جامع عمرو بن العاص فوجدناه قد امتلأ بأكابر أهل مصر وعلمائها.

فقال لى الشيخ أبو العباس: مُنتقد ومُعتقد .. قال: فجلسنا بشرق الجامع .. فقال الشيخ أبو العباس: أخرج رسالة القشيرى .. فأخرجتها .. فقال: اقرأ ..

فقُلْتُ: وما أقرأ ؟

قال: الذى يظهر لك ..

ففتحنا الكتاب، فوجدنا «باب الفراسة» ..

فقرأت أول الباب .. فلما فرغت من حديث رسول الله ﷺ، قال لى: أغلق الكتاب..

ثم قال: الفراسة تنقسم إلى أربعة أقسام:

١- فراسة المؤمنين. ٢- فراسة الموقنين.

٣- فراسة الأولياء. ٤- فراسة الصديقين.

فأما فراسة المؤمنين، فحالها كذا وكذا، وحددها من كذا ..

ثم تكلم بكلام عظيم ..

ثم انتقل إلى فراسة الموقنين .. فتكلم بطبقة أعلى ثم قال: وأما فراسة الأولياء فمددُها من كذا، وحالُها من كذا ..

وتكلم فى ذلك بكلامٍ موهوبٍ غير مكسوب، أذهب عُقول الحاضرين، واستغرق بذلك إلى أذان الظهر، والناس يبكون ..

ورأيتُ العرق ينحدر من جبينه حتى ينحدر على لحيته، وكانت لحيته كبيرة.

وقال فى «لطائف المنن»:

وكنتُ أنا لأمره من المنكرين، وعليه من المعترضين لا لشىء سمعته منه، ولا لشىء صح نقله عنه، حتى جرت مقالة بينى وبين بعض أصحابه، وذلك قبل صحبتى إياه، وقلتُ لذلك الرجل: ليس إلا أهل العلم الظاهر، وهؤلاء القوم يدعون كلامًا وأموراً عظامًا، وظاهر الشرع يأباها، فقال لى ذلك الرجل: بعد أن صحبت الشيخ، تدرى ماذا قال لى الشيخ يوم تخاصمنا؟

قلت: لا ..

قال: دخلتُ عليه، فأول شىء قاله لى:

هؤلاء كالحجر ما أخطأك منه خير مما أصابك.

فعلمت أن الشيخ كوشف بنا.

قال: ولعمرى لقد صحبت الشيخ اثنى عشر عامًا فما سمعتُ منه شيئًا يُنكره ظاهرُ العلم من الذى كان ينقله عنه من كان يقصد الأذى ..

وكان سببُ اجتماعى به أن قلت فى نفسى - بعد أن جرت المخاصمة بينى وبين ذلك الرجل - دعنى أذهب فأرى هذا الرجل، فصاحب النفس الأمارة لا يُخفى شأنها، فأتيت إلى مجلسه فوجدته يتكلم فى الأنفاس التى أمر الشارعُ بها فقال:

الأول: إسلام.

والثانى: إيمان.

والثالث: إحسان ..

وإن شئت قلت:

الأول عبادة، والثانى عبودية، والثالث عبودة ..

وإن شئت قلت: الأول شريعة والثانى حقيقة والثالث تحقق.

فما زال يقول: وإن شئت قلت .. وإن شئت قلت .. حتى أبهر عقلى، وعلمتُ أن الرجل إنما يغرف من فيض بحر إلهى، ومدد ربانى، فأذهب الله ما كان عندى إلى آخر كلامه.

فهذه الحقائق التى يُفيضها الله على قُلوب أوليائه، فينطقون بها فتكون أولاً مجملة فإذ حُفظت وتقيدت تبين معناها، فمنها ما تدركه العقول، ويطابق المنقُول ..

ومنها ما لا تفهمه العُقول فتكلها إلى أربابها، ولا تنتقدها عليهم بمجرد سماعها .. وانظر قول ابن الفارض رضي الله عنه :

**فثم وراء النقل علم يدق على**

**مدارك غايات العقـول السليمة**

ومع ذلك كان الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه يقول:

«إذا عارض كشفك الصحيح الكتاب والسنة، فاعمل بالكتاب والسنة ودع الكشف .. وقل لنفسك : إن الله تعالى ضمن لى العصمة فى الكتاب والسنة، ولم يضمنها لى فى جانب الكشف والإلهام» ..

ومثل هذا أيضًا قولُ الجنيد:

«إن النكتـة لتقـع فى قلبى من جهة الكشف فلا أقبلُها إلا بشاهدى عدل: «الكتاب والسنة».

ولا يلزم من عدم العمـل بها انتقادهـا على أهلهـا فإن العلـم واسـع، لـه ظاهر، وله باطن..

فإن لم تفهم فسلم، ودع ما تعرف لما لا تعرف ..

وكان الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضي الله عنه يقول:

« من آداب مجالسة الصديقين أن تفارق ما تعلم لتظفر بالسر المكنون ».

يعنى إن أردت أن تظفر بما عندهم من السر المكنون فأسقط عنهم الميزان فى أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم ..

وأما ما دُمت تزن عليهم بميزان علمك فلن تشم رائحة من سرهم:

ولله در قائلهم:

| | |
|---|---|
| شمس الشريعة تحيينا | بدر الحقيقة يمحونا |
| وكل ذائق يعرفنا | ومن عرفنا يهيم فينا |
| وعلمنا فيض ربانى | خضرى لدنى رحمانى |
| ومن يذق قطرة واحدة | من علمنا صار ربانى |
| نحن الطلاسم والألغاز | كسر ميزانَك تعرفنا |

فإن أردت يا أخى أن يهبَّ عليك نسيم أسرارهم ونفحات مواهبهم:

- فدع ما تعرف إلى ما لا تعرف.
- واغتسل من علمك وعملك ..

حتى تبقى فقيراً إلى ما عندهم كما فعل الإمام أبو الحسن الشاذلى رضي الله عنه ..

فمما روى عنه رضي الله عنه:

أنه طلع إلى الشيخ ابن مشيس رضي الله عنه بالميزان، فلم يشم رائحة الولاية ..

فرجع ثم طلع إليه ثانيا كذلك، فرجع كما طلع ..

فلما أسقط الميزان واغتسل من علمه وعمله وطلع فقيراً أغناه الله ..

قال له الشيخ ابن مشيش:

« يا أبا الحسن طلعت إلينا فقيراً من علمك وعملك فأخذتَ منا غنى الدارين ».

ثم إن هذه الواردات التى تتجلى بالحقائق والعلوم إنما هى واردات أهل النهاية ..

وأما واردات أهل البداية . فإنها تأتى قوية قهارية :

- إما بخوف مزعج ..
- أو بشوق مقلق ..

لترحله عن شهواته وعوائده ..

«**متى وردت الواردات الإلهية إليك هدمت العوائق عليك،**﴿ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا ﴾[ النمل :٣٤].

**فالوارد الإلهى** – هو قوة شوق أو اشتياق أو محبة يخلقها الله فى قلب العبد، وقد تنشأ قوة خوف أو هيبة، أو جلال، فتزعجه تلك القوة إلى النهوض إلى مولاه، فيخرج عن عوائده وشهواته وهواه، ويرحل إلى معرفة ربه ورضاه، وقد تترادف عليه أنوار تلك المحبة والشوق، فتغيبه عن حسه بالكلية، وهو الجذب، وإنما جمع الواردات باعتبار تلك المحبة والشوق، فإنها لا تهدم عوائدها إلا إن كثرت وتزايدت، وتسمى هذه الواردات أيضًا « نفحات » قال ﷺ : «**إن لله نفحات فتعرضوا لنفحاته**».

فمن لم ترد عليه هذه الواردات اختياراً فليتعرض لها بصحبة العارفين، أهل الإكسير الذى يقلب الأعيان، فإن صحبهم، ولم ترد عليه، فليخرق عوائد نفسه من الظاهر فإنها تدخل منه إلى الباطنى، التى وردت عليك حينئذ، تلك **الواردات الإلهية** هدمت العوائد عليك وأفسدتها عليك ولديك، فترد عزك ذلاً، وغناك فقراً وجاهك خمولاً، ورياستك تواضعًا وحنواً، وكلامك صمتًا، ولذيذ طعامك خشنًا، وشبعك جوعًا وكثرة كلامك صمتًا، وقرارك فى بلدك سياحة وسفراً.

وهكذا شأن **الورود الإلهى** يخرب العوائد ويهدمها فهو كذلك جبار ذا جيش طغاة دخل قرية أو مدينة فأفسد بناءها وغير عوائدها ..

قال تعالى:﴿ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا ﴾[ النمل :٣٤].

أى نزعوها وخرّبوها ..

﴿ وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً ﴾[ النمل : ٣٤ ].

أى رؤساءها أتباعًا مرءوسين ..

﴿ وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾[ النمل :٣٤].

أى هذا شأنهم ..

والاستشهاد بهذه الآية فى غاية الحُسن والمناسبة.

«**الوارد يأتى من حضرة قهار لأجل ذلك لا يصادمه شىء إلا دمغه،** ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾[ الأنبياء :١٨ ]».

إنما كان الوارد الذى يرد على قلوب السائرين أو الطالبين قويًا شديداً لأنه يأتى من حضرة اسمه تعالى «القهار» ليدمغ بقهريته كل ما وجد فى النفس أو القلب من الأغيار، وإذا قلنا من حضرة اسمه «القهار» لأن الحق تبارك وتعالى له حضرات بعدد أسمائه:

١- فاسمه تعالى «القهار» يتجلى من حضرة قهريته.

٢- واسمه تعالى «الجميل» يتجلى من حضرة جماله.

٣- واسمه تعالى «الجليل» يتجلى من حضرة جلاله.

٤- واسمه تعالى «الرحيم» يتجلى من حضرة رحمته.

٥- واسمه تعالى «الحليم» يتجلى من حضرة حلمه.

٦- واسمه تعالى «الكريم» يتجلى من حضرة كرمه.

وهكذا، فكل اسم يخرج تجليه على وفق حضرته ..

قال تعالى: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ ﴾[الحجر: ٢١].

ولو كان هذا الوارد الذى يردُ على قلوب أهل البداية من حضرة الرحيم أو الحليم أو الجميل ما أمكن أن يدفع بحكمة الله ما صادمه من الباطل ..

وقد شبهوا «الباطل» وهو كل ما سوى الله، بحيوان له دماغ، فإذا ضرب دماغه وتشتت مات كذلك الباطل إذا صادمه الحق أهلكه وتشتت دماغه، فالوارد الإلهى حق محض، فإذا صادم الباطل دمغه وقتله، ولذلك أتى بالآية التى نزلت فى شأن القرآن مع الكفر، فإن الكفر تشتت واضمحل حين نزل القرآن كذلك السِّوى، إذا تجلى الحق بقهرية نوره تشتت واضمحل أيضًا ..

وكان الشيخ أبو العباس المرسى رضي الله عنه كثيراً ما يُنشد هذه الأبيات فى هذا المعنى:

فلو عاينتْ عيناك يـــوم تزلزلتْ
أرضُ النفـوس ودُكــت الأجـبـالُ

لرأيت شمس الحق يسطعُ نورُهـا
عنـد التزلزلِ والرجــالُ رجــالُ

قال: والأرض: أرض النفوس .. والجبالُ: جبالُ العقل.

يعنى أن الوارد لإلهى إذا ورد قويًا من حضرة قهاريته تعالى، دك وجود النفوس، ودُكت منه جبال العقول، فيكشف له حينئذ عن أسرار خارجةٍ عن مدارك العقول غير مدركة

بعبارة العقول فيصر صاحب هذا الوارد كله حقًا لا يُصادمُ شيئًا إلا دمغه، وهذا المعنى قصده الشيخ ابن مشيش حين قال:

«واقذفْ بى على الباطل فأدمغه».

طلب أن يكون حقًا محضًا يُقذفُ به على السوى فيدمغه فإذا ذهب السوى واضمحل بقى الحق الذى لا يفنى، ظاهراً لا يخفى ..

**«كيف يحتجب الحق بشىء، والذى يحتجب به هو فيه ظاهر وموجود حاضرٌ».**

فقد تقرر أن الحق سبحانه وتعالى ليس محجوبًا بشىء ولا يصحُ أن يحتجب بشىء، إذ لو احتجب بشىء وجودى لكان ذلك من أثر قدرته، وقدرته لا تفارق ذاته فالصفة لا تفارق الموصوف، فما ظهر شىء من بحر الجبروت إلا كان نوراً من أنواره، وأثراً من أثر صفاته ..

وقد قال صاحب العينية:

**فأوصافه والاسم والأثر الذى**

**هو الكون عين الذات والله جامع**

فلا يصح تصور الحجاب فى حقه تعالى مع أنْ كل ما يبرز من عنصر القوة والقدرة كله نور من نور ملكوته، فائضًا متدفقًا من بحر جبروته، فتحققت الوحدة وانتفى الحجاب بالكلية ..

فكل موجود، نور الحق فيه حاضر موجود.

ثم إن الواردات هى الأحوال ..

والأحوال نتائج الأعمال فى الغالب، والعمل منه ما يجد العامل ثمرته، وهو الحال والحلاوة.

ومنه ما لا يجد ثمرته عاجلاً، فلا ينبغى تركه ولا ييأس من ثمرته ولا من قبوله..

**«لا تيأس من قبول عمل لا يجد فيه وجود الحضور فربما قبل من العمل ما لم تدرك ثمرته قريبًا».**

من وجد ثمرة عمله عاجلاً فهو دليل على وجود القبول، ولا يقتضى المفهوم أنه إن لم يجد ثمرته فليس بمقبول، بل هو مسكوتٌ عنه، فإن توفرت فيه شروط القبول من جهة الشريعة إن صحبه الإخلاص والتقوى والإتقان فهو مقبول عند الله إن شاء الله سواء وجد ثمرته أم لا ..

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾[ المائدة :٢٧ ].

وقال المصطفى ﷺ: «لا يقبلُ الله من مسمع ولا مُراء».

فإذا كنت متقيًا لله فى ظاهرك وباطنك على قدر استطاعتك، ومخلصًا لله فى كل أعمالك، ثم لم تجد حلاوة العمل ولا حضوراً لقلبك فيه، ولم تجد ثمرته من أحوال الواجدين وأذواق العارفين، فلا تيأس من قبوله عند الله، فليس وجود الحُلَل ولا الحلاوة شرطًا فى العمل، إنما هى علامة، والعلامة لا يلزم طردُها .. فربما قُبل من العمل ما لم تدرك ثمرته عاجلاً فيُعطيك ثوابه آجلا، فلا ينبغى لك أن تستحقر عملك فتتركه:

- لعدم حضورك فيه.
- أو لعدم وُجدان حلاوته.

بل يجب عليك أن تداوم عليه حتى تجنى ثمرته فمن قرع الباب، يوشك أن يفتح له.

واسمع قول الشاعر:

**اطلُب ولا تضجـرن مــن مطلــبٍ**
**فــآفـــة الطالـــب أن يضجــرا**

**أمـــا تـــرى الحبـــل بتـكـــراره**
**فى الصخـــرة الصـمـاء قد أثـرا**

واذكر قضية العابد الذى بقى فى مكة أربعين سنة وهو يقول: «لبيك اللهم لبيك».

والهاتفُ يقول: «لا لبيك ولا سعديك، وحجك مردود عليك»، وهو ملازم ولم يبرح من موضعه، ولم يرجع عن عمله .. فجاء إليه رجل يزوره ..

فلما قال الرجل العابدُ: «لبيك».

فقال له الهاتف: «لا لبيك».

فقام الزائر منصرفًا عنه، وقال فى نفسه: «هذا رجل مطرود».

فناداه العابدُ: ما لَكْ؟

فقال: يا سيدى أنت تقولَ: لبيك، والهاتف قال لك: «لا لبيك».

فقال له: يا هذا، لى أربعون سنة أسمع هذا الخطاب، وهل ثمة أبواب أخرى نأتيه منها؟ أنا واقف ببابه .. ولو طردنى ألف مرة ما برحتُ عن بابه .. فقبلهُ الله تعالى .. فلما قال: «لبيك».

قال له الحق تعالى: «لبيك وسعديك».

فانظر مَنْ لازم الباب كيف التحق بالأحباب وفتح فى وجهه الباب ..

ولذلك قال ﷺ: «**أحب العمل إلى الله أدومه وإن قل**».

وقال ﷺ أيضًا: «**لن يمل الله حتى تملُّوا**».

فالمراد من العمل:

١- القيام برسم العبودية.

٢- تعظيم جانب الربوبية.

وليس المراد منها طلب الأحوال والمقامات فإن ذلك قدح فى الإخلاص عند أهل التوحيد الخاص.

وقد يكون الحال سببًا فى الحجاب لمن وقف معه واستحلاه ولذلك قال بعضهم:

«اتقوا حلاوة الطاعة فإنها سموم قاتلة».

أى لمن وقف معها، وكم ينفذ لى شهود المعبود بها فلا تكن عبد الحال، ولكن كن عبد المحوِّل ..

«**لا تزكين وارداً لا تعلم ثمرته، فليس المراد من السحابة الإمطار، ولكن المراد منها وجود الأثمار**».

فثمرة الوارد عدم العوائد، واكتساب الفوائد والتخلية عن الرذائل، والتحلية بالفضائل.

وإن شئت قلت:

ثمرة الوارد الصادق هو ما ينشأ عنه من الذلة والانكسار، والخشوع والسكينة، والوقار والحلم والزهد والسخاء والإيثار، والتخلص من رق الشهوات الجسمانية والعوائد النفسانية، والخروج من سجن الأكوان، والترقى إلى فضاء الشهود والعيان، والتحرر من يد الأغيار، والتمحص إلى تحقيق المعارف والأسرار ..

# الإشارات والتعبيرات الصوفية

قال تعالى:

﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا ﴾[ الفرقان :٦٣ ].

وقال رسول الله ﷺ ما معناه:

**«من سمع صوت داعٍ ولم يؤمِّن على دُعائه كُتب عند الله من الغافلين».**

وفى كتاب «مجمع الزوائد» ذكر أبو بكر الهيثمى حديثًا فى هذا المعنى فى باب التأمين على الدعاء. وهذا نص الحديث:

عن حبيب بن مسلمة الفهرى قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول:

**«لا يجتمع ملأ فيدعو بعضهم ويُؤمن سائرهم إلا أجابهم الله».**

وكثيراً ما كان المعنى الحقيقى لكلمة «**متصوف**» موضع نقاش، وكُتبت فى ذلك كتب كثيرة ..

ويؤكد البعض أن «**الصوفى**» لقب بهذا الاسم لأنه يرتدى رداء من الصوف.

ويقول البعض الآخر: إنه لُقب بالصوفى لأنه فى الصف الأول.

ويقول آخرون: إن السبب أنهم ينتمون إلى «أهل الصفة».

وهناك من يقول: إنّ الاسم مشتق من «الصفاء».

ولكن هذه التفسيرات لكلمة صوفى لا توفى متطلبات الاشتقاقات اللغوية.

وإن كان لكل رأى ما يؤيده من الحجج الدقيقة.

إنّ «الصفاء» صفة محمودة، وعكسه الكدر .. وقد قال ﷺ:

**«لقد ذهب صفو الدنيا وبقى كدرها».**

- فلطائف الأشياء «صفوها».
- وكثائف الأشياء كدرها.

وبما أن الصوفية قد ظهروا بأخلاقهم وتصرفاتهم فقد حاولوا أن يتجنبوا ما يلطخها.

وإنهم لذلك يلقبون بـ «الصوفية» وهذه التسمية اسمُ علم .. وبما أن كرامة أهل التصوف من الوضوح بحيث لا تخفى معاملتهم، لذلك فإن اسمهم فى غير حاجة إلى شرح..

وفى هذا الوقت حجب الله تعالى معظم الناس عن الصوفية وعن أتباعها وأخفى أسرارها عن قلوبهم.

ولذلك فإن البعض يتخيل أنها تتكون أساسًا من التقوى الظاهرية دون تأمل داخلى.

وآخرون يعتقدون أنها نظام لا أساس له حتى إنهم اتبعوا رأى المتأخرين منهم من علماء الظاهر، والذين ينكرون الصوفية إنكاراً كاملاً دون أن يبذلوا أدنى محاولة لكى يكتشفوا حقيقتها.

إن أولئك الذين ينساقون انسياقًا أعمى مع هذا الرأى قد نزعوا من قلوبهم تلك الرغبة فى الصفاء الداخلى الباطنى ونبذوا صفات السابقين الأولين من صحابة رسول الله ﷺ..

يقول القائل:

**إن الصفا صفة الصديق**

**إذا أردت صوفيًا على التحقيق**

**ذلك لأن للصفاء أصل وفرع:**

- فأصله انتزاع القلب من الأغيار.
- وفرعه نفض اليد من هذه الدنيا الخادعة.

وكانت هاتان الصفتان تميزان الصديق أبى بكر رضي الله عنه.

**فهو إمام أهل هذا الطريق.**

ويكفى دليلاً على انقطاع قلبه عن الأغيار: أن كل الصحابة انكسرت قلوبهم لذهاب رسول الله ﷺ إلى الحضرة العلية والمكان الأسمى، حتى إن عمر سل سيفه قائلاً: "مَنْ قال إن محمداً قد مات حززت رأسه" وعندئذ تقدم أبو بكر وقال بصوت عال:

«مَنْ كان يعبدُ محمداً، فإن محمداً قد مات، ومَنْ كان يعبد الله فإن الله حى لا يموت» وتلا قوله تعالى:

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ﴾[آل عمران:١٤٤].

* إنْ من يربط قلبه بالفانى فإنه يفنى ويضيع سعى قلبه هباءً.
* وذلك الذى يمد رُوحه إلى الحضرة الباقية يكون قائمًا بالبقاء حين تفنى النفس.
* أما الذين ينظرون إليه بعين الحقيقة فيدركون أن وجوده معهم وغيابه عنهم سواء.

- فهم لا ينظرون إلى ما حدث من تبديل ولكن إلى الله الذى يبدل كل شىء.
- وهم لا يبجلون محمداً إلا بالقدر الذى كرمه به الله.
- ولا تتعلق قلوبهم بأحد غير الله.
- ولا يفتحون عيونهم ليروا أحداً من البشر واضعين فى اعتبارهم أنَّ:
« من نظر إلى الخلق هلك، ومن رجع إلى الحق سلك ».

وقد برهن أبو بكر رضي الله عنه :

١- أن يده قد نفُضت من هذه الدنيا الخادعة.
٢- فقد تبرع بماله كله لمواليه.
٣- وارتدى رداء من الصوف.
٤- وحين سأله النبى ﷺ: « وماذا تركت لعيالك»؟
قال: تركت لهم الله ورسوله.
أى تركت لهم خزينتين لا تنفدان وكنزين لا ينتهيان :
أ- محبة الله تعالى. ب- ومتابعة رسوله ﷺ.
وإنكارهُما من قبيل إنكار العيان.

إن الصوفية يعملون بالشريعة وهى بالنسبة لهم تمثل العمل الإنسانى، أما الحقيقة عندهم فهى حفظ الله تعالى وعصمته، ويمكننا أن نقول إن الشريعة لا تثبت بدون الحقيقة، والحقيقة لا تثبت بدون ملاحظة الشريعة، والاتصال بينهما كالصلة بين الجسد والروح، لأن الروح إذا فارقت الجسد صار جثة هامدة، وكذلك الشريعة بدون الحقيقة رياء، والحقيقة بدون الشريعة نفاق .. وقد قال تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾[العنكبوت:٦٩].
فالمجاهدة من الشريعة، والهداية من الحقيقة ..

**الحـــق** - هو الله سبحانه وتعالى لأنه اسم من أسمائه ولقوله جل شأنه:
﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ ﴾[لقمان - ٣٠]، [الحج - ٦].
**الحقيقـة** - هى مقام الإنسان فى الجمع مع ربه ووقوف القلب فى مقام التنزيه.
**الخطرات** - كل ما يمر بالقلب من أحكام الطريقة.
**الوطنـات** - كل معنى إلهى يسكن ويتوطن فى القلب.
**الطمـــس** - نفى مادة لا يبقى أثرها.
**الرَّمـــس** - نفى مادة مع كل ما يبقى منها فى القلب.
**العلايـــق** - الأسباب الثانوية التى يتصل بها طالبُ الحق، وبذلك يُبحر عن نيل مطلوبه.
**الوسايـط** - الأسباب الثانوية التى يتعلق بها أهل السلوك لنيل مقصودهم.
**الزَّوايـــد** - ما يغمر القلب من النور الروحانى.
**الفوايـــد** - إدراك النفس لما لا بد لها منه.
**الملجـــأ** - يقين القلب فى الوصول إلى مطلوبه.
**المنجـــى** - خلاص القلب من محل الفساد.
**الكليـــة** - استغراق الصفات الآدمية بالمرة.
**اللوايـــح** - إثبات المُراد مع سرعة النفى.
**اللَّوامـــع** - ظهور النور الروحانى للقلب مع وجود فوائده.
**الطوالـــع** - طلوع أنوار العارف على القلب.
**الطـــوارق** - ما يتوالى على القلب من الفرح ومن اللوم فى مناجاته لربه ليلاً.
**اللطائـف** - إشارات تحضر للقلب من دقائق الحال.
**السّـــر** - كتمان شعور المحبة.
**النجـــوى** - كتمان النقائض عن معرفة غير الله تعالى.
**الإشـــارة** - توضيح أمر لآخر، عن المراد، بدون نطق اللسان.
**الإيمـــاء** - مخاطبة أى إنسان بالتلميح بدون عبارة ولا إشارة.
**الـــوارد** - ورود المعانى الروحانية على القلب.
**الانتبـــاه** - زوال الغفلة عن القلب.

**الإشكـــال** - الحيرة عند الإقرار عن الحق والباطل.
**القـــــرار** - زوال التردد من حقيقة.
**الانزعـاج** - اضطراب القلب فى حالة الوجْد.

**وتوجد اصطلاحات فنية يستعملها الصوفية غير تلك الاصطلاحات الاسمية فى التوحيد والبيان لعقيدتهم الثابتة فى حقائقهم الروحانية.**

**العالــــم** - العالم يشمل كل المخلوقات ويقال إنه يوجد ١٨ ألف أو ٥٠ ألف عالم، وتقول الفلاسفة إنه يوجد عالمان:

١- عالم علوى. ٢- وعالم سفلى.

أما علماء الأصول فيقولون إنْ العالم هو كل موجود بين عرش الرحمن والأرض..

والصوفية لا يقصدون به ما تعنيه الفلاسفة ولكنهم يقصدون به عالم الأرواح وعالم النفوس.

**المحـــدث**- هو المؤخر فى وجوده، أعنى ما لم يكن موجوداً قبل، ولكنه وُجد بعد.
**القديــــم** - السابق فى وجوده، أعنى ما كان على الدوام وما كان وجودُه قبل الأشياء، وهذا ليس إلا الله.
**الأزل** - ما لا بداية له..
**الأبــــد** - ما لا نهاية له..
**الـــــذات** - وجود الشىء وحقيقته.
**الصّفـــة** - ما لا يقبل النعت لأنه ليس باقٍ بذاته.
**الاســــم** - هو ما ليس غير المسمى.
**التسميــة** - بيانٌ عن المُسمى.
**النفـــــى** - كل ما يقتضى فناء أى شىء منفى.
**الإثبـــات** - هو ما يقتضى وجود أى شىء مثبت.
**الشيئـــان** - ما يمكن وجودُه مع الشىء الآخر.
**الضـــدّان** - ما يستحيل وجوده مع وجود الشىء الآخر فى حال واحد.
**غيــــران** - هو ما يمكن وجوده مع عدم وجود الآخر.
**جوهـــــر** - أصل الشىء والقائم بذاته.
**عَــــرَض** - هو القائم بالجوهر.

**جســـــم** - هو الشئ المركب من أجزاء مختلفة.

**ســــؤال** - طلب حقيقة.

**جـــواب** - بيان عن سؤال.

**الحســن** - كل ما طابق أمر الله تعالى.

**القبيــح** - كل ما خالف أمر الله تعالى.

**السَّفَــه** - إهمال أمر الله تعالى.

**الظلـــم** - وضع الشيء في غير موضعه.

**العـــدل** - وضعُ الشيء في موضعه.

**الملــــك** - ما لا يمكن الاعتراض على حكمه.

**وهناك نوع آخر من الاصطلاحات وهو ما يستعمله الصوفية دائمًا في معانيهم الحقيقة، ومقصودهم بها ليس ما يعرفه أهلُ اللسان عنها:**

**الخاطــر**- هو ما يرد على القلب ويفر منه بورود شيء آخر، بل وكل ما أمكن الإنسان رفضه من قلبه .. وأهلُ الواردات يلزمهم اتباع أول وارد، لأنه وارد من الله تعالى.

ويُقالُ: إنه خطر لخير النساج يوما ما، أن الجنيد واقف ببابه، ولكنه أراد أن يرد هذا الخاطر ويُشغل عنه، فتكرر عليه مراراً حتى قام وخرج، فوجد الجنيد واقفًا على الباب، فقال الجنيد: يا خير .. لو أنك اتبعت الخاطر الأول وقُمت بسنة المشايخ، لما لزمني الوقوف طول هذه المدة ..

فكيف أن الجنيد عرف بما ورد على خير؟

فإذا سئل هذا السؤال:

نقول: إن الجنيد كان مرشداً لخير، والمُرشد يُشرف على كل أعمال المريد.

**الواقــــع** - الواقع هو كل ما يظهر في القلب ويبقى، وهو ليس كالخاطر، ولا قوة للطالب على ردِّه، ولذلك فإنهم يقولون: «خطر على قلبي» وليس «وقع في قلبي» أي أنه سقط فيه، وكل القلوب مُعرضة للخاطر، ولكن الواقع لا يحدث إلا في القلوب المملوءة بمعرفة الله، ولذلك فإنه لو حدث للطالب في طريق الله أي عائق من العوائق سموه «قيداً» ويقولون: إنّ واقعًا وقع عليه.

وأهلُ اللسان يستعملون اصطلاح «الواقع» للدلالة على سؤال صعب، فإذا أجيب عليه إجابة مُرضية قالوا ما معناه: إن الواقع قد حل.

ولكن أهل الحقيقة يقُولونَ: إن الواقع هو ما لا يمكن حله، وما يُحل فهو خاطر وليس بواقع، لأن كل الأمور التى تتصدى للعارف ليست غير مهمة حتى يمكن أن يبنى عليها أحكامًا مختلفة.

**الاختيار** - ويعنُون به تفوق مراد الله تعالى على مُرادهم، فيرضُون بكل ما اختاره لهم من خير أو شر، فاختيار الإنسان، لا اختيار الله هو فى الحقيقة نتيجة اختياره سبحانه، لأن الله سبحانه وتعالى لو لم يجعله اختياراً له ما ترك اختياره.

سئل أبو يزيد عن الأمير؟ فقال: هو مَنْ لا اختيار له، ومَنْ كان اختيارُ الله اختياره.

ويُروى أن الجنيد حُمَّ مرة فسأل الله تعالى أن يمنحه العافية فسمع من قال فى قلبه: (مَنْ أنت حتى تتدخل فى مُلكى، وتجعل لك خيرة، إنى أُدبر ملكى خيراً منك، فاختر ما اخترتُ، بدلاً من أن تتقدم إلى باختيارك).

**الامتحان** - هذا الاصطلاح يدل على تجربة قُلوب الأولياء بالبلوى التى يبتليهم الله تعالى بها فى الخوف والحُزن والقبض والخشية .

قال تعالى:﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾[ الحجرات :٣].

وهذه درجة عالية.

**البـــــلاء** - هو ما يبتلى الله تعالى به أجسام أحبابه من الأمراض وألوان المشاق والأوجاع والهموم وكلما ازدادت بليةُ إنسانٍ كلما قرب إلى الله تعالى، لأن البلوى هى:

١- لباس الأولياء. ٢- ومهدُ الأصفياء. ٣- وغذاء الأنبياء.

فقد قال رسول الله ﷺ : **«أشد أهل البلاء الأنبياء ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل، نحنُ معاشر الأنبياء أشدُ الناس بلاءً».**

وقال أيضًا ﷺ: **«نحنُ معاشر الأنبياء أشد الناس بلاءً».**

والبلاء هو الشدة التى تعترى قُلوب المؤمنين وأجسادهم وهى فى الحقيقة نعمة، وكلما اختفى عنه سر تلك الشدائد كلما كبر أجره لاحتمال آلامها، والشدة التى تعترى المشركين ليست بلاءً ولكنها شقاء، وليس للكافرين مفر من هذا الشقاء.

ودرجة البلاء هى أشرف من درجة الامتحان لأن الامتحان لا يؤثر إلا فى القلب، ولكن البلاء يؤثر فى القلب والجسم معًا، وبذلك يكون أشد.

**التحلـــى** - هو التشبه بأهل الصدق فى القول والعمل فقد قال رسولُ الله ﷺ :

**«ليس الإيمانُ بالتحلى والتمنى، ولكن ما وقر بالقلوب وصدقه العمل».**

فالتحلى هو تقليدُ القوم بدون التمسك بحقيقة ما يعملون.

ولابد أن تنكشف سرائر الذين يظهرون بما ليسوا أهله ويُفضحون، وهؤلاء مقبوحون عند أهل التحقيق لأن أسرارهم واضحة لهم.

**التجلـــى** - هو ما يسطع من الأنوار الربانية على قلوب المُقبلين التى بها يتمكنون من رؤية الله تعالى بقلوبهم، والفرق بين الرؤية الروحانية والرؤية العيانية، هو أن أهل التجلى يرون أو لا يرون، كما يحبون وينظرون فى وقت ما، ولا ينظرون فى آخر، أما أهل العيان فى الجنة فلا بد لهم من الرؤية ولو لم يريدوا ذلك، لأنه من الممكن اختفاء التجلى، ولكنه من المستحيل أن تحجب الرؤية.

**التخلـــى** - هو الالتفات عن كل ما يمنع الإنسان من القُرب من الله تعالى بأن يُفرغ يديه عن هذه الدنيا فما يقطع قلبه عن التفكير فى العُقبى، ويُخلى قلبه من متابعة الهوى ويُعرض عن صحبة أهل وده والتفكير فيهم.

**الشـــرود** - ومعناه طلب الحق بالخلاص من الآفات والحجب وعدم الركون إليها لأنها كل مصائب الطالبين ناتجة من حجابهم، فإذا ارتفعت الحُجب اتصل .. إذاً فحيل الطالبين فى كشف الحُجب وأسفارهم وتعلقهم بكل شىء يسمونه «شروداً»، وكل مَنْ كان فى بداية الطلب أكثر اضطرابًا يكون فى نهايته أكثر وصولا وتمكنًا.

**المقصـــود** - معناه كمال العزيمة فى طلب حقيقة المقصود ومقصد الصوفية لا يتوقف على الحركة والسكون لأن المحب، وإن كان فى راحة من محبته، فهو قاصد، وهم فى هذا الموضوع يُخالفون العامة الذين يحصُل لهم تأثير ظاهرى أو باطنى بواسطة مقاصدهم، أما أحبابُ الله تعالى، فهم يطلبُونه لا لعلة، ويقصدونه بدون حولٍ منهم، وكل أوصافهم متجهة إلى هذا القصد، ومتى وُجدت المحبة فالكل مقصد واحد.

**الاصطناع** - يعنُون به ما يكرم الله به العبد فى العصمة، وذلك بفناء كل صالح ولذّة له، ويبدل كل أوصافه النفسية حتى يكون لا نفس له، وهذه الكرامة مقتصرة

على الرسل والأنبياء، ولكن بعض المشايخ متمسكون بأن الأولياء قد ينالونها أيضًا.

**الاصطفاء** - أن يفرغ الله قلب عبده إلا من معرفته حتى تبسط معرفته صفاءها فيهم، وفي هذه الدرجة يستوى خاصة المؤمنين وعامتهم وأولياؤهم وأنبياؤهم وعُصاتهم ومطيعوهم، لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾[فاطر :٣١].

**الاصطلام** - هو شهود تجليات الحق التى تجعل الإنسان مقصوداً حتى يكون عدمًا، فالقلبُ الممتحن والمصطلم سيان، ولو أن الاصطلام فى اصطلاح الصوفية أشد وضوحًا وأبيَن فى الامتحان.

**الرَّيـــــن** - هو حجاب على القلب، وهو حجاب الشرك والضلال الذى لا يمكن رفعه إلا بالايمان لقوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين:١٤]. وقالت جماعة: إن الرين هو ما لا يمكن أن يُزال على أى نحو، لأن قلب الكافر ليس قابلاً للإسلام.

**الغيـــــن** - وهو حجاب على القلب يزولُ عنه بطلب المغفرة من الله تعالى، وهو إما لطيف أو كثيف، وبالتالى مختص بأهل الغفلة وأهل الكبائر، والأول للعموم والأولياء والرسل حيث إن رسول الله ﷺ قال: «**إنه ليُغانَ على قلبى وإنى لأستغفر الله مائة مرة**».

ويلزم لرفع الغين الكثيف توبة صادقة.

كما أنه يلزم لرفع الغين الخفيف إنابة خالصة، فالتوبة هى رجوع عن المعصية إلى الطاعة والإنابة هى الرجوع من نفسك إلى ربك، والتوبة تكون عن معصية، ومعصية العامة مخالفة أمر الله، ومعصية أحباب الله المعارضة فى إرادته.

وعلى ذلك فتكون معصية العامة قلة أدب، ومعصية المحبين شهود وجود، فإذا رجع الإنسان من الخطأ إلى الصواب أو من الصواب إلى الأصوب قيل عنه: «آيب».

**التلبيـــس** - هو ما يدل على وجود أو ظهور شىء مغاير للحقيقة، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾[الأنعام:٩]. وهذه الصفة لا تكون إلا لله الذى يظهر المشرك فى ثوب المؤمن، والمؤمن فى

صورة المشرك، حتى يأتى أمر الله، فيظهر الحق فى كل شىء، وإذا أراد الصوفى أن يُخفى جمال صفاته تحت حالٍ قبيح، قالوا عنه: «إنه يُظهر التلبيس».

وهم يستعملون هذا الاصطلاح فى أوقات معينة ولا يُطبقونه على الرياء والنفاق الذى هو فى الحقيقة تلبيس، لأن التلبيس لا يمكن استعماله إلا فى إقامة الحد.

**الشـــــرب** - الصوفية تُسمى:

حلاوة التقوى... وجمال الكرامة.... ولذة الأنُس شربًا، ولا يمكن لشخصٍ أن يقوم بأمر بدون الشرب، وكما أن شرب الأجسام هو الماء فشرب القلوب هو الأنس الروحانى، ويجب أن يكون المريد والعارف غريبين عن شرب الإرادة والمعرفة. ويقول بعضهم:

«يجب على السالك أن يؤدى فى أعماله شُربًا حتى يمكنه بذلك أن يؤدى فرائض السالك يطلب الله، أما العارف فلا يلزمه أن يؤدى فرائض السالك ولا يلزمه أن يقوم بشرب حتى لا يُسرع إلى شربه بدون الحق».

**الـــــذوق** - وهو كالشرب، ولكن الشرب لا يستعمل إلا فى الفرح، أما الذوق فإنه ينطبق على الفرح والبلاء.. إذ يقول قائل:

«ذقت الخلاف، وذقت البلاء، وذقت الراحة» فهذا جائز..

ويمكن أن يُقال فى الشرب: «شربتُ بكأس الوصال، وبكأس الود».

قال تعالى: ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا ﴾[الطور :١٩].

وحينما ذكر الذوق قال جل شأنه:

﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾[الدخان :٤٩].

وقال فى موضع آخر:

﴿ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴾[القمر :٤٨].

***

والصوفى الحقيقى هو الذى يترك الكدر وراء ظهره وهكذا فقد سيطرت البشرية على نساء مصر عندما نظرن إلى جمال يوسف عليه السلام، ولكن نظرتهن تغيرت حين رأينه بعد فناء بشريتهن فقُلن: ﴿ مَا هَذَا بَشَرًا ﴾[يوسف :٣١].

ولذلك فإن شيوخ الصوفية رضى الله عنهم يقولون: ليس الصفاءُ من صفات البشر.

لأن البشر مدر، والمدر لا يخلُو من الكدر ، ولهذا فالصفاء غير مرتبط بالأعمال، ويمكن القضاء على الطبيعة البشرية بالمجاهدة.

وليست صفة الصفاء مرتبطة بالأعمال والأحوال ولا اسمه متعلق بالأسماء والألقاب. بل الصفاء صفة الأحباب، وهو شمس بلا سحاب، ذلك لأن الصفاء صفة المحبين، والمحب هو الفاني في صفاته، والباقي في صفات محبوبه .. وحالاته في نظر أرباب الحال أشبه بالشمس الساطعة.

وقد سئل المصطفى ﷺ عن حال حارثة، فقال: «**عبدٌ نوَّر الله قلبه بالإيمان**».

وكذلك قال الصوفية: «ضياء الشمس والقمر إذا اتحدا واشتركا نموذج من صفاء الحب والتوحيد إذا اشتبكا».

ويتفق كل شيوخ الطريقة رضى الله عنهم على أنه :

حينما يتحرر الإنسان من قيود المقامات ويتخلص من كدُورات الأحوال، ويرتفع عن مكان التلون والتغير، ويتصف بالصفات الحميدة كلها عندئذ ينفصل عن كل هذه الصفات، بمعنى أنه لا يصبحُ أسيراً لأى صفة حميدة من صفاته، وأيامه منزهة عن خطرات الظنون فلا يهتم بها، ولا يزدادُ غروره بوجودها، ويصبح حاله بعيداً عن متناول الفكر، ويصبح حضوره مع الله بلا برهان، ووجوده بلا أسباب، فيكون حاضراً بلا غيبة، واجداً بلا سبب، وذلك أن الغيبة حينما تحل به لا يكون حاضراً، وعلة وجوده ألا يكون واجداً لأن الصفاء حضور بلا ذهاب، ووجود بلا أسباب وعندما يصل إلى هذه الدرجة يُصبح فانيًا عن الدنيا والعُقبى، ويصبح ربانيًا فى درع الإنسانية ويصبح الذهب والمدر سواء فى نظره، وتسهل عليه تلك العبادات التى يرى الآخرون من الصعب عليهم مزاولتها.

جاء حارثة إلى رسول الله ﷺ .. فسأله الرسول ﷺ: **كيف أصبحت يا حارثة؟**

قال: أصبحت مؤمنًا يا رسول الله ..

فقال ﷺ: **انظر ما تقول يا حارثة .. إنّ لكل حق حقيقة، فما حقيقة إيمانك؟**

قال: عزفتْ نفسى عن الدنيا فاستوى عندى حجرُها وذهبُها وفضتها ومدرُها ..

فأسهرت ليلى وأظمأت نهارى ..

وصرتُ كأنى أنظر إلى عرش ربى بارزاً وكأنى أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها، وكأنى أنظر إلى أهل النار يتصارعون فيها ..

فقال له الرسول ﷺ: «**عرفت فالزم**» قالها ثلاثًا ..

وقد أطْلقتْ كلمة «الصوفى» على كاملى الولاية ومحققى الأولياء ..

ويقولُ أحدُ المشايخ:

«مَنْ صافاه الحب فهو صاف، ومن صافاهُ الحبيب فهو صُوفى».

ولا تخضع هذه الكلمة للاشتقاقات اللغوية المعروفة، إذ إن الصوفية من الرفعة بحيث لا يكون لها أصل تُشتقُ منه.

ويُلقب الكامل من الأولياء «بالصوفى» ويُسمى الطلاب والمريدون بالمتصوفة ..

والناس على هذا فى درجات ثلاث:

١- **الصوفى** - وهو مَنْ فنى عن نفسه وعاش بالحق، مَنْ نجا من قبضة الطبائع واتصل بحقيقة الحقائق.

٢- **والمتصوف** - وهو مَنْ يحاول الوصول إلى هذا المقام عن طريق المجاهدات، ويحاول أن يصحح من سلوكه محتذيًا حذو الصوفية.

٣- **المتشبه** - وهو مَنْ يتشبه بالصوفية من أجل المال والثروة، والجاه والعَرَض الدنيوى وليست له معرفة بالصوفية أو التصوف.

ولذلك قيل: «المتشبه عند الصوفية كالذباب، وعند غيرهم كالذئاب».

أى أنه عند الصوفية حقير كالذباب، وعند الآخرين كالذئب المتوحش، كل همه التمزيق وأكل الجيفة .. ولذلك فإن:

أ - الصوفى صاحب وُصول ..

ب- والمتصوف صاحب أصول .

جـ- والمتشبه صاحب فضول .

- ومَنْ كان نصيبه الوصول يفقد كل غاية وغرض بحصوله على غايته وغرضه.
- ومَنْ كان نصيبه الأصول، يتمسك بأحوال الطريق ويُخلص فى التعرف على أسرارها.
- ولكن مَنْ كان نصيبه الفضول، يبقى صفر اليدين من كل ما يستحق الحصول عليه، ويبقى عند باب الرسم، لهذا فهو محجوب عن المعانى ويجعله هذا الحجاب محجوبًا عن الوصول وعن الأصول ..

يقول **ذو النون المصرى** رضي الله عنه: «الصُّوفِى مَنْ إذا نطق أبانَ نُطقه، وإن سكت نطقت عنه الجوارح بقطع العلائق».

ويقول **الجنيد** رضي الله عنه : «التصوف نعت أقيم العبد فيه، وهو نعت للحق حقيقة، ونعتٌ للعبد وَسْمًا».

ويقول **أبو الحسين النورى** رضي الله عنه: «التصوف تركُ كل حظ النفس».

ويقول **ابن الجلاء** رضي الله عنه: «التصوف حقيقة لا رسم له».

ويقول **أبو عمرو الدمشقى** رضي الله عنه : «التصوف رؤية الكون بعين النقص، بل غض الطرف عن الكون».

ويقول **الشبلى** رضي الله عنه: «التصوف شرك، لأنه صيانة القلب من رؤية الغير ولا غير».

ويقول **الحصرى** رضي الله عنه: «التصوف صفاء السر من كدورات المخالفة».

ويقول **الجنيد** رضي الله عنه «التصوف مبنى على ثمانى خصال:

السخاء - والرضا - والصبر - والإشارة - والغربة - ولبس الصوف - والسياحة - والفقر».

١- أما السخاء فلإبراهيم .

٢- وأما الرضا فلإسماعيل.

٣- وأما الصبر فلأيوب.

٤- وأما الإشارة فلزكريا.

٥- وأما الغُربة فليحيى.

٦- وأما لبس الصوف فلموسى.

٧- وأما السياحة فلعيسى.

٨- وأما الفقر فلمحمد ﷺ.

## أهل التعبير

أهلُ التعبير هم أهلُ التذكير الذين يُذكرون عباد الله، ويُعبرون عما منحهم الله به من العلوم والمواهب والفتوحات والكرامات .. وهم على قسمين:

١- علماء. ٢- وعارفون.

أو نقول: ١- أهلُ الحجاب. ٢- وأهل الفتح.

**فأهلُ الحجاب** يعبرون من بساط إحسان أنفسهم .. فيقولون: فعلنا كذا .. رأينا كذا .. وفتح علينا فى كذا .. وافعلوا أيها الناس كذا، واتركوا كذا، فإذا وقعوا فى زلةٍ أو غفوة، سكتُوا حياءً من الله، وخوفًا من أن يأمروا بما لم يفعلوا، لأنهم باقُون مع نفوسهم محجوبون عن ربهم.. فإذا فعلُوا طاعة فرحُوا بها واعتمدوا عليها، وإذا فعلُوا زلةً حزنُوا وجذعوا وأسقط فى أيديهم .. فلما عبروا من بساط إحسان نفوسهم، أصمتهم الإساءة.

- **وأهلُ الفتح من العارفين** يعبُرُون من بساطِ إحسانِ الحق، غائبين عن شهود الخَلْق، فانُون عن أنفسهم باقون بربهم ..

فهؤلاء الذين إذا عبروا عما منحهم الله من المعارف والأسرار، والعلوم والأنوار والكرامات والفُتوحات والمواهب، وذكروا فأمروا ونهوا .. دام تعبيرهم ونفع تذكيرهم:

- فإذا أساءُوا لم تصمتهم إساءتهم، لأن إساءتهم من أنفسهم، وتعبيرهم من بساط إحسان الله إليهم، وإحسانه لا يكدره شيء، فهم لا يشهدون إلا تصريف الحق فيهم فلذلك لم تصمتهم إساءتهم، لأنهم مغموسون فى بحر المنة لا يشهدون فى الكون سواه.

وأيضًا مَنْ عبر بساط نفسه، نادته مساويه: اسكُتْ أما تذكر فعلك القبيح ووصفك الذميم؟ فيسكت خجلاً ..

ومن عبر من بساط إحسان الله غابت عنه مساويه لغيبته فى محاسن مولاه فلا يشهدُ إلا إياه .. فإذا أراد أن يعبر سبق نور معرفته، فيسرى فيهم التعبير، ويأخذ بقلوبهم التذكير ..

**«تسبق أنوارُ الحكماءِ أقوالهم، فحيثما صار التنوير وصل التعبير».**

فالحكماءُ هم العارفون بالله:

١- الذين يتكلمون مع الله .. ٢- ويصمُتون بالله ..

٣- غائبون عن أنفسهم .. ٤- يشهدون ما من الله إلى الله ..

فإذا أرادُوا أن يُعبروا عما منحهم مولاهم من العلوم والمعارف سبق نور شهودهم إلى القلوب المستمعة فتسرى فيهم على قدر صدقهم:

فمنهم من يدخل النور سويداء قلبه.

ومنهم من يقفُ النور على ظاهر قلبه.

ومنهم من يُشرق النورُ على طرف قلبه.

فإذا عبر العارف عن المقامات والأحوال وصل التعبير على قدر سريان النور ..

فمن وصل النور إلى سويداء قلبه نهض من ساعته إلى ربه.

ومن وصل ظاهر قلبه خشع وخضع وعزم على البر والتقوى.

ومن وصل إلى طرف قلبه عرف الحق وصدق.

فحيثما كان التعبير وصل التنوير ..

قال المصطفى ﷺ: «رأس الحكمة مخافة الله». وأعرف الناس بالله أشدهم خشية، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨].

وسُئل مالك رضي الله عنه عن الحكمة .. فقال:

«ما زهد عبد واتقى إلا أنطقه الله بالحكمة».

ثم قال: «مَنْ أراد أن يفتح الله عين قلبه، فليكن عمله فى السر أكثر من عمله فى العلانية، لأن عمل السر منبع الإخلاص، والإخلاص منبع الحكمة».

وسُئل رضي الله عنه مرة أخرى عن الحكمة فقال:

«نور يقذفه الله فى قلب العبد المؤمن من فُسحة الملك».

فأهلُ التنوير هم الحكماء، وهم العارفون بالله.

ولله دَر القائل:

هينون لينون أيسارٌ بنو يُسُر
سواسٍ مكرمةٍ أبناءُ أيسارِ

لا ينطقون بغير الحق إن نطقوا
ولا يمارون إن ماروا بإكثارِ

من تلق منهم فقل لاقيت سيدهم
مثل النجوم التى يسرى بها السارى

ونقول فى وصفهم: يشهدون ما من الله إلى الله ..

نعنى أنهم غائبون عن أنفسهم لا يرون إلا تصريف الحق فى مظاهر أنواره.

وقال الشيخ أبو العباس المرسى رضي الله عنه : الناسُ على ثلاثة:

١- عبد يشهد ما مِنْهُ إلى الله ..

٢- وعبد يشهد ما من الله إليه ..

٣- وعبد يشهد ما من الله إلى الله ..

- الأول .. ذو حُزن وأشجان.

- والثانى .. ذو فرح وامتنان.

- والثالث .. لم يشغله عن الله خوف نارٍ ولا مثوى الجنان.

والأول .. ذو كدٍّ وتكليف.

والثانى .. ذو عناية وتعريف.

والثالث .. مُشاهد للمولى اللطيف.

ثم قال رضي الله عنه: «وقليلُ العمل مع شُهود المنة خير من كثيره مع رؤية التقصير من النفس».

**«كل كلام يبرز وعليه كسوة القلب الذى منه برز».**

علامة الكلام الذى يسبقه التنوير هو تأثيره فى القلوب، وتهييجه الأرواح، وتشويقه الأسرار:

فإذا سمعه الغافل تنبه.

وإذا سمعه العاصى انزجر.

واذا سمعه الطائع زاد نشاطه وعظم شوقه.

وإذا سمعه السائر طوى عنه تعب سيره.

وإذا سمعه الواصل تمكن من حاله.

**فالكلام صفة المتكلم:**

فإذا كان المتكلم ذا تنوير وقع فى قلوب السامعين.

وإذا كان ذا تكديرٍ حد كلامه آذان السامعين.

فكل كلام يبرُز وعليه كسوة القلب الذى منه برز ولذلك قال الإمام على كرم الله وجهه:

«من تكلم عرفناه من ساعته، ومن لم يتكلم عرفناه من يومه».

وقيل: «الناس حوانيت مغلقة، فإذا تكلموا فقد فُتحوا .. هناك يبين البيطار من العطار».

وقالوا أيضًا: «الكلامُ إذا خرج من القلب وقع فى القلب، وإذا خرج من اللسان حدُّه الآذان، وإنهاض الحال أكثر من المقال، فإذا اجتمع الحال والمقال فهو البحر الطام، والنجم الثاقب التام».

وقال بعض العارفين:

- من كان قلبه روحانيًا كان كلامه معنويًا، ينزل من القلوب أوسع ساحاتها.
- ومن كان قلبه نفسيًا كان كلامه حسيًا، يعنى لا يتكلم إلا فى الحس ولا يخوض إلا فيه.
- ومن طمس أذن قلبه حجب الدنيا فلا يسمعُ ولا يُسمع.

وقد يكون من الناس مَنْ هو:

١- عالمُ اللسان. ٢- جاهل القلب.

وعلامته ترجيح حديث الدنيا على حديث الآخرة، أو حديث الحس على حديث المعنى ..

ومن مثل هذا .. الحذر الحذر، لأن قلبه ميت فكلامه كله على الميتة، والميتة هى الجيفة.

قال المصطفى ﷺ: «الدنيا جيفة وطلابها كلاب».

فمن تكلم على الدنيا فمثله كالكلب، فلا خير فى كلبٍ ولو كان عالـمًا.

ثم إن هذه الكسوة التى تبرز على الكلام، إنما هى من نتائج الإذن من الله فيه، وأما إذا لم يكن أذن فيه فلا كسوة عليه.

«مَنْ أذن له فى التعبير، حسُنت فى مسامع الخلق عبارته، وجُلبت إليهم إشارته».

والإذنُ فى التعبير إنما يكونُ على يد **الشيخ الكامل العارف** الذى:

١- أهَّله الله للتربية. ٢- ونصبه للتوصيل والترقية.

فإذا رأى على تلميذه أهلية التذكير أذن له فى التعبير فإذا عبر أخذ بمجامع القلوب.. وفاض من لسانه أسرار علم الغيوب.

- فتحسن فى مسامع الخلق عبارته.
- وتُجلى للناس إشارته ..

ولا عبرة عند المحققين بلحن الكلام وإعرابه، ولا خطأ فى رفعه ونصبه من صوابه، وإنما العبرة بالمعانى دون القوالب والأوانى.

- يُحكى أن بعض النحويين دخل مجلس الحسن بن سمعُون ليسمع كلامه، فوجده يلحن .. فانصرف ذامًا له ..

فبلغ ذلك الحسن، فكتب له:

إنك من كثرة الإعجاب، رضيت بالوقوف دون الباب فاعتمدت على ضبط أقوالك مع لحن أفعالك، وإنك قد تهت بين خفض ورفع، ونصب وجزم، فانقطعت عن الحضور، هلا رفعت إلى الله جميع الحاجات، وخفضت كل المنكرات، وجزمت عن الشهوات، ونصبت بين عينيك الممات؟

والله يا أخي .. ما يُقال للعبد لمَ لَمْ تكُن معربًا؟ وإنما يقال له: لمَ كنت مُذنبًا؟

ليس المراد فصاحة اللسان، وإنما المراد فصاحة الفعال، ولو كان الفضل في فصاحة اللسان، لكان سيدنا هارون أولى بالرسالة من سيدنا موسى حيث يقول:

﴿ وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا ﴾[القصص:٣٤].

ومما ينسب للخليل بن أحمد، أو لسيبويه:

**لسانٌ فصيحٌ معربٌ فى كلامه**
**فيا ليته من وقفة العَرض يسلمُ**

**ولا خير فى عبد إذا لم يكن تقى**
**وما ضر ذا تقوى لسان معجمُ**

وقال آخر:

**منحرف الفعال وذو زلل**
**وإن تكلم فى جداله وزنه**

**قال وقد كتبت لعظته**
**تيهًا وعُجبًا أخطأ ما لحنه**

**وإنما أخطأ من قام غدًا**
**ولا يرى فى كتابه حسنة**

والحاصلُ: أن من اجتمع فيه الحال وفصاحة المقال فهو كمال الكمال، وذلك لأنه ينتفع بكلامه بعد موته كالغزالي والتسترى والشاذلى والمرسى رضى الله عنهم، فقد عظم النفع بكلامهم ..

**«ربما برزت الحقائق مكسوفة الأنوار إذا لم يؤذن لك فيها بالإظهار»**.

فقد يتكلم الإنسان بحكم وحقائق مع فصاحة وبلاغة لكنها مكسوفة الأنوار، مطموسة الأنوار، ليس فيها حلاوة، ولا عليها طلاوة، وسبب ذلك عدم الإذن فيها .. إذ لو أذن له فى التعبير لظهر عليها كسوة التنوير.

قال فى لطائف المنن:

«من أجلِّ مواهب الله لأوليائه وجود العبارة».

وقد قال الشيخ أبو العباس المرسى رضي الله عنه :

«الولى يكون مشحونًا بالمعارف والعلوم، والحقائق لديه مشهودة، حتى إذا أعطى العبارة كان ذلك كالإذن من الله فى الكلام».

وقال رضي الله عنه:

«كلام المأذون له يخرج وعليه كسوة وطلاوة .. وكلامُ الذى لم يؤذن له يخرج مكسوف الأنوار، حتى إن الرجلين ليتكلمان بالحقيقة الواحدة .. فتُقبل من أحدهما وتُرد على الآخر ..».

لذلك نقول: إنه ينبغى على أهل التعبير أن يخاطبوا الناس بقدر ما يفهمون ..

فليس التعبير لأهل البداية كأهل النهاية ..

قال ﷺ: **«خاطبوا الناس بقدر ما يفهمون»**.

فإن ضاق الوقت على التفريق جُمع الكل، وذكر فى البداية والوسط والنهاية، وكل واحد يأخذ نصيبه ويشرب من منهله.

قال تعالى: ﴿ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ﴾[البقرة: ٦٠].

وهذه كانت طريقة الجنيد رضي الله عنه: يُلقى الحقائق على رءوس الأشهاد ..

فقيل له فى ذلك؟

فقال: "علمنا محفوظ أن يأخذه غير أهله".

ثم إن عبارتهم بعد الإذن لا تكون إلا بإذن:

**"عبارتهم إما لفيضان وجد، أو لقصد هداية مُريد"**.

فما اشتملت عليه قلوب العارفين من معارف وأسرار التوحيد، وغوامض العلوم التى لا تطيقها جل الفهوم هو سر من أسرار الله، فهم أمناء الله، فلا يطلعون عليها إلا من رأوه أهلاً لها.

**فعبارتهم إذًا:**

١- إما لفيضان وَجْدٍ غلبه فلم يقدر على إمساكها.

٢- أو لأجل هداية مريد وإرشاده وترقيته إلى مقام استحق الاطلاع عليه ..

وإلا فلا يظهرون من تلك الأسرار قليلاً، ولا أقل من القليل.

**«قلوب الأحرار قبور الأسرار»**.

وقال بعضهم:

**لا يكتم السر إلا كل ذى ثقة**

**فالسر عند خيار الناس مكتوم**

وفى بيان حال الفريقين، ومقام الرجلين قالوا:

«**الأول: حال السالكين**» وهم المستشرفون من السائرين؛ حققوا ولم يتمكنوا، فهم مملوكون من يد الأحوال:

١- إذا غلب عليهم الوجد فاضوا ولم يشعروا.

٢- وإذا رجعوا إلى أنفسهم ندموا واستغفروا.

«**والثانى: حال أرباب المسكنة والمتحققين**» : وهم الراسخون المتمكنون، فلا يعبرون عن تلك الأسرار إلا لأجل :

١- هداية المريدين.

٢- وتربية السالكين.

٣- وترقية السائرين.

وأما لغير هؤلاء فلا ..

فإن عبر عنها السالك - لا عن غلبة وَجْدٍ - كان فى ذلك نوع من الدعوى.

وإن عبر عنها المتمكن من غير قصد هداية كان فى ذلك إفشاء لأسرار الربوبية.

وهى عندهم أعز من الكبريت الأحمر .. وقد كان الرجل يخدمهم سنين فلا يظهرون له منها قليلاً ولا كثيراً ..

حتى إذا رأوه أعطى نفسه وفلْسَه، وبذل روحه بالكلية، أشاروا إليه إشارة خفية.

فقد ذكر الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضي الله عنه أن طائفة من المريدين خدموا شيخًا ثلاثين سنة ..

ثم قالوا له: يا سيدنا أردنا أن تُعرفنا بربنا.

فقال لهم: نعم .. غداً إئتونى لدارى.

فلما أتوه أخرج لهم صبيًا صغيراً فوجهه إليهم، ثم دخل.

فانظر هذه الإشارة .. ما ألطفها وأخفاها.

ثم مَنَّ الله على أهل هذا الزمان برجال كرام، مَنْ صحبهم بالصدق منحوه من الأسرار فى يسير من الزمان ما لم يدركه المتقدمون فى الأزمنة الطويلة.

وقد تكلم الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضي الله عنه على حال السالكين بكلام طويل ذكره فى «لطائف المنن».

فقال: إن لله عباداً محق أفعالهم بأفعاله، وأوصافهم بأوصافه، وذاتهم بذاته، وحملهم من أوصافه ما يعجز عن سماعه عامة الخلق، فهم مغرقون فى بحر الذات، وتيار

الصفات، فنوا عن أفعالهم، ثم فنوا عن صفاتهم، ثم فنوا عن ذاتهم وبقوا بذات الله تعالى، ولم يبق لهم منهم شيء .. ومَنْ كان في الله تَلَفُه كان على الله خَلَفُه .. ومن صح فناؤه، صح بقاؤه ..».

ثم قال رضي الله عنه: «واعلم أن الفناء يوجب الغيبة عما سوى الله».

والبقاء يوجب إيجاد كل شيء مع الله، يعني بالله.

فصاحب الفناء يقوم الله عنه.

وصاحب البقاء يقومُ بالله عن الله.

**وهما ولايتان:**

أ- فولي يتولى الله ورسوله والذين آمنوا. ب- وولي يتولاه الله ..

وهو سبحانه يتولى الصالحين.

ثم يقول رضي الله عنه: وعلامة الولاية:

١- الرضا بالقضاء. ٢- والصبر على البلاء.

٣- والفرار إلى الله عند الشدائد. ٤- والرجوع إليه عند النوائب.

فمن أعطى هذه الأربعة من خزائن الأعمال والمجاهدة فقد صحت ولايته لله ورسوله وللمؤمنين.

ومن أعطيها من خزائن المنن والموادة فقد تمت ولاية الله له.

فالولاية الأولى: **ولاية صغرى.**

والولاية الثانية: **ولاية كبرى.**

**قيل له** رضي الله عنه: كيف يتولى الله ورسوله والذين آمنوا؟

١- قال: يتولى الله بالمجاهدة .. لقوله جل شأنه: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[العنكبوت: ٦٩].

٢- ويتولى الرسول بالمتابعة.. لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾[آل عمران: ٣١].

﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾[النساء: ٨٠].

٣- ويتولى المؤمنين بالاقتداء بهم ..

فهي علامات من خاض بحر الولاية .

**وأما الذين تولاهم الله:**

١- فهم الذين صلحوا لحضرته.　　　　٢- وغابوا عن خليقته.

فلا يرون فى الوجود إلا الله ..

أ- **الأولى تسمى «ولاية إيمان»**.　　　　ب- **والثانية تسمى «ولاية إيقان»**.

فقيل له: وما الفرق بين الإيمان والإيقان؟

قال: «كل يقين إيمان، وليس كل إيمان يقينًا».

فالإيمان، ربما تدخله الغفلة.

والإيقان، لا تدخله الغفلة.

- فالمؤمن يتجلى له الحق فى كل شىء.

وهو فانٍ عن كل شىء، فلم يشهد مع الله شيئًا.

- أما الموقن باقٍ فى كل شىء..

فهو يشهد الله فى كل شىء.

**«العبارة قوت لعائلة القلوب عند المستمعين، وليس لك منها إلا ما أنت له آكل»**.

فالعائل هو الفقير، والعائلة جمع له، فعبارة:

«العارفون قوت القلوب، الفقراء الطالبون لزيادة إيقان قلوبهم، ومشاهدة محبوبهم، فلا يزالون فى حضانة الشيوخ وعيالهم حتى يكمل إيقانهم، وترشد أحوالهم، يشتغلون بأنفسهم وعلامة رشدهم:

١- أنهم يأخذون النصيب من كل شىء.　　　　٢- ولا ينتقص من حالهم شىء.

٣- ويفهمون عن الله فى كل شىء.　　　　٤- ويعرفون فى كل شىء ..

فإذا كانوا كذلك فقد استقلوا بأنفسهم وتأهلوا لإرشاد غيرهم».

**قال بعض الحكماء:**

«مَنْ لم يفهم صرير الباب، ولا طنين الذباب، ولا نبيح الكلاب فليس من ذوى الألباب».

وأما مَنْ لم يبلغ المقام، فلا بد أن يلزم العش فى حضانة من يرزقه ويطعمه، فإذا طار من العش قبل تربية الجناح اصطادته الكلاب والبيزان، ولعبت به النساء والصبيان، فإذا كان فى عش الشيخ وكان يطعمه مع غيره فليس له من القوت إلا ما يَقْدر أن يأكله، وإلا قتله.

فليس طعام الصبى الصغير كطعام الرجل الكبير ..

وكل واحد يأخذ ما يليق به.

قال تعالى: ﴿ قَدْ علِم كُلُّ أُناسٍ مَّشْرَبَهُمْ ﴾[ البقرة : ٦٠ ].

فلا يتعلق المبتدئ بمذاكرة المنتهى فيفسد، كما فى حالة لو أكل الطفل الصغير طعام الرجل الكبير يقف فى حلقه وإذا أكل الكبير طعام الصغير لا يشبعه ..

والفرق كبير بين قوت الروحانية وقوت البشرية ..

فقوت البشرية معلوم .. وقوت الروحانية على وزن قوت البشرية.

فالصبى لا يطيق الطعام الخشن حتى يكبر .. كذلك الروح تربى شيئًا فشيئًا فتطعم أولاً :

| | |
|---|---|
| ١ - **ذكر اللسان فقط.** | ب- **ثم ذكر اللسان مع القلب.** |
| جـ- ثم ذكر **القلب** فقط. | د - ثم ذكر **الروح وهو الفكرة.** |
| هـ- ثم ذكر **السر وهو النظرة.** | |

ثم تأكل كل شىء وتشرب كل شىء حتى تبتلع الكون بأسره وتهضمه ..

فلو أعطيتها الفكرة أو النظرة، الذى هو طعام الرجال، أول مرة، وهى فى مقام الأطفال، للفظتْهُ وأخرجتْهُ وطرحتْهُ ..

فإذا بلغت الروح أن تأكل كل شىء، وتشرب كل شىء فقد صح لها أن تطير فى الملكوت الأعلى وتذهب حيث تشاء.

وقد يختلف الشرب لجماعة من آنية واحدة لاختلاف مقامهم:

كقضية الرجال الذين سمعوا قائلاً يقول: «يا سعترا برى» وذلك أن رجلاً فى الصفا بمكة صاح «يا سعترا برى» لرجل آخر، كان اسمه ذلك، فسمعه الثلاثة ..

فكل واحد تعلق بذهنه ما يليق بحاله:

١- فسمع أحدهم: "الساعة ترى برى".

٢- وسمع الآخر: "اسع ترى برِّى".

٣- وسمع الثالث: «ما أوسع برى".

فالأول كان **مستشرقا**، والثانى كان **مبتدئا** ، والثالث كان **واصلا**.

وكذلك قضية ابن الجوزى كان يقرأ فى بغداد :

«اثنى عشر علمًا» فخرج يومًا لبعض شئونه .. فسمع قائلاً يقول:

إذا العشـــرون من شعبــان ولــت

فواصـــل شـــرب ليلك بالنهــار

ولا تشـــرب بأقـــداح صــغــار

فقد ضـــاق الزمان على الصغــار

فخرج هائمًا على وجهه إلى مكة، فلم يعبد الله بها حتى مات رحمه الله .. فقد فهم من الشاعر: انصراف العمر وضيق زمان الدنيا كله.

قال الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضي الله عنه فى «لطائف المنن»:

«واعلم أن هذه المفهومات المعنوية الخارجة عن الفهم الظاهر ليست بإحالة اللفظ عن مفهومه، بل هو فهم زائد على الفهم العام يهبه الله لهذه الطائفة من أرباب القلوب، وهو من باطن الحكم المندرج فى ظاهره اندراج النبات فى الحبة، وذلك أن المدد النورانى والفتح الربانى يصل بعضه إلى الطرف الظاهر - حيث انتهت القوة انتهى الإدراك، فربما فهموا ما يوافق ظاهر الباطنية، وربما خالفه من جهة ما، وربما كان الفهم بعكس ظاهره».

وكان الشيخ مكين الدين بن الأسمر رضي الله عنه ممن شهد له الشيخ أبو الحسن الشاذلــى رضي الله عنه بالولاية الكبرى والمكاشفة العظمى.. فأنشد إنسان فى مجلسه:

لو كان لى مسعد بالراح يسعدنى

لما انتظرت لشــرب الراح إفطــارا

الراح شىء شريـــف أنت شاربــه

فاشرب ولو حملتك الــراح أوزارا

يا من يلوم على صهبــاء صافيــة

خذ الجنان ودعنى أســكن النــارا

فقال بعض فقهاء الظاهر: لا يجوز قراءة هذه الأبيات ..

فقال الشيخ مكين الدين: بل دَعْه فإنه رجل محجوب، يعنى أنه لا يفهم إلا الشراب الحسى دون المعنوى، وهو جُمود ..

ثم إن العبارة تدل على حال المعبر، فقد يكون فوق ما يقول، وقد يكون دون ما يقول:

**«ربما عبر عن المقام من استشرف عليه، وربما عبر عنه من وصل إليه، وذلك متلبس على صاحب بصيرة».**

فالعبارة لا تدل على نهاية المعبر ولا وصوله إلى ما عبر عنه، فقد يعبر عن المقام من لم يصل إليه، ولكن استشرف عليه، وقد يعبر عنه من وصل إليه، وربما عبر عن المقام وقدمــه فـوق ما عبر عنه، وذلك ملتبس، إذ لا يعرف المستشرف من الواصل إلا ذو

بصيرة نافذة.

يعنى من فتح عليه فى المعرفة، فكل من فتح عليه فى معرفة الله ورفع عنه الحجاب عرف كلام الواصل من المستشرف، فليس من خالط البلد ووصفها ثم نعتها كمن استشرف عليها، ولم يدخلها، ثم جعل ينعتها.

قال بعضهم:

١- وقد يعرف المستشرف بطول التعبير.

٢- بينما يعرف الواصل باختصاره.

فالمستشرف يطول العبارة ويكررها، والواصل من أول مرة يدركها ..

وقد قالوا: «العارف بالضرب لا يكثر الهنى، والعارف بالمفاصل لا يكثر الحق».

وهذه القاعدة ليست كلية، إذ كثير من العارفين الواصلين تطول عبارتهم لمعرفتهم بمفاصل الخطاب، ومن المستشرفين من تقصر عبارتهم.

فالاستشراف والوصول ليست إلا مراتب التوجه للتحقق بالعجز، فمن وصل إلى معرفة العجز عن الوصول، فهو الواصل لكن العجز لا يكون إلا بعد الاتصاف به حقيقة لا مجازاً، وذلك أن العاجز «الجاهل» عجزه عجز قهرى، أما العارف فعجزه جلالى رحمانى.

والمراد بالعجز فى حقه:

١- الحيرة والدهش أولاً. ٢- ثم العجز عن الإحاطة ثانيًا.

- يشهد لذلك أن الجاهل متى تحرك وقع فى الحظوط، وأما العارف فلا يتحقق إلا بالحقوق.

- والجاهل نصيبه الوهم.

والعارف نصيبه الفهم.

- والجاهل طالب للعلم.

والعارف طالب للمعلوم.

- والجاهل تابع بنظره للصور الحسية.

والعارف غائص ببصيرته مع الأرواح المعنوية.

وجمع المراتب والمقامات مراحل بين الحس والمعنى، وانتقال من المراتب والهياكل الجسمية للعوالم القلبية، ثم من العوالم القلبية إلى الحقائق الروحانية، ثم من الحقائق الروحانية إلى الأسرار الربانية، ثم من الأسرار الربانية إلى المعارف التوحيدية ..

ولا ينبغى للسالك أن يعبر عن هذه الأسرار إذا واجهته فى طريق السلوك ..

**« لا ينبغى للسالك أن يعبر عن وارداته، فإن ذلك مما يقلل عملها فى قلبه ويمنعه وجود الصدق منها مع ربه »**.

فالمريد فى حال سيره مأمور بالكتمان لعلمه وعمله، وحاله وإرادته:

- فإفشاؤه لعلمه وعمله من قلة إخلاصه.
- وإفشاؤه لأحواله من قلة صدقه مع ربه.

وأيضًا الأحوال تأتى من حضرة قهار فتزعج القلوب خوفًا، وتعلقها شوقًا، فإذا أفشى ذلك كان:

١- تبريداً لها. ٢- وإطفاء لنورها.

كمن غلت قدرتُه فصب فيها الماء البارد فيطول عليه غليها ثانيا، ولو قلل نارها وحركها لاستفاد إدَامها، كذلك الواردات الإلهية تفجأ القلوب لتحركها للنهوض إلى مولاها، فإذا أفشاها وذكرها للناس قل عملها فى قلبه ودل على قلة صدقه فيها مع ربه.

ومن ذلك استعمال الأحوال التى تميت النفوس لا ينبغى إفشاؤها، فللنفس حظ فى ذلك لأنها مجبولة على حب المدح، والذكر الحسن، ولو من الإخوان ..

ولما كان التعبير عن الواردات الإلهية مما يوجب الإقبال أو التعظيم، فيؤدى ذلك إلى العطاء .. فيحتاج إلى آداب القبض ..

**« لا تمدن يدك للأخذ من الخلائق إلا أن ترى أن المعطى فيهم مولاك، فإن كنت كذلك فخذ ما وافقك العلم »**.

ومَد اليد للأخذ من الخلائق على قسمين:

١- إما أن يكون من غير سؤال .. ٢- أو يكون بعد السؤال.

ولكل واحد منهما أحكام:

أ- أما الأخذ من غير سؤال فشرطه أمران:

أحدهما **علمى** .. فلا يأخذ ممن كسبه حرام ولا مخلط، ولا محجور عليه كالصبى والمجنون والعبد.

والثانى **صوفى** .. فلا يقبض حتى يعرف ممن يقبض علمًا وحالاً، فإن اتسعت معرفته، وتحقق فناؤه بحيث لم يبق له نظر للواسطة أصلاً، فربما يسلم له القبض مطلقًا، لأنه:

(أ) يقبض من الله. (ب) ويدفع بالله.

ولكن الكمال هو الجمع بين الحقيقة والشريعة ..

وقد كان كثير من الصوفية الحقيقيين يقبضون جوائز السلطان ثم يدفعونها على أيديهم.

ب- وأما القبض بعد السؤال فالكلام فيه على وجهين:

الأول .. فى جواز السؤال ومنعه.

والثانى .. فيما يقبضه بعد أخذه.

قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ ﴾[الضحى:١٠].

ثم تعتريه الأقسام الخمسة:

١ - فأما **الواجب** .. فهو ما يكون لسد الرمق، بحيث لو ترك السؤال مات، فهذا واجب عليه، فلو تركه حتى مات، مات عاصيًا، فأوجبه الشرع خوفًا على فوات حياة البشرية الحسية، وأوجبته الصوفية أيضًا على من خاف فوات حياته الروحية.

٢- وأما **المندوب** .. فهو أن يسأل لغيره، فهو من التعاون على البر:

أ- فيسأل الطعام ليطعمه من يستحى.

ب- ويسأل اللباس أو غير ذلك.

وقد سأل النبى ﷺ لأصحابه حين دخلوا عليه عراة.

ويدخل فى المندوب ما كان لرياضة النفوس.

٣- وأما **المكروه** .. فهو أن يسأل لقوت البشرية مع القدرة على الاستغناء عنه بسبب من الأسباب، وهذا ما لم ينقطع للعبادة ويتجرد إلى الذكر ..

وأما المنقطع إلى الله فلا بأس به، وقد فعله كثير من العارفين المحققين.

٤- وأما **المباح** .. فهو أن يسأل الحاجة الغير ضرورية:

أ- كسؤاله لقضاء دينه.

ب- أو ما يزيد على ستر عورته وسد رمقه.

جـ- أو غير ذلك مما ليس بضرورة ولكنه حاجى «أى محتاج إليه».

٥- وأما **المحرم** .. فهو أن يسأل تكثراً، أو زيادة على ما يكفيه ..

قال ﷺ: **«مَنْ له أربعون درهما فالسؤال عليه حرام».**

وقال ﷺ: **«إنه يبعث يوم القيامة وليس فى وجهه مزعة لحم».**

قيل لبعضهم:

كيف خرجت من الدنيا بعد أن كانت فى يدك؟

قال: "نظرت منصفًا فى قوله تعالى:

﴿ وَمَا من دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾[هود:٦].

فرأيت جميع الخلق: البعوضة إلى الفيل، تكفل الله لهم بالرزق، ففوضت أمرى إليه واشتغلت بالعبادة».

## المحبة والعشق

قال الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾[المائدة:٥٤].

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من أحب لقاء الله تعالى أحب الله لقاءه، ومن لم يحب لقاء الله تعالى لم يحب الله لقاءه».**

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: **«جاءنى جبريل عليه السلام فقال: يقول الحق سبحانه وتعالى: مَنْ أهان لى وليًا فقد بارزنى بالمحاربة وما ترددت فى شىء كترددى فى قبض نفس عبدى المؤمن، يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه، وما تقرب إلى عبدى بشىء أحب إلى من أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، ومن أحببته كنت له سمعًا وبصرًا ويدًا ومؤيدًا».**

وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: **«إذا أحب الله تعالى العبد قال لجبريل: يا جبريل إنى أحب فلانًا فأحبه .. فيحبه جبريل .. ثم ينادى جبريل فى أهل السماء: إن الله تعالى قد أحب فلانًا فأحبوه .. فيحبه أهل السماء، ثم يضع له القبول فى الأرض.. وإذا أبغض الله تعالى عبدًا قال:**

قال مالك: لا أحسبُهُ إلا قال فى البُغض مثل ذلك».

فالمحبة حالة شريفة، شهد الحق سبحانه وتعالى بها للعبد، وأخبر عن محبته للعبد..

فالحق سبحانه وتعالى يوصف بأنه يحب العبد .. والعبد يوصف بأنه يحب الحق سبحانه وتعالى.

والمحبة على لسان العلماء هى «الإرادة».

وليس مراد القوم بالمحبة الإرادة فإن المحبة لا تتعلق بالقديم، اللهم إلا أن يحمل على إرادة التقرب إليه والتعظيم له، فإن الإرادة من العبد لا تتعلق بالقديم بناء على أن أثرها التخصيص فلا تتعلق بالقديم كما لا تتعلق بالمستحيل ..

فمحبة الله سبحانه وتعالى للعبد إرادته لإنعام مخصوص عليه، كما أن رحمته له إرادة الإنعام، فالرحمة أخصُّ من الإرادة، والمحبة أخص من الرحمة، فإرادة الله سبحانه وتعالى أن يوصل للعبد الثواب والإنعام تسمى رحمة ..

وإرادته لأن يخصه بالقربة والأحوال العلية تسمى محبة، فإرادته سبحانه صفة واحدة ..

فبحسب تفاوت متطلباتها تختلف أسماؤها :

١- فإذا تعلقت بالعقوبة تسمى «غضبًا».

٢- وإذا تعلقت بعموم النعم تسمى «رحمة».

٣- وإذا تعلقت بخصوصها تسمى «محبة».

ويقول بعضهم: محبة الحق سبحانه وتعالى للعبد مدحه له وثناؤه عليه بالجميل، فيعود معنى محبته له على هذا القول إلى كلامه، وكلامه قديم.

* وقال آخرون: محبته للعبد من صفات فعله وهو إحسان مخصوص يلقى الله العبد به، وحاله مخصوصة يرقيه إليها.

* كما قال بعضهم: إن رحمته بالعبد نعمته معه.

* وقوم من السلف قالوا: محبته من الصفات الخيرية فأطلقوا اللفظ وتوقفوا عن التفسير، فأما ما عدا هذه الجملة مما هو في العقول من صفات محبة الخلق: كالميل إلى الشيء .. والاستئناس بالشيء ..

وكحالة يجدها المحب مع محبوبه من المخلوقين، فالقديم سبحانه يتعالى عن ذلك.

وأما محبة العبد لله فحالة يجدها من قلبه تلطف عن العبارة، وقد تحمله تلك الحالة على التعظيم له وإيثار رضاه، وقلة الصبر عنه والاحتياج إليه وعدم الفرار من دونه ووجود الاستئناس بدوام ذكره له بقلبه، وليست محبة العبد له سبحانه متضمنة ميلاً ولا اختطافًا.

كيف وحقيقة الصمدية مقدسة عن اللحوق والدرك والإحاطة ..

والمحب بوصف الاستهلاك في المحبوب أولى منه بأن يوصف بالاختطاط ..

ولا توصف المحبة بوصف، ولا تحد بحد أوضح ولا أقرب إلى الفهم من المحبة، والاستقصاء في المقال عند حصول الإشكال، فإذا زال الاستعجام والاستبهام سقطت الحاجة إلى الاستغراق في شرح الكلام.

وعبارات الناس عن المحبة كثيرة، وتكلموا في أصلها في اللغة، فبعضهم قال: الحب اسم لصفاء المودة .. لأن العرب تقول لصفاء بياض الأسنان ونضارتها حبب الأسنان.

- وقيل : الحباب ما يعلو الماء عند المطر الشديد ..

فعلى ذلك: المحبة غليان القلب وثورانه عند العطش والاحتياج إلى لقاء الحبيب «المحبوب».

- وقيل: انه مشتق من حباب الماء بفتح الحاء وهو معظمه، فسُمى بذلك لأن المحبة غاية ما فى القلب من المهمات.

- وقيل اشتقاقه من اللزوم والثبات ..

يُقال أحب البعير، وهو أن يبرك فلا يقوم فكأن المحب لا يبرح بقلبه عن ذكر محبوبه.

- وقيل: الحب مأخوذ من الحَب وهو «القُرط» وسُمى القُرط حَبًا، إما للزومه للأذن أو لتعلقه وكلا المعنيين صحيح فى الحب.

- وقيل إنه مأخوذ من الحب، والحب قمع «حبة» وحبة القلب ما به قوامه.

- وقيل: إنه مأخوذ من الحِبة ، بكسر الحاء، وهى بذور الصحراء.

- وسُمى الحب حبا لأنه لباب الحياة، كما أن الحب لباب النبات.

- وقيل: الحب، هى الخشبات الأربع التى توضع عليها الجرة، وسميت المحبة حبا لأنه يتحمل عن محبوبه كل عز وذل.

- وقيل: إنه من الحب الذى فيه الماء لأنه يمسك ما فيه فلا يسع فيه غير ما امتلأ به، كذلك إذا امتلأ القلب بالحب فلا مساغَ له لغير محبوبه.

- وأما أقاويل الشيوخ فى الحب:

- فقال بعضهم: المحبة الميل الدائم بالقلب الهائم.

- وقيل: المحبة إيثار المحبوب على جميع المصحوب.

- وقيل: موافقة الحبيب فى المشهد والمغيب.

- وقيل: محو المحب صفاته وإثبات المحبوب بذاته.

- وقيل: مواطأة القلب لمرادات الرب.

- وقيل: خوف ترك الحرمة مع إقامة الخدمة.

وقال أبو يزيد البسطامى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

«المحبة استقلال الكثير من نفسك، واستكثار القليل من محبوبك ..

وقال سهل بن عبد الله: «الحب معانقة الطاعة ومباينة المخالفة».

وسُئل الجنيد عن المحبة، فقال:

«دخول صفات المحبوب على البدل من صفات المحب» .. أشار بذلك إلى استيلاء ذكر المحبوب حتى لا يكون الغالب على قلب المحب إلا ذكر صفات المحبوب والتغافل بالكلية عن صفات نفسه، والإحساس بها ..

وقال أبو على الروزبارى: «المحبة الموافقة».

وقال أبو عبد الله القرشى: «حقيقة المحبة أن تهب كلك لمن أحببت فلا يبقى لك منك شيء».

وقال الشبلى: «سُميت المحبة محبة لأنها تمحو من القلب ما سوى المحبوب».

وقال ابن عطاء الله: «المحبة إقامة العتاب على الدوام».

وقال أبو على الدقاق: «العشق مجاوزة الحد فى المحبة».

وقال الشبلى: «المحبة أن تغار على المحبوب أن يحبه مثلك»

وقال محمد بن الفضل: «المحبة سقوط كل محبة من القلب إلا محبة الحبيب».

وقال الجنيد: «المحبة إفراط الميل بلا نيل».

ومن أشعار ابن عطاء رضي الله عنه:

غرستُ لأهل الهوى غصناً من الهوى

ولم يك يدرى ما الهوى أحد قبلى

فأورق أغصاناً وأينع صبوة

وأعقب لى مراً من الثمر المحلى

وكل جميع العاشقين هواهمو

إذا نسبوه كان من ذلك الأصل

كتب يحيى بن معاذ إلى أبى يزيد البسطامى يقول:

«سكرتُ من كثرة ما شربتُ من كأس محبته».

فكتب إليه أبو يزيد: «غيرك شرب بحور السموات والأرض، وما روى بعد ولسانه خارج ويقول هل من مزيد؟

وقد أنشدوا فى هذا المعنى:

عجبت لمن يقول ذكرت إلفى

فهل أنسى فأذكر ما نسيتْ؟

أمـــوت إذا ذكرتـــك ثـم أحـيــا

ولـــولا حســن ظــنى مـا حييتْ

فأحــيــا بالمُنى وأمــوت شوقًــا

فـكـم أحيا عليـك وكـم أمــوتْ

شـــربت الحــب كأســًا بعـد كأس

فمـــا نَفَــد الشــرابُ ومـا رويـتْ

وكلمة «المحبة» تستعمل على وجوه عديدة عند العلماء والمحققين:

- فهى تعنى تلك الرغبة القلقة نحو موضع الحب.
- وهى مليئة بالميل والعاطفة وبذلك فهى تشير إلى المخلوقات وعواطفهم المتبادلة.
- لا يمكن أن تنطبق هذه المعانى على الله الذى تعالى عن كل شىء علواً كبيراً.
- تعنى أيضًا إكرام الله وخصوصيته لمن اصطفاهم وقربهم لنيل درجة كمال الولاية وخصهم بأنواع شتى من كراماته الربانية.
- كما تعنى الثناء الجميل الذى يمنحه الله تعالى للإنسان على ما قام به من عملٍ طيب.

يقول بعض المتكلمين:

«إن محبة الله التى أطلعنا عليها إنما تنتمى لتلك المجموعة من الصفات الإلهية المعهودة مثل:

١- وجهه العلى. ٢- ويده تعالى. ٣- واستوائه على عرشه.

وهى صفات لا يمكن للعقل أن يتخيلها، ويعتبرها شيئًا مستحيلاً لو لم تأتِ فى القرآن والسنة على أنها صفات إلهية.

ولذلك فهم يؤكدون هذه الصفات ويؤمنون بها ولكن لا يحكمون عليها ..

إن هؤلاء المتكلمين ينكرون أنه لا يجوز استخدام كلمة «المحبة» بالمعانى التى سبق ذكرها ..

إن محبة الله تعالى للإنسان هى سابقة الحسنى التى قدَّرها، ورحمته عليه . والمحبة أحد أسماء إرادته سبحانه وتعالى، شأنها فى ذلك شأن الرضى والغضب، والرحمة والسخط، والرأفة وما يشبه ذلك، وإرادته تعالى صفة أبدية ينفذ بها مشيئته ..

وباختصار.. فإن محبة الله للإنسان هى مزيد إكرامه للعبد وإعطائه خير الثواب فى هذه الدنيا وفى الحياة الأخرى، وحفظه من العقاب، وصونه من المعصية ومنحه الأحوال العالية والمقامات السامية، وقطع قلبه عن الالتفات إلى الأغيار، وربطه بالعناية الأزلية، حتى يتجرد عن الكل، وينفرد لطلب رضاه فإذا اختص الله تعالى إنسانًا بهذه الحالة، كانت تلك الخصوصية محبة منه سبحانه، مبعثها إرادته، وهذا هو مذهب الحارث المحاسبى والجنيد وعدد من أئمة الصوفية..

ويرى فقهاء الفريقين ومتكلمو أهل السنة هذا الرأى.

أما بخصوص إثباتهم أن محبة الله هى الثناء الذى يمنحه للإنسان على عمله الصالح، فإن ثناء الله، هى كلمته غير المخلوقة..

أما قولهم: «محبة الله هى إكرامه تعالى فإن إكرامه صادر مع أفعاله..

لذلك فإن هذه الآراء التى يبدو تعارضها هى فى الحقيقة متقاربة فى أساسها.

أما محبة الإنسان لله تعالى، فهى صفة تظهر فى قلب المؤمن التقى على هيئة إجلال وإعظام فيسعى لإرضاء محبوبه، ويستبد به القلق والجزع فى محاولته رؤيته تعالى، وهو لا يهدأ نفسًا مع أحد إلا معه ويعتاد ذكره، ويكره أن يذكر غيره، ويكون السكون حرامًا عليه، والراحة براءً منه، وبذلك ينقطع عن العبادات والاجتماعات ويزهد هوى النفس ويتجه بكليته نحو ساحة الحب ويخضع لشريعته ويعرف الله بصفاته الكمالية.

ومن المستحيل أن تكون محبة العبد لله من نوع محبة الخلق بعضهم البعض، إذ إن الأولى رغبة فى إدراك المحبوب والوصول إليه. أما الثانية، فهى من خواص الأجسام..

إن من يحب الله هو ذلك الذى يستهلك نفسه فى محاولة القرب منه تعالى، لا من بحث عن الكيفية.. ذلك لأن الباحث عن الكيفية يقف إلى جانب نفسه، أما الباذل لنفسه فيقف إلى جانب محبوبه.. وأصدق المحبين هم أولئك الذين يريدون أن يموتوا بهذه الصورة ويغلبهم القهر، ذلك لأن المخلوق الحادث لا يمكنه أن يقترب من الله الأزلى إلا عن طريق قهر الله تعالى له..

فمن عرف حقيقة المحبة لا يشعر بالمصاعب وتتبدد عنه الشكوك..

فالمحبة إذن على نوعين:

**١- محبة المثل للمثل:**

وهى رغبة تبعثها النفس الدنية والتى تطلب ذات المحبوب عن طريق النكاح.

**٢- محبة ما ليس بالمثل:**

والذى يحاول أن يتحد بصفة من صفات محبوبه كأن :

أ- يسمع بلا كلام. ب- ويرى بدون عين.

ومن يحبون الله على نوعين:

أ- من ينظرون إلى نعمة الله وكرمه نحوهم وقد جعلهم ذلك يحبون الْمُنعم الكريم.

ب- ومن غلبوا بالمحبة حتى إنهم يعتبرون عطاياهم حجابًا « يحجبهم عن الله ».

وهم بنظرهم إلى المنعم يدركون نعماءه وهم أعلى قدراً من سابقيهم.

أما عن خلاصة المحبة:

فهى معروفة بين جميع أصناف الخلق، ومشهورة على جميع الألسنة، ومتداولة بجميع اللغات، ولا يستطيع صنف من الناس أن يخفيها عن نفسه ..

ومن شيوخ هذه الطائفة « سمنون المحب »، وله مذهب خاص فى المحبة ، فهو يقول:

« إنّ المحبة هى أساس الطريق إلى الله وأصله، وإن كل الأحوال والمقامات هى درجات للمحبة وإن كل الدرجات والمقامات التى يكون فيها الطالب قابلة للهلاك إلا مقام المحبة فلا يصله شىء من ذلك ».

وقد وافقه على ذلك كل المشايخ فى هذه المسألة ولكن .. حيث إن اصطلاح المحبة متداول ومشهور وهم يريدون أن يبقى مذهب محبة الله خافيًا فبدلاً من أن يسموه « المحبة » قالوا عنه « الصفوة »، والعاشق سموه « الصوفى » أو استملحوا لفظة « الفقر » لتدل على زهد المحب فى إرادة نفسه وإثبات إرادة محبوبه، وسمُّوا المحب « فقيراً ».

ويقول ذلك الشيخ العظيم فى الحب:

- الحب عند الزهاد أظهر من الاجتهاد ..
- وعند التائبين أوجد من حنين وأنين .
- وعند الأتراك أشهى من الفتراك.
- وسبى الحب عند الهنود أشهر من سبى محمود .
- وقصة الحب والحبيب عند الروم أشهر من الصليب.
- وفى العرب فى كل حى مَنْ طرب وويل وحزن.

والمراد من كل ذلك أنه لا جنس من البشر لم يكن له سقوط فى أسر الغيب، ولم يذق فرح الحب فى قلبه، أو لم يسكر قلبه بشرابه أو لم يُقهر بخمره ..

ذلك أنّ تركيب القلب من الانزعاج والاضطراب وبحر عقد المحبة فيه كالسراب ..

فالمحبة للقلب كالطعام والشراب، وكل قلب خالٍ منها فهو خراب، وليس للتكليف طريق لدفعه وجلبه، وليس للنفى معبر لذوق ما يمرُ فى القّلب من لطائف منه ..

قال عمر بن عثمان المكى فى كتاب «المحبة»:

إن الله تعالى خلق القلوب قبل الأجسام، بسبعة آلاف سنة وحفظها فى مقام القرب، ثم خلق الأرواح قبل القلوب بسبعة آلاف سنة وحفظها فى روضة الأنس، وخلق الأسرار قبل الأرواح بسبعة آلاف سنة، وحفظها فى درجة الوَصْل وفى كل يومٍ كاشف القلوب بجمالاته الربانية ثلاثمائة وستين مرة، وأكرمهم بثلاثمائة وستين نظرة، ثم وفق الأرواح لسماع كلمة المحبة وأكرم النفوس بثلاثمائة وستين إكرامًا إنسيًا، حتى إنهم شاهدوا جميع المخلوقات فلم يروا شيئًا أكرم منهم فملئوا زهواً وإعجابًا، فلذلك عرضهم للمحبة فحبس السر فى القلب، والقلب فى الجسد، ثم مزج العقل معهم، وأرسل رُسلاً وجعل أحكامًا.. فلذلك بدأ كل منهم بالبحث عن مقامه الأصلى، فأمرهم الله تعالى بالصلاة، فانقاد الجسم للصلاة، وبلغت النفس المحبة، ووصلت الروح إلى التقرب من الله تعالى ووجد القلب السكون فى الاتحاد معه.

والتعبير عن المحبة ليس بمحبة لأن المحبة حال والأحوال ليست بمقال.

أما **العشق** فقد اختلفت المشايخ فى هذا الموضوع:

- فبعضهم يقولون بأن العشق فى جانب الله جائز لكنه لا يصدر من الله، لأن مثل هذه المحبة هى صفة الإنسان الممنوع من محبوبه، والإنسان ممنوع من الله تعالى.

  لكن الله سبحانه وتعالى ليس ممنوعًا عن العبد، لذلك فالإنسان له أن يعشق الله، لكن هذا الاصطلاح لا ينطبق عليه سبحانه.

- والبعض يأخذون رأى من قال:

  إن الله سبحانه وتعالى لا يكون غاية لعشق الإنسان، لأن مثل هذه المحبة إن صحت تشمل القول بالتحديد، والله سبحانه وتعالى ليس بمحدود.

- والمعاصرون يثبتون أن العشق فى الدنيا والآخرة لا يتحقق إلا بالإدراك، وحيث إن ذات الله سبحانه وتعالى لا تدرك، فاصطلاح العشق لا يصح استعماله بالنسبة لمحبة العبد لله، ولو أن لفظة «المحبة» و«الصفوة» صحيحتان فى هذا المعنى.

- وهم يقولون زيادة على ما ذكر أن المحبة تحصل بالسماع، لكن العشق لا يمكن حصوله بدون مشاهدة، لذلك فإنه لا ينطبق على الذات الأحدية التى لا تُرى

فى هذه الدنيا فذات الله سبحانه وتعالى لا يمكن إدراكها ولا الوصول إليها حتى يمكن للإنسان أن يشعر بعشقها، لكن الإنسان له أن يشعر بالمحبة لله، لأن الله سبحانه وتعالى كريم رءُوفٌ رحيم، بصفاته وأفعاله لأحبابه ..

ولما كان يعقوب عليه السلام مملوءاً بحب ابنه يوسف عليه السلام عندما كان بعيداً عنه فإن بصره ارتد له بعد ما شم قميص يوسف ..

أما «زليخا» التى كانت على وشك الموت من عشقها ليوسف فإن عينها لم تفتح إلا بعد ما اتصلت به.

- وقالوا أيضًا: «أن ليس للعشق ضد، كما أن الله ليس له ضد، حتى يجوز عليه ذلك».

ومن إشارات بعض أهل الذوق فى حقيقة المحبة:

- قال أبو القاسم القشيرى :

«المحبة هى محو الحب بصفاته وإثبات المحبوب بذاته».

يعنى أنه ما دام المحبوب باقيًا فالمحب باقٍ وغيرةُ المحبة هى فى أن يجعل المحب بقاء محبوبه لازمًا بمحو نفسه، وأنه لا يمكنه محو صفاته إلا بإثبات حقيقة المحبوب، والعاشق لا يمكنه البقاء بصفاته، لأنه فى هذه الحالة لا يرغب فى جمال محبوبه، ولكنه متى علم أن حياته متوقفة على جمال محبوبه فإنه من اللازم له البحث عن فناء صفاته التى تحجبه عن محبوبه، وعلى ذلك فيكون فى حبه لحبيبه عدواً لنفسه.

ومن المشهور أن آخر كلام للحسين بن منصور الحلاجُ وهو على الخشبة هذه الألفاظ:

«حَسْبُ الواجد إفرادُ الواجد له».

يعنى ذلك أنه ببعد وجوده فى طريق المحبة وأن تدمر مملكة النفس الأمارة بالسوء.

قال أبو يزيد البسطامى رضي الله عنه:

«المحبة استقلالُ الكثير من نفسك واستكثار القليل من حبيبك».

هذا هو الطريق الذى يعامل به الله عباده المخلصين لأنه جعل ما أعطاهم فى هذه الدنيا قليلاً، ولكنه سمى حمدهم كثيراً، وذلك فى مدلول الآية:

﴿ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ ﴾[ النساء :٧٧ ].

وفى هذا العمر القصير والمتاع القليل والمكان الضيق يرى ذكرهم كثيراً فيقول:

﴿ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ ﴾[ الأحزاب :٣٥ ].

وذلك لكى يعرف جميع خلقه أن الحبيب الحقيقى هو الله تعالى بالذات لأنه ليس بقليل ما يكرم الله به العبد، وإنه لمن القليل ما يوردها الإنسان لربه .. قال سهل بن عبد الله التسترى:

«المحبة معانقة الطاعات ومباينة المخالفات».

لأن الإنسان إنما يسهل عليه أداء أوامر محبوبه على قدر محبته فى قلبه، وهذا مناف لما يقوله الملاحدة.

«أن الإنسان ربما يصل إلى درجة من درجات المحبة لا يحتاج بعدها إلى عمل الطاعة»، وهذا مذهب باطل محض، ومن المحال أن يرى إنسان عنده ذرة من العقل أنه يتخلص من واجبات الشرع لأن شريعة محمد ﷺ لن تنسخ أبداً، وإذا سمح لأى إنسان أن يتخلص منها، فلماذا لا يتخلص منها الجميع، هذا هو حال المغلوبين والمعتوهين خلاف ما ذكرنا.

ومن المقبول عقلاً أن الله سبحانه وتعالى إذا أكرم العبد بمحبته يجعله فى مرتبة لا يتألم فيها من أداء الفرائض الدينية ولا يعتوره أدنى تعب ولا نصب، لأنه كلما أحب العبد ربه الذى أصدر هذه الأحكام قلت المتاعب فى القيام بها.

ولما عكف رسول الله ﷺ نفسه على عبادة الله ليلاً ونهاراً حتى ورمت قدماه ..

قال له الله تعالى:

﴿ طه ۝١ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ۝٢ ﴾[طه: ١، ٢].

وإنه لمن الممكن أيضًا أن العبد ربما يرى أثناء الطاعة قيامه بأوامر الله تعالى ..

كما قال رسول الله ﷺ: **«إنه ليُغان على قلبى فأستغفر الله سبعين مرة فى اليوم»**.

يعنى بذلك أنه يسأل الله المغفرة فى أعماله لأنه لم يعتبر نفسه ولا أعماله، حتى يفرح بطاعته لكنه كان ناظراً إلى إجلال أمر الله تعالى، وكان يرى أن أعماله لا تستوجب القبول ..

قال سمنُون المحب:

«ذهب المحبون له بشرف الدنيا والآخرة، لأن رسول الله ﷺ قال: «المرْء مع مَنْ أحب».

وحيث إن الأمر كذلك فإنهم مع الله تعالى فى كلتا الدارين، ومَنْ كان مع الله فلا يصدر منه خطأ فنعيم هذه الدنيا هو محبة الله لهم ومعيته لهم، وفى الآخرة هو معيتهم لله..

قال يحيى بن معاذ الرازى رضي الله عنه :

«حقيقة المحبة ما لا ينقص بالجفاء ولا يزيد بالبر لأن كلا من الرحمة والقسوة فى المحبة أسباب، وعلةُ الشىء لا أثر لها إذا وُجد الشىء نفسُه فالمحب يفرح بالألم الذى يعذبه به محبوبه، ومع وجود المحبة فإنه يعتبر الرحمة والقسوة كشىء واحد.

يُحكى عن الشبلى أنه حال جذبته حُبس فى المارستان فأتاه بعض أشخاصٍ ليزوروه، فسألهم: من أنتم؟ قالوا: «أحباؤك»، فرماهم بالحجارة ففروا منه ثم قال لهم «لو كنتم أحبابى لما فررتم من بلائى».

والمحرِّك الرئيسى لكل من الحب والعشق هو الشوق ..

قال الله جل شأنه : «من كان يرجو لقاء الله فإن أجل الله لآت».

وعن عطاء بن السائب عن أبيه قال: «صلى بنا عمار بن ياسر صلاة فأوجز فيها ..

فقلتُ: خففت يا أبا اليقظان ..

فقال: وما على من ذلك، ولقد دعوت الله بدعواتٍ سمعتها من رسول الله ﷺ ..

فلما قام تبعه رجل من القوم فسأله عن الدعوات ..

فقال: «اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحينى ما علمت الحياة خيراً لى، وتوفنى ما علمت الوفاة خيراً لى، اللهم إنى أسلألك خشيتك فى الغيب والشهادة وأسألك كلمة الحق فى الرضا والغضب، وأسألك القصْد فى الغنى والفقر، وأسألك نعيمًا لا يبيد، وقرة عين لا تنقطع، وأسألك الرضا بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت، وأسألك النظر إلى وجهك الكريم، وشوقًا إلى لقائك فى غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة .. اللهم زينا بزينة الإيمان .. اللهم اجعلنا هداة مهتدين ..

قال بعضهم:

«الشوق احتياج القلوب إلى لقاء المحبوب، وعلى قدر المحبة يكون الشوق».

وقد قيل فى هذا المعنى:

لا يرجــعُ الطرف عنه عند رؤيته

حتى يعودَ إليه الطــرف مشتاقاً

وقد قال النصر باذى رضي الله عنه :

«للخلق كلهم مقام الشوق وليس لهم مقام الاشتياق ومن دخل فى حال الاشتياق هام فيه حتى لا يجد له أثراً ولا قراراً ..».

وجاء أحمد بن حامد الأسود إلى عبد الله بن المبارك فقال: رأيت في المنام أنك تموت إلى سنة، فلو استعددت للخروج؟

فقال له عبد الله بن المبارك: قد أجلتنا إلى أمد بعيد، أعيش أنا إلى سنة، لقد كان لي أنس بهذا البيت:

**يا من شكا شوقه من طول فرقته**

**اصبر لعلك تلقى من تحب غدا**

وقال أبو عثمان رضي الله عنه : «علامة الشوق حُب الموت مع الراحة».

وقال يحيى بن معاذ رضي الله عنه : «علامة الشوق فطامُ الجوارح من الشهوات».

وقال الشيخ أبو علي الدقاق رضي الله عنه :

خرج داود عليه السلام يومًا إلى بعض الصحارى منفرداً فأوحى الله إليه:

**مالي أراك يا داود وحدانيًا..**

فقال: إلهي .. استأثر الشوق إلى لقائك على قلبي فحال بيني وبين صحبة الخلق ..

فأوحى الله تعالى إليه:

**ارجع إليهم فإنك إن أتيتني بعبد آبق أثبتك في اللوح المحفوظ جهبذًا..**

وقيل: كانت عجوز قدم بعض أقاربها من السفر فأظهر قومها السرور، والعجوز تبكي ..

فقيل لها: ما يبكيك؟

فقالت: ذكرني قدوم هذا الفتى يوم القدوم على الله تعالى ..

وسُئل ابن عطاء الله رضي الله عنه عن الشوق فقال:

«احتراق الأحشاء، وتلهب القلوب وتقطع الأكباد.

وقيل له رضي الله عنه: الشوقُ أعلى أم المحبة؟ فقال: المحبة، لأن الشوق منها يتولد.

وقال بعضهم:

«الشوق لهيب ينشأ بين أثناء الحشا يسنح عن الفرقة، فإذا وقع اللقاء طفئ، وإذا كان الغالب في الأسرار مشاهدة المحبوب لم يطرقها الشوق».

وقيل لبعضهم: هل تشتاق؟

فقال: لا، إنما الشوق إلى غائب وحاضر».

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴾[طه: ٨٤].

قال أبو علي الدقاق: رضي الله عنه شوقًا إليك، فستره بقول الرضا.

وقال رضي الله عنه: «من علامات الشوق تمنى الموت على بساط العوافى كيوسف عليه السلام لما ألقى فى الجب لم يقل توفنى ولما أدخل السجن، لم يقل: توفنى. ولما دخل عليه أبواه وخر الأخوة له سجداً وتم له الملك والنعم..

قال: توفنى مسلمًا.

وفى معناه أنشدوا:

نحن فى أكمل السرور ولكن
ليس إلا بكم يتم السرورُ
عيب ما نحن فيه يا أهل ودى
انكم غيب ونحن حضورُ

وفى نفس المعنى أنشدوا:

من سره العيد الجديد
فقد عدمت به السرورا
كان السرور يتم لى
لو كان أحبابى حُضُورا

# الفقر والتصوف

للفقر مكانة ومرتبة عالية فى طريق الحق .. وللفقراء خطر كبير ..

قال تعالى: ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ ﴾[ البقرة :٢٧٣ ].

وقال أيضًا : ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً عَبْدًا مَّمْلُوكًا لاَّ يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ ﴾[ النحل :٧٥ ].

وقال كذلك: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾[ السجدة :١٦ ].

وقد اختار النبى ﷺ الفقر حين قال:

**«اللهم أحينى مسكينًا، وأمتنى مسكينًا، واحشرنى فى زمرة المساكين».**

وقال ﷺ أيضًا ما معناه:

« يقول الله يوم القيامة: **«ادنوا منى أحبابى».**

فتقول الملائكة: **«ومَنْ أحباؤك؟».**

فيقولُ جل شأنه : **«فقراء المسلمين».**

والقرآن والسنة ذاخران بالآيات والأحاديث المشابهة .. وكان من بين المهاجرين فى عهد النبى ﷺ رجال فقراء يجلسون فى مسجده، ويخصصون وقتهم كله للعبادة « يعنى بهم أهل الصفة » معتقدين كل الاعتقاد أن الله سبحانه وتعالى سوف يُغنيهم بعد أن توكلوا عليه، وقد أمر النبى ﷺ أن يجتمع بهم ويوليهم عنايته ..

قال جل شأنه: ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾[ الكهف :٢٨ ].

ولذلك كان النبى ﷺ عندما يقابل أحدهم يقول ما معناه:

« بأبى أنت وأمى لقد عاتبنى فيكم ربى » .

ولذلك فقد امتدح الله الفقر، وجعله امتيازاً خاصًا للفقراء الذين تجردوا عن كل سبب ظاهرى وباطنى، واتجهوا بكليتهم نحو مسبب الأسباب، حتى صار الفقر مفخرة لهم، يئنون لذهابه، ويسرون لمجيئه، ويأنسون إليه، ويعتبرون ما عداه محتقراً ..

وللفقر رسم وحقيقة:

- فرسمه العوز والافتقار. - وحقيقته الثراء والاختيار.

ومن ينظر إلى الرسم يبقى عند الاسم، ويبتعد عن الحقيقة دون أن يحقق أمله، ولكن من يجد الحقيقة يبتعد بناظريه عن كل ما هو مخلوق، ويسرع بغناء الكل فى رؤية الكل ببقاء الكل .. إذاً: «من لم يعرف سوى رسمه لم يسمع سوى اسمه».

والفقير: هو الذى ليس له شىء، وليس فى إمكانه أن يفقد شيئًا، وهو لا يصبح غنيًا إلا إذا حاز عرضًا، ولا فقيراً إذا لم يكن لديه شىء فالوجود والعدم سواء عنده لفقره، وقد اتفق على أنه يزداد سروراً، حينما لا يكون لديه شىء ..

فقد قال الشيوخ:

«كلما زاد فقر المرء كلما تكشفت أمامه الأحوال».

ذلك أنه من سوء حظ الفقير أن تكون له ممتلكات، فإذا احتفظ بشىء لنفسه ولمنفعته الخاصة كان بمثابة من يأسر نفسه، ويعيش أحباب الله ألطافه الخفية وعطاءه الإلهى ولا يحجبهم عرض الدنيا عن طريق الرضا بل عن طريق الدنيا الغادرة التى هى دار الفجار.

ويُحكى أنه قابل أحد الدراويش ملكًا .. فقال الملك له: «ما حاجتك»؟

فأجابه الدرويش: «أنا لا أطلبُ حاجة من أحد من عبيدى».

فقال الملك: وكيف ذلك؟

فأجابه الدرويش: لدى عبدان، هما سيدان:

١- الحرص. ٢- وطولُ الأمل.

وقد رُوى عن النبى ﷺ: «ان الفقر عز لأهله».

إذاً فما هو عز لأهله، هو ذل لغير أهله، وعزه فى:

١- أن الله قد حفظ جوارح الفقير من أن يقع فى الزلل.

٢- وقلبه من الخلل.

- فلا يرتكب جسده معصية أو زلة.

- ولا يعتور حاله خلل وآفة.

ذلك لأن ظاهره مشغول فى التفكير فى آلاء الله، وباطنه تحميه رحمته الخفية.

وبذلك يصبح جسمه روحانيًا وقلبه ربانيًا.

وعندئذ تنفصم العلاقة بينه وبين البشر، ولا يصير غنيًا فى هذا العالم، حتى ولو مُنح ملكه، ولاَ فى العالم الآخر حتى لو مُنح ملكه .. بحيث لا يزن هذا العالم والعالم الآخر فى ميزان فقره أكثر من جناح بعوضة، ولا يجتذبه هذان العالمان لمجرد لحظة من الزمن.

وقد اختلف أئمة الصوفية أيهما أفضل؟ الفقر أم الغنى؟

على اعتبار أنهما صفتان من صفات الإنسان. إذ أن الغنى الحقيقى صفة من صفات الله الكامل فى كل صفاته.

ويرى يحيى بن معاذ الرازى، وأحمد بن الجوزى، والحارث المحاسبى، وأبو العباس ابن عطاء، ورويم، وأبو الحسين بن سمعون : **أن الغنى أفضل من الفقر ..**

ويؤيدهم من المتأخرين: الشيخ أبو سعيد فضل الله ابن أبى الخير محمد الميهنى، فيرى: أيضًا أن الغنى أفضل من الفقر.

وحجتهم فى ذلك: أن الغنى صفة من صفات الله، بينما لا يمكن أن نعزو الفقر إليه سبحانه ..

ولذلك فإن الصفة التى يشترك فيها الإنسان مع الله، أفضل من تلك التى لا تنطبق على الله سبحانه وتعالى.

وهذا اشتراك فى الاسم لا فى المعنى، وليس له وجود فى الحقيقة، إذ أنَّ الاشتراك الحقيقى فى الأسماء يقتضى وجود تشابه فى المعنى.

ولكنا نرى أن الصفات الإلهية أزلية .. بينما الصفات الإنسانية مخلوقة ..

ولذلك فإن برهانهم خاطئ ..

فالغنى صفة يوصف بها الله، وليس للإنسان حق فى الاتصاف بها، بينما الفقر صفة يتصف بها الإنسان ولا يوصف بها الله، وقد يوصف الإنسان مجازاً بالغنى، ولكنه فى الحقيقة ليس كذلك.

وهناك برهان أخير يبين ويوضح هذه النقطة هو أن الغنى الإنسانى صفة ترجع للأسباب أما الغنى الإلهى فلا يرجع لأى سبب، لأن الله هو مسبب الأسباب، ولهذا فلا يوجد اشتراك بالنسبة لهذه الصفة، وليس من المسموح أن نشبه شيئًا بالله، لا فى حقيقته، ولا فى صفته، ولا فى اسمه، فغنى الله فى:

١- عدم حاجته للغير.

٢- وفى قدرته أن يفعل ما يريد.

فلا راد لقضائه، ولا مانع لقدرته، فهو قادر على الضدين وهكذا كان دائمًا، وهكذا سيكون أبداً.

أما غنى الإنسان فهو:

١ - وسيلة من وسائل العيش.

٢- أو من وسائل جلب السرور.

٣- أو قد يكون سبيلاً لعدم الوقوع فى المعصية.

٤- أو قد يكون سبيلاً لعدم التمتع بالمشاهدة.

وجميعها عارية، عرضة للتغيير، ومادة للطلب والتحسر، وموضع العجز.

وهذا الاسم مجاز للخالق.

قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ﴾[فاطر :١٥].

وقال أيضًا: ﴿ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ ﴾[محمد :٢٨].

وعلاوة على ذلك فإن بعض العوام يفضلون الغنى على الفقير قائلين:

«إن الله يتفضل برحمته على الغنى فى الدنيا وفى الآخرة، وأنه تعالى قد منحه الغنى فى هذه الدار .. فإن معنى الغنى لديهم هو:

١- وفرة العَرَض الدنيوى. ٢- والمتاع واتباع الشهوات.

وحجتهم أن الله قد أمرنا أن نشكره لنعمائه وأن نصبر على الفقر، أى:

١- أن نصبر فى الضراء. ٢- وأن نشكر فى السراء.

ولذلك فإن السراء هى بالضرورة خير من الضراء، فإنه عندما أمرنا الله تعالى أن نشكر فى السراء جعل الشكر وسيلة لزيادة نعمائه.

ولكن عندما أمرنا أن نصبر فى الضراء جعل الصبر وسيلة لأن يقربنا لجنابه العلى.

قال تعالى: ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [إبراهيم:٧].

وقال أيضاً: ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾[البقرة: ١٥٣].

فكل مَنْ يشكر على النعمة، وهى فى الأصل غفلة، فإنه يزداد غفلة على غفلته.

وكل من يصبر على الفقر - وأصله بلاء - يزداد قربًا على قرب.

إن العلماء الذين يفضلون الغنى على الفقر لا يستخدمون كلمة «الغنى» بمعناها العامى، فهم لا يقصدون بها جمع «النعماء» ولكن الاتصال بالمنعم، ويقولون: إن الاتحاد بالله شىء آخر غير الغفلة عن الله ..

وقد قال الشيخ أبو سعيد رحمه الله: «الفقرُ هو الغنى بالله».

أى أنه هو المكاشفة الدائمة للحق.

والمكاشفة تقتضى وجود حجاب، ولهذا فإن كان المتمتع بالمكاشفة محجوبًا عن المكاشفة بصفة الغنى، يكون:

١- إما فى حاجة إلى المكاشفة. ٢- أو فى غير حاجة إليها.

فإذا لم يكن فى حاجة إلى المكاشفة كان الاستنتاج ضعيفًا وسخيفًا، وإذا كان فى حاجة إليها فإن الحاجة لا تتفق مع الغنى.

ولذلك فإن هذه العبارة غير مقبولة، وعلاوة على ذلك فليس لأى شخصٍ غنى بالله إلا إذا كانت صفاته أبدية، ومقصده ثابت غير متغير، إذ لا يتفق الغنى مع وجود مقصد، ولا مع الصفات البشرية، إذ أن الصفات الأساسية للبشرية هى الحاجة والعجز .. وأن مَنْ تظل صفاته قائمة ليس بغنى، وأن من تنمحى صفاته غير خليق بأى اسم على الإطلاق.

لهذا فإن الرجل الغنى هو من أغناه الله، لأن كلمة «الغنى بالله» تشير إلى الفاعل، أما عبارة «من أغناه الله» فتشير إلى المفعول.

١- فالأول يغنى نفسه بنفسه. ٢- والثانى يغنى عن طريق من يغنيه.

وعليه فإن السعى من أجل العيش والثراء من صفات الإنسان، أما العيش بالله فيقتضى الغناء عن الصفات البشرية.

وما دام قد ثبت أن الغنى الحقيقى لا يتفق مع بقاء صفة، إذ أن بقاء الصفات محل علة، ومعرضة للزوال .. وكذلك لا يتفق الغنى مع القضاء على الصفة، لأنه لا يمكن تسمية الصفة التى أصبحت غير قائمة، وأن مَنْ قضى على ما له من صفة لا يمكن اعتباره فقيراً أو غنيًا، ولهذا فإن صفة الغنى لا يمكن تحويلها من الله إلى الغير كما لا يمكن تحويل صفة الفقر من الإنسان إلى الله.

إن أكثر أئمة الصوفية يفضلون الفقر على الغنى.. ذلك لأن الكتاب والسنة قد أعلنا هذا بوضوح، وعلى هذا اتفق معظم المسلمين.

وقد نوقش هذا الموضوع مرة بين كل من:

١- الجنيد رضي الله عنه. ٢- وابن عطاء الله رضي الله عنه.

- وكان ابن عطاء يفضل الغنى، ويقول: إن الأغنياء سيحاسبون يوم البعث عن غناهم، وأن مثل هذا الحساب يعنى أنهم سيستمعون إلى الكلمة الإلهية دون وسيط على صورة عتاب، والعتاب هو ما يوجهه الحبيب إلى حبيبه ..

فأجابه الجنيد: «إذا كان سيحاسب الأغنياء فإنه سيعذر الفقراء ..
والإعذار أفضل من الحساب.

وهذه نقطة دقيقة، ذلك أن العذر فى مرتبة الحب الحقيقى، نوع من الغيرية، وأن العتاب يتنافى مع الاتحاد، ويعتبر المحبون كلا الشيئين نقيصة، ذلك لأن المرء يعتذر إذا هو عصى أمر محبوبه، ويعذر لنفس السبب، وكلاهما مستحيل وجوده مع الحب الحقيقى، إذ فيه لا يحتاج المحبوب إلى شرح من حبيبه، ولا يقصر المحب فى تنفيذ إرادة من يحب.

وفى الجملة، فإن الفقراء مطالبون بالصبر، والأغنياء مطالبون بالشكر ..

وفى تحقيق المحبة لا يطلب محب من حبيبه شيئًا ولا يعصى محب أمراً لمحبه ..

إذاً فقد ظلم من سمى أميراً ..

وقد سماه ربه فقيراً ..

فكل من اسمه من قبل الحق فقير، فهو فقير حتى ولو كان أميراً، وقد هلك كل من يظن أنه ليس أسيراً حتى ولو جعل مقامه عرشًا وسريراً ..

ومن هنا فالأغنياء أصحاب صدقة .. والفقراء أصحاب صدق ..

ولا يتساوى الصدق مع الصدقة أبداً ..

وأن ثروة سليمان عليه السلام وفقره متحدان فى أساسهما ..

فقد قال الله لأيوب عليه السلام فى أوج صبره، ولسليمان فى أوج ثروته: ﴿ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ [ص: ٣٠-٤٣].

فعندما يتحقق رضى الله يستوى فقر سليمان وغناه يقول أبو القاسم القشيرى رضي الله عنه:

تحدث الناس كثيراً عن الفقر والغنى .. فضّلوا هذا أو ذاك .. ولكنى أختار لنفسى ما يختار الله لى ويجعلنى فيه، وإذا أرادنى فقيراً، فيجب ألا أكون حريصًا أو متمرداً ..

ولهذا فإن كلا من الفقر والغنى منحة إلهية ..

- وفساد الغنى هو الغفلة.
- وفساد الفقر هو الحرص.
- والغنى والفقر كلاهما خير ..

ولكنهما يختلفان فى التطبيق:

- فالفقر هو انفصال القلب عما سوى الله.

- والغنى هو انشغال القلب بما لا يمكن تحديده أو وصفه ..

وعندما يخلو القلب من كل ما عدا الله .. لا يصبح الفقر خيراً من الغنى ..

ولا الغنى خيراً من الفقير ..

إن الغنى هو وفرة المتاع الدنيوى، بينما الفقر نقص المتاع الدنيوى.

وكل المتاع ملك لله، فعندما يودع السالك متاعه يختفى هذا التناقض وتستوى العبارتان ..

يقول أحد المحدثين من الصوفية:

« ليس الفقير من خلا من الزاد ، إنما الفقير من خلا من المراد ».

مثال ذلك: أنه إذا أعطاه الله مالاً وأراد أن يبقيه فهو غنى .. وإذا أراد أن يتركه فهو لا يقل غنى فكلاهما تصرف فى الملك .. والفقر هو ترك التصرف ..

يقول يحيى بن معاذ الرازى رضي الله عنه:

« علامة الفقر خوف زوال الفقر ».

يعنى أنه من صحة الفقر الحقيقى ألا يخشى الإنسان ذهاب الفقر عنه حتى وهو فى كمال الولاية وقيام المشاهدة، وفناء الصفة .. إذاً: "فكماله ألا يخاف من زواله".

ويقولُ رويم:

مِنْ نَعْت الفقير:

١- حفظ سره. ٢- وصيانة نفسه. ٣- وأداء فرائضه.

يعنى أنه من صفات الفقير:

١- أن يكون سره مصونًا عن الغرض.

٢- ويصون روحه وجسده أيضًا من الآفات.

٣- وأن يقوم بأداء ما فرضه دينه من واجبات.

بمعنى ألا يحول تفكيره دون عمله أو العكس وهذه علامة على أنه ألقى عنه صفاته البشرية، فيصير العبد بأجمعه لله.

يقول بشر الحافى رضي الله عنه:

« أفضل المقامات اعتقاد الصبر على الفقر إلى القبر ».

أى أن خير مقام هو أن تكون لك عقيدة ثابتة فى أن تتحمل الفقر باستمرار ..

والفقر هو محو كل المقامات ..

لذلك فإن التصميم على تحمل الفقر علامة على اعتبارك كافة الأعمال والتصرفات غير كاملة ونزوعك إلى القضاء على كافة الصفات البشرية ويتضح من هذا القول:

أنه يعتبر الفقر أعلى مكانة من الغنى وأنه يصر على عدم التخلى عنه ..

ويقول السلمى فى كتابه طبقات الصوفية:

الفقراء ثلاثة:

١- فقير لا يسأل وأن أعطى لا يأخذ.

فذاك من الروحانية:

أ- إذا سأل الله أعطاه. ب- وإنْ أقسم على الله أبر قسمه.

٢- وفقير لا يسأل وإن أعطى قَبِل:

فذلك من أوسط القوم :

أ- عقده التوكل والسكون إلى الله تعالى.

ب- وهو ممن توضع له الموائد فى حضرة القدس.

٣- وفقير اعتقد الصبر وموافقة الفقر:

فإذا طرقته الحاجة خرج إلى عباد الله بالسؤال فكفارة مسألته صدقة فى سؤاله.

ويقول الشبلى رضي الله عنه :

«الفقير لا يستغى بشىء دون الله».

أى أن الرجل الفقير لا يقنع بشىء خلاف الله إذ ليس له هدف آخر ..

والمعنى الحرفى هو أنك لا تصبح غنيًا إلا بالله، وأنك حين تصل إلى الله تصبح غنياً.

وعليه .. فإن وجودك غير وجود الله ذلك أنك لا يمكن أن تحصل على الغنى بدونه وحينما تجده يصير حجابًا للغنى .. وحينما تحيد عن الطريق لا تجده ..

فمتى تكون غنيًا ؟

هذه الحكمة دقيقة غامضة، ومعناها فى رأى أهل الحقيقة هو:

«الفقير لا يُستغنى عنه».

أى أن الفقير هو الذى لا يستغنى أبداً عن الله وهذا ما عناه الشيخ إسماعيل الأنصارى المهروى حين قال: إن حزننا أبدى:

١- فلا همنًا نرقى إلى تحقيق أهدافنا. ٢- ولا كليتنا نفنى ..

فهو ليس بجنسٍ تغفل الأعراض عن حديثه.

- إذاً تقع العراقيل دومًا.
- والتقدم فى الطريق صعب.
- وليس الدرويش بغافل.
- وهذا الحبيب لمن تبدى ولا طريق له.
- ووصاله ليس فى مقدور الخلق.
- وليس فى الفناء تبدل فى الصورة.
- وليس المتغير خليقًا بالبقاء.
- فلا الفانى بصير باقيًا أبداً حتى يكون ثم وصال.
- ولا يصير الباقى فانيًا حتى يكون ثم قرب.
- فكل شغل أحبائه تنسيق كلام برمته.
- واستحداث المقامات والمنازل فى الطريق راحة للأرواح .. فعباراتهم منهم لهم، ومقاماتهم خليقة بهم ..
- والحق سبحانه وتعالى منزه عن أوصاف الخلق وأحوالهم.

يقول أبو الحسين النورى رضي الله عنه:

«علامة الفقير السكون عند العدم والبذل عند الوجود».

يعنى أنه مَنْ لا يحصل على ما يرغب يكون ساكنًا، وعندما يحصل على شىء يعتبر غيره أكثر استحقاقًا لهذا الشىء منه، ولهذا يتركه، وما يشير إليه هذا القول ذو أهمية بالغة، ويمكن أن نستنتج منه معنيين:

١- أن سكونه حينما لا يحصل على شىء رضى، وبذله حينما يحصل على شىء محبة.. إذ أن كلمة «رضى» معناها قبول الخلعة ، وخلعة التشريف رمز للقلوب، بينما يرفض المحب الخلعة إذا كانت رمزاً للفراق.

٢- سكونه حينما لا يحصل على شىء هو توقع منه أن ينال شيئًا، وعندما يحصل على ذلك الشىء يجد أنه غير الله، وهو لا يقع بشىء غير الله فيرى تركه.

إن هذين المعنيين يظهران فى قول شيخ المشايخ أبى القاسم الجنيد رضي الله عنه:

«الفقر خلو القلب عن الأشكال».

أى عندما يخلو قلب من المظاهر يصبح فقيراً إذ أن وجود المظاهر غير وجود الله، ولذلك كان نبذها هو الطريق الوحيد.

ويقول الشبلى رضي الله عنه:

الفقر بحر البلاء، وبلاؤه كله عز»، والعز جزء من الغير، ومن امتحنهم الله يُغمرون فى بحر المتاعب، ولا يعرفون العز إلا عندما ينسون متاعبهم، وينظرون إلى مسببها، وعندئذ تتحول متاعبهم إلى عـــز وتتحول عزتهم إلى وقت، ويتحول وقتهم إلى محبة، وتتحول محبتهم إلى شهود، وأخيراً يصبح عقل الشاهد مركزاً للرؤية عن طريق خياله:

فيرى بغير عين.... ويسمع بغير أذن.

ومـن ناحيـة أخـرى فإن مـن عظمـة الرجـال أن يتحملـوا الأعبـاء التى يُحملهـا لهم محبوبهم.

- ذلك أن المحبة هى فى الحقيقة عزة.
- والرجاء ذلة.
- والعزة ما يجعل المرء حاضراً مع الله.
- والذلة هى ما يجعل المرء بعيداً عنه.
- ومحنة الفقر دليل على الحضور.
- أما بهجة الغنى فهى علامة على الغيبة.
- فالحاضر فى الحق عزيز.
- والغائب عن الحق ذليل.
- فبلاؤه مشاهدة.
- ودماره أنس.
- فالتعلق بذلك غنيمة.

ويقول الجنيد رضي الله عنه:

«يا معشر الفقراء، إنما تقرنون بالله، وتكرمون بالله، فانظروا كيف تكونون مع الله إذا خلوتم به».

وبمعنى آخر:

إذا لقيكم الناس بالفقراء، واعترفوا بدعواكم فاهتموا بأداء ما يفرضه عليكم طريق الفقر .. وإذا أعطوكم اسمًا آخر، لا يتفق مع ما تعلنون فلا تقبلوه، ولكن قوموا بأداء وظيفتكم فإن أحط الناس من يعتبره الناس مخلصًا لله، وهو ليس كذلك فى حقيقته.

وأنبل الناس من لا يرى الناس فيه إقبالاً أو إخلاصًا لله، وهو فى حقيقته مخلص له تعالى.

١- **فالشخص الأول** يشبه دَعِىَّ الطب الذى شهر نفسه وادعى أنه قادر على علاج الناس، وهو فى الحقيقة يزيد حالتهم سوءًا، وعندما يصاب هو بالمرض يكون فى حاجة إلى طبيب آخر يصف له العلاج.

٢- **والشخص الثانى** لا يعرف عنه أنه طبيب ولا يشغل نفسه بغيره، ولكن يشغل نفسه بالأغذية والأشربة الزلال، والمقرحات المتقنة، وألوان الهواء المعتدل حتى لا يمرض، وقد نفض الخلق كلهم عنه أطرافهم.

ويقول أحد الصوفية المحدثين:

«الفقر عدم بلا وجود».

وليس من الممكن تفسير هذا القول، إذ أن ما لا وجود له لا يمكن وصفه، ويدل ظاهر هذا القول على أن الفقر عدم، ولكن هذا غير صحيح، إذ أن تفسيرات رجال الله وإجماعهم لا تقوم على مبدأ لا وجود له.

وليس المعنى هنا هو فناء الحقيقة، بل فناء كل ما يلوث الحقيقة، وكل الصفات البشرية مصدر لهذا التلوث، وعندما تتخلص من ذلك تكون النتيجة فناء الصفات التى تمنع المرء من وسيلة تحقيق بغيته، ولكن عدم وصوله للحقيقة قد يجعله يظن فى فناء الحقيقة، ويلقى به فى الضلال ..

وقد سخر بعض المتكلمين من هذه الحكمة قائلين إنها محض افتراء وهراء، لأنهم لم يتمكنوا من فهم مضمونها.

وقد حاول بعض مدعى التصوف تفسيرها بصورة خاطئة متظاهرين باقتناعهم بصحتها على الرغم من أنهم لم يُلمُّوا بالأساس الذى تقوم عليه، إن كلا الجانبين خاطئ:

- ذلك أن أحدهما يُنكر الحقيقة عن جهل.
- والآخر يجعل الجهل حالاً.

إن كلمتى «عدم» و«فناء» كما يستخدمها الصوفية تعنيان اختفاء الوسيلة المذمومة والصفة غير الحميدة عند محاولة البحث عن صفة جيدة وهما لا يعنيان البحث عن شئ غير قائم بوسيلة قائمة.

**إن الفقر إلى الله** هو بكل معانيه فقر مجازى وهناك مظهر أساسى بين كافة مظاهره الثانوية ، إن الأسرار الإلهية تأتى وتذهب للفقير بحيث يظهر أنه هو الذى يكسب ويعمل ويفكر، لكن عندما تتحرر شئونه من قيود الكسب تصبح أعماله منقطعة عن نفسه، وعندئذ يصبح هو الطريق للسالك بحيث يصبح الفقير المكان الذى يسير عليه لا سالكًا يتبع إرادته ومشيئته هو، فهو لا يجلب لنفسه شيئًا، ولا يدفع عنها أى شىء.

إن كل ما يؤثر عليه راجع إلى ما هو سواه.

أما بعض مدعى الصوفية من أرباب اللسان الذين دفعهم إدراكهم الخاطئ لهذا الموضوع، فقد أنكروا وجود حقيقة الفقر، وقد وجد أن عدم رغبتهم فى حقيقة الفقر جعلهم ينكرون حقيقته إنهم سموا إخفاقهم فى البحث عن الحق والحقيقة «فقراً» و«صفاءً».

ويبدو أنهم كانوا يؤكدون أوهامهم هذه وينكرون ما سواها .. إن كل واحد منهم كان محجوبًا عن الفقر إلى حد ما، ذلك أن غرور بعض مدعى الصوفية يدفعهم إلى ادعاء كمال الولاية، ويصبح الهدف الأسمى هو أن يصفهم الناس «بالمتصوفين» ظانين أن هذا من كمال الولاية وهذا هو غاية الغايات، وليس على السالك إلا أن يسلك طريق التصوف، وأن يرتقى من مرتبة إلى مرتبة، ويدرك تعبيراتهم الرمزية حتى لا يصبح من العوام بين المختارين، إن عوام الأصول ليست لهم أرض يقفون عليها، وكذلك من يجهلون الأصول ليست لهم أرض يقفون عليها أيضًا، أما من يجهلون الفروع فلهم من الأصول ما يدعم مكانتهم.

## الشريعة والطريقة والحقيقة

الشريعة أن تعبُده، والطريقة أن تقصده، والحقيقة أن تشهده ..

أو نقول: الشريعة لإصلاح الظواهر .. والطريقة لإصلاح الضمائر .. والحقيقة لإصلاح السرائر ..

وإصلاح الجوارح ثلاثة أمور:

بالتوبة، والتقوى، والاستقامة ..

وإصلاح القلوب ثلاثة أمور:

بالإخلاص، والصدق، والطمأنينة ..

وإصلاح السرائر ثلاثة أمور:

بالمراقبة، والمشاهدة، والمعرفة ..

أو نقول: إصلاح الظواهر باجتناب النَّواهى وامتثال الأوامر ..

وإصلاح الضمائر بالتخلية من الرذائل والتحلية بالفضائل ..

وإصلاح السرائر: وهى هُنا الأرواح: ببذلها، وانكسارها حتى تتهذب وترتاض: بالأدب، والتواضع، وحُسن الخُلق .

ولا يصح الانتقال إلى مقام حتى يُحقق ما قبله ..

فمن أشرقت بدايتُهُ: أشرقت نهايتُه ..

فإذا تزكى الظاهرُ وتنور بالشريعة انتقل عن عمل الشريعة الظاهرة إلى عمل الطريقة الباطنة، وهى التصفية من أوصاف البشرية على ما يأتى: فإذا تطهرت من أوصاف البشرية، تحلى بأوصاف الروحانية، وهى الأدب مع الله فى تجلياته التى هى مظاهره، فحينئذ ترتاح الجوارح من التعب، وما بقى إلا حُسْنُ الأدب ..

**قال بعض المحققين:**

«مَنْ بلغ إلى حقيقة الإسلام لم يقدر أن يفتُر عن العمل، ومَنْ بلغ إلى حقيقة الإيمان لم يقدر أن يلتفت إلى العمل بسوى الله، ومَنْ بلغ إلى حقيقة الإحسان لم يقدر أن يلتفت إلى أحد سوى الله ..».

ولا يعتمدُ المريدُ فى سُلُوك هذه المقامات على نفسه، ولا على عمله ولا على حوله وقوته، وإنما يعتمد على فضل ربه وتوفيقه وهدايته وتسديده ..

فالاعتماد على النفوس من علامة الشقاء والبؤس ..

والاعتماد على الأعمال من عدم التحقيق بالزوال ..

والاعتماد على الكرامة والأحوال من عدم صُحبة الرجال ..

والاعتماد على الله من تحقق المعرفة بالله ..

وعلامة الاعتماد على الله أنه لا ينتقص رجاؤه إذا وقع فى العصيان، ولا يزيد رجاؤه إذا صدر منه إحسان ..

ولا بد من شيخ كامل يخرجك من تعب نفسك إلى راحتك بشهود ربك، فالشيخ الكامل هو الذى يريحك من التعب وليس الذى يدلك على التعب.

«فمن دلَّك على العمل فقد أتعبك، ومن دلَّك على الدُّنيا فقد غشك، ومن دلَّك على الله فقد نصحك».

كما قال سيدى عبد السلام بن مشيش رضي الله عنه ..

والدلالة على الله هى الدلالة على نسيان النفس، فإذا نسيت نفسك، ذكرت ربك، يقول تعالى:

﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾[ الكهف : ٢٤ ].

واعلم أنك لا تصل إلى منازل القُربات حتى تقطع ست عقبات:

١- فطم الجوارح عن المخالفات الشرعية.

٢- فطم النفس عن المألوفات العادية.

٣- فطم القلب عن الرُّعونات البشرية

٤- فطم النفس عن الكدورات الطبيعية.

٥- فطم الروح عن البخورات الحسية.

٦- فطم العقل عن التجوزات الوهمية.

وفى مقام التجريد: من جرد ظاهره دون باطنه فهو كذاب، ومن جرد باطنه دون ظاهره فهو حسن.

ومن جمع بين تجريدى الظاهر والباطن فهو الصديق الكامل..

يقول سيدى أبو الحسن الشاذلى رضي الله عنه :

آداب الفقير المتجرد أربعة:

الحرمة للأكابر، والرحمة للأصاغر، والإنصاف من النفس، وعدم الانتصار لها، وآداب الفقير المتسبب أربعة:

موالاة الأبرار، ومجانبة الفجار، وإيقاع الصلاة فى الجماعة، ومواساة الفقراء والمساكين ..

وينبغى له أيضًا أن يتأدب بآداب المتجردين إذ هو كمال فى حقه.

ومن آداب المتسبب: إقامته فيما أقامه الله فيه من فعل الأسباب حتى يكون الحق تعالى هو الذى ينقله منها على لسان شيخه أو بإشارة واضحة .. والذى يقتضيه الحق منك أن تمكث حيث أقامك حتى يكون الحق تعالى هو الذى يتولى إخراجك كما تولى إدخالك، وليس الشأن أن تترك السبب، بل الشأن أن يتركك السبب ..

ومعرفة المتجرد أفضل، وفكرته أنصع، لأن الصفا من الصفاء والكدر من الكدر، صفاء الباطن من صفاء الظاهر، وكدر الباطن من كدر الظاهر، وكلما زاد فى الحسن نقص فى المعنى ..

هذا الكلام كله مع السائرين ..

وأما الواصلون المتمكنون فلا كلام عليهم، إذ هم - رضى الله عنهم - مأخوذون عن أنفسهم، يقبضون من الله، ويدفعون بالله، قد تولى الحق تعالى أمورهم، وحفظ أسرارهم، وحرس قلوبهم بجنود الأنوار، فلا تؤثر فيهم ظلم الأغيار، وعليه يحمل حال الصحابة فى الأسباب رضى الله عنهم ..

واعلم أن المتسبب والمتجرد عاملان لله، إذ كل واحد منهما حصل له صدق التوجه إلى الله تعالى ..

ولما كانت همة الفقير المتجرد لا تخطئ فى الغالب لقوله ﷺ: «**إن لله رجالا لو أقسموا على الله لأبرهم فى قسمهم**».

وقال أيضًا: «**اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله**».

وقد قيل لبعضهم: بماذا عرفت ربك؟ قال: بنقض العزائم ..

وقال سيدى أبو الحسن الشاذلى رضي الله عنه :

«أرِحْ نفسك من التدبير، فما قام به غيرك عنك، لا تقم به أنت لنفسك» .

وقال أيضًا: «لا تختر من أمرك شيئًا واختر ألا تختار وفر من ذلك المختار».

وقال أيضًا: «إن كان لا بد من التدبير، فدبر ألا تدبر».

واعلم أن العقل والنفس والروح والسر شيء واحد، فما كان من مدارك الشهوات فمدركه النفس ..

وما كان من مدارك الأحكام الشرعية فمدركه العقل ..

وما كان من مدارك التجليات والواردات فمدركه الروح ..

وما كان من مدارك التحقيقات والممكنات فمدركه السر ..

والمحل واحد، وإخماد الشيء خفاؤه بعد ظهوره ..

فإذا وعدك الحق تعالى بشيء على لسان الوحي أو الإلهام من نبي أو ولي أو تجل قوى فلا تشك أيها المريدُ في ذلك الوعد إن كنت صدِّيقًا، فإن لم يتعين زمنه فالأمر واسع، وقد يطول الزمان وقد يقصر فلا تشك في وقوعه وإن طال زمنه ..

فشد يدك يا أخي على تصديق ما وعدك الله به وحسن ظنك به وبأوليائه ولاسيما شيخك، فإياك أن تضمر التكذيب أو الشك فيكون ذلك قدحًا في بصيرتك وقد يكون سببًا في طمسها فترجع من حيث جئت وتهدم كل ما بنيت.

واعلم بأن أعمال الجوارح تابعة لأحوال القلوب، فإن ورد على القلب قبض ظهر على الجوارح أثره من السكون وإن ورد عليه بَسْطٌ ظهر على الجوارح أثره من الخفة والحركة، وإن ورد عليه زهد وورع ظهر على الجوارح أثره وهو ترك أي تأخر، وإن ورد عليه رغبة وحرص ظهر على الجوارح أثره وهو كد وتعب، وإن ورد عليه محبة وشوق ظهر على الجوارح أثره وهو شطح ورقص، وإن ورد عليه معرفة وشهود ظهر على الجوارح أثره وهو راحة وركود .. إلى غير ذلك من الأحوال وما ينشأ من الأعمال.

وقد تختلف هذه الأحوال على قلب واحد، فيتلون الظاهر في أعماله، وقد يغلب على قلب واحد حال واحد فيظهر عليه أثر واحد ..

ولأجل ذلك المعنى اختلفت أحوال الصوفية:

فمنهم عُبَّاد، ومنهم زُهاد، ومنهم الورعون، والمريدون، والعارفون.

فالأعمال كلها أشباح وأجساد، وأرواحها وجود الإخلاص فيها .. وقد سُئل المصطفى ﷺ عن الإخلاص فقال: «حتى اسأل جبريل»، فلما سأله قال: حتى أسأل رب العزة .. فلما سأله قال له:

**« هو سر من أسرارى أودعه قلب من أحببت من عبادى لا يطلع عليه ملك فيكتبه، ولا شيطان فيفسده».**

وقال بعضهم: هو مقام الإحسان .. «أن تعبد الله كأنك تراه». والإخلاص على ثلاث درجات:

إخلاص العوام وهو إخراج الخلق من معاملة الحق مع طلب الحظوظ الدنيوية والأخروية كحفظ البدن والمال وسعة الرزق.

إخلاص الخواص وهو طلب الحظوظ الأخروية دون الدنيوية.

إخلاص الخواص وهو إفراخ الحظوظ بالكلية، فعبادتهم تحقيق العبودية والقيام بوظائف الربوبية، أو محبة وشوقًا إلى رؤيته ..

كما قال ابن الفارض:

**ليس سُؤلى من الجنَانِ نعيمًا غيــر انــى أُحبهــا لأراكــا**

والإخلاص عند المحبين: ألا يعملوا عملا لأجل النفس وإلا دخل عليها مطالعة العوض أو الميل إلى حظ النفس.

**والإخلاص عند الموحدين:** خروج الخلق من النظر اليهم فى الأفعال، وعدم السكون والاستراحة إليهم فى الأحوال.

ولا يمكن الخروج من النفس والتخلص من دقائق الريا ء من غير شيخ أبداً . .

وكان المصطفى ﷺ جالسًا ومعه الأقرع بن حابس كبير بنى تميم فمر عليه رجل من فقراء المسلمين، فقال ﷺ للأقرع: **«ما تقول فى هذا؟»** فقال: هذا يا رسول الله من فقراء المسلمين، حقيق إن خطب فلا يزوج، وإن استأذن ألا يؤذن له، وإن قال لا يسمع له، ثم مر بهما رجل من المترفين فقال له عليه الصلاة والسلام: **«وما تقول فى هذا؟»**

قال: هذا حقيق إن خطب أن يزوج، وإن استأذن أن يؤذن له، وإن قال أن يسمع له.

فقال ﷺ: **«هذا - يعنى الفقير - خير من ملء الأرض من هذا ..»**.

وقد قال بعضهم:

«الخمول نعمة والنفس تأباه، والظهور نقمة والنفس تهواه»، وقال آخر: «طريقتنا هذه لا تصلح إلا بقوم كنست بأرواحهم المزابل».

والخمول هو إسقاط المنزلة عند الناس وكتمان سر الولاية .. وكل ما يُسقط المنزلة عندهم وينفى تهمة الولاية فهو خمول، وإن كان فى الحس ظهوراً، قال بعض السادة: «طريقتنا منها الخمول فى الظهور، والظهور فى الخمول» ..

والمريد السالك إذا اعتزل عن الناس واستعمل الفكرة نجح دواؤه، واستقام قلبه، وإلا بقى سقيمًا حتى يلقى الله بقلب سقيم بالشك والخواطر الرديئة ..

يقول سيدى أبو الحسن الشاذلى رضي الله عنه:

«ثمار العزلة الظفر بمواهب المنة، وهى أربعة:

كشف الغطاء، ونزول الرحمة، وتحقق المحبة، ولسان الصدق».

**والخلوة فيها عشر فوائد:**

١- السلامة من آفات اللسان.

٢- حفظ البصر والسلامة من آفات النظر.

٣- حفظ القلب وصونه من الرياء والمداهنة وغيرهما من الأمراض.

٤- حصول الزهد فى الدنيا والقناعة منها.

٥- السلامة من صحبة الأشرار ومخالطة الأرذال.

٦- التفرغ للعبادة والذكر والعزم على التقوى والبر.

٧- وجدان حلاوة الطاعات وتمكن لذيذ المناجاة.

٨- راحة القلب والبدن.

٩- صيانة النفس والدين من التعرض للشرور والخصومات التى توجبها الخلطة.

١٠- التمكن من عبادة التفكر والاعتبار.

فإن أضاف المريد إلى العزلة، الصمت والجوع والسهر، كملت ولايته، وظهرت عنايته، وأشرقت عليه الأنوار، وانمحت من مرآة قلبه صور الأغيار.

فكيف يشرق قلب صور الأكوان منطبعة فى مرآته؟

فقد جعل الله قلب الإنسان كالمرآة الصقيلة ينطبع فيها كل ما يقابلها وليس لها إلا وجهة واحدة، فإذا أراد الله عناية عبد شغل فكرته بأنوار ملكوته وأسرار جبروته، ولم يعلق قلبه بمحبة شىء من الأكوان الظُلمانية، والخيالات الوهمية، فانطبعت فى مرآة قلبه أنوار الإيمان والإحسان، وأشرقت فيها أقمار التوحيد وشموس العرفان ..

فما لك أيها الفقير إلا قلب واحد، إذا أقبلت على الخلق أدبرت عن الحق، وإذا أقبلت على الحق أدبرت عن الخلق، فترحل من عالم الملك إلى عالم الملكوت، ومن الملكوت إلى الجبروت، وما دُمت مقيداً فى هذا العالم بشهواتك وعوائدك فلا يمكنك الرحيل إلى ربك.

والرحيل مع التكبيل لا يجتمعان، فما دام القلب محبوسًا بالميل إلى شىء من هذا العرض الفانى ولو كان مباحًا فى الشرع فهو مقيد به ومكبل فى وطنه فلا يرحل إلى الملكوت، ولا تشرق عليه أنوار الجبروت، فتعلق القلب بالشهوات مانع من النهوض إلى الله لاشتغاله بالالتفات إليها، ولذلك ترك الأكابر لذتها، حتى قال بعضهم:

«لدغ الزنانير على الأجسام المقرحة أيسر من لدغ الشهوات على القلوب المتوجهة».

وكيف يطمع المريد أن يدخل حضرة الله وهو لم يتطهر من جنابة غفلاته؟ ..

فالحضرة مقدسة منزهة مرفعة لا يدخلها إلا المطهرون، فحرام على القلب الجنب أن يدخل مسجد الحضرة، وجنابة القلب غفلته عن ربه.

توضأ بماء الغيب إن كنت ذا بر ... وإلا تيمم بالصعيد أو الصخر

وقدِّم إمامًا كنت أنت إمامه ... وصلِّ صلاة الظهر فى أول العصر

فهذى صلاة العارفين بربهم ... فإن كنت منهم فانضح البَّر بالبحرِ

فطهارة أهل المحبة الفكرة والنظرة، وطهارة أهل الخدمة المجاهدة والمكابدة بين عبادة ظاهرة كصلاة وصيام وذكر وتلاوة وتعليم وغير ذلك وبين عبادة خفية كخوف ورجاءٍ وزهدٍ وصبر وورعٍ ورضى وتسليم ورحمة وشفقة وغير ذلك مما لا يظهر للعيان، وهذا هو تصوف أهل الظاهر، وأما تصوف أهل الباطن فهو الغيبة عن الأكوان بشهود المكوِّن، أو الغيبة عن الخلق بشهود الملك الحق.

ولا بد أن تقتدى بإمام كامل سلك الطريقة على يد شيخ كامل يعلمك كيفية العلم بالشريعة، ويدلك على الحقيقة ..

فالعوام حد صلاتهم أوقاتهم، والعارفون فى الصلاة على الدوام، وإذا دخل القلب مضرة القدس، ومحل الأنس، فهم دقائق الأسرار، ومليء بالمواهب والأنوار، وذلك قولهم:

«أم كيف يرجو أن يفهم دقائق الأسرار مَنْ لم يتُب عن هفواته».

قيل للجُنيد رضي الله عنه: كيف الطريق إلى التحقيق؟

قال: «بتوبة تزيل الإصرار، وخوفٍ يقطع التسويف، ورجاءٍ يبعث على مسالك العمل، وإهانة النفس بقربها من الأجل وبعدها عن الأمل».

فإذا انفرد القلب بالله وتخلص مما سواه فهم دقائق التوحيد وغوامضه التى لا يمكن التعبير عنها، وإنما هى رموز وإشارات لا يفهمها إلا أهلها ولا تُفشى إلا لهم، وقليل ما هم، ومَنْ أفشى شيئًا من أسرارها مع غير أهلها فقد أباح دمه وتعرض لقتل نفسه، كما قال أبو مدين رضي الله عنه:

**وفى السر أسرار دقاق لطيفةٌ**

**تُراق دمانا جهرةً لو بها بُحْنا**

وقال أحدهم:

**ولى حبيبٌ عزيزٌ لا أبوحُ به   أخشى فضيحةَ وجهى يوم ألقاهُ**

وهذه الأسرار هى أسرار الذات وأنوار الصفات التى تجلى الحق بها فى مظهر الأكوان.. وقد قالوا فى ذلك:

«الكون كله ظلمة، وإنما أناره ظهور الحق فيه».

فالكون ما كونته القدرة وأظهرته للعيان، والظلمة ضد النور وهى عدمية، والنور وجودى وصيَّره نوراً، وظهور الحق تجليه ..

ويقسم الناس فى شهود الحق على ثلاثة أقسام:

عمومٌ، وخصوصٌ، وخصوصُ الخصوص ..

فأهلُ مقام البقاء يشهدون الحق بمجرد وقوع بصرهم على الكون فهم يثبتون الأثر بالله ولا يشهدون بسواه، إلا أنهم لكمالهم يثبتون الواسطة والموسوطة فهم يشهدون الحق بمجرد شهود الواسطة أو عندها بلا تقديم أو تأخير ولا ظرفية ولا مظروف:

**مذ عرفت الإله لم أر غيرا   وكذا الغير عندنا ممنوع**

قال الشيخ عبد السلام بن مشيش لتلميذه أبى الحسن:

يا أبا الحسن: حدد بصر الإيمان تجد الله:

فى كل شىء، وعند كل شىء، ومع كل شىء، وقبل كل شىء، وبعد كل شىء، وفوق كل شىء، وتحت كل شىء، وقريبًا من كل شىء، ومحيطًا بكل شىء ..

بقربٍ هو وصفه، وبحيطةٍ هى نعته، وبعدٍ عن الظرفية والحدود وعن الأماكن والجهات، وعن الصحبة والقرب بالمسافات وعن الذود بالمخلوقات، وامحق الكل بوصفه الأول والآخر والظاهر والباطن، وهو هو هو: «كان الله ولا شىء معه، وهو الآن على ما عليه كان».

وقد استدل بعضهم على بطلان وجود الحجاب فى حقه تعالى بعشرة أمور:

١- كيف يتصور أن يحجبه شىء وهو الذى أظهر كل شىء؟

٢- كيف يتصور أن يحجبه شىء وهو الذى ظهر بكل شىء؟

٣- كيف يتصور أن يحجبه شىء وهو الذى ظهر فى كل شىء؟

٤- كيف يتصور أن يحجبه شىء وهو الظاهو لكل شىء؟

٥- كيف يتصور أن يحجبه شىء وهو الظاهر قبل وجود كل شىء؟

٦- كيف يتصور أن يحجبه شىء وهو أظهر من كل شىء؟

٧- كيف يتصور أن يحجبه شىء وهو الواحد الذى ليس معه شىء؟

٨- كيف يتصور أن يحجبه شىء وهو أقرب إليك من كل شىء؟

يقول سيدى أبو الحسن الشاذلى رضي الله عنه:

«قيل يا على بى قُلْ، وعلى دُلْ، وأنا الكُلْ».

٩- كيف يتصور أن يحجبه شىء ولولاه لما ظهر وجود كل شىء؟.

١٠- كيف يُتصور أن يحجبه شىء ولا وجود للأشياء مع وجوده؟

ومما ينسب لسيدنا على بن أبى طالب رضي الله عنه قوله:

| | |
|---|---|
| رأيت ربى بعين قلبى | فقلت لا شك أنْتَ أنْتَ |
| أنت الذى حُزت كل أين | بحيث لا أين ثم أنْتَ |
| فليس للأيْن منك أين | فيعلمُ الأيـن أين أنْتَ |
| وليس للوهم فيك وهمٌ | فيعلم الوهم كيف أنْتَ |
| أحطت علمًا بكل شىء | فكل شىء أراه أنْتَ |
| وفى فَنَائى فَنَا فنائى | وفى فَنَائى وُجِدْتَ أنْتَ |

سُئل أحدهُم: أينَ الله من مخلوقاته؟

قال: كان الله ولا أيْنٌ . . والمخلوقات فى عدم . .

فكان حيث هو . . وهو الآن حيث كان . . إذ لا أين ولا مكان . .

فقال السائل: فما هذه الأماكن والمخلوقات الظاهرة؟

فقال: عز ظاهر .. وملك قاهر .. ومخلوقات ظاهرة به وصادرة عنه لا هى متصلة به ولا منفصلة عنه، فرغ من الأشياء ولم تفرغ منه لأنها تحتاج إليه ولا يحتاج إليها ..

قال له : صدقت .. فأخبرنى ماذا أراد الله بخلقها ؟

قال: ظهور عزته وملكه وسلطانه.

قال: صدقت .. فأخبرنى ما مراده من خلقه؟

قال: ما هم عليه ..

قال: أوَ يَريد من الكفرة الكفر ؟

قال: أفيُكرهون به وهو كاره ؟

ثم قال: أخبرنى ماذا أراد الله باختلاف الشيع وتفريق الملل ؟

قال: أراد إبلاغ قدرته وبيان حكمته وإيجاب لطفه وظهور عدله وإحسانه.

وفى ذلك إشارة إلى أن تجليات الحق على ثلاثة أقسام:

١ - قسم أظهرهم ليظهر فيهم كرمه وإحسانه:

وهم أهل الطاعة والإحسان.

٢ - وقسم أظهرهم ليظهر فيهم عفوه وحلمه:

وهم أهل العصيان من أهل الإيمان.

٣ - وقسم أظهرهم ليظهر فيهم نقمته وغضبه:

وهم أهل الكفر والطغيان.

وهذا سر تجليه فى الجملة ..

إذا حَيِىَ القلبُ بمعرفة الله كان محلا لتجلى الواردات الإلهية، وقد قالوا: «إنما أورد عليك الوارد لتكون به عليه وارداً».

فالوارد نور إلهى يقذفه الله فى قلب مَنْ أحب من عباده وهو على ثلاثة أقسام على حسب البداية والوسط والنهاية أو يُقالُ: على حسب الطالبين والسائرين والواصلين ..

١- **واردُ الانتباه**: وهو نور يخرجك من ظلمة الغفلة إلى نور اليقظة، وهو لأهل البداية من الطالبين .. فإذا تيقظ من نومه، وانتبه من غفلته استوى على قدمين طالبًا لربه فيُقبل عليه بقلبه وقالبه، ويتجمع عليه بكلِّيته ..

٢- **وارد الإقبال**: وهو نور يقذفه الله فى قلب عبدٍ فيحركه لذكر مولاه ويغيِّبُهُ عما سواه، فلا يزالُ مشتغلاً بذكره غائبًا عن غيره، حتى يمتلئ القلبُ بالنور ويغيب عما سوى الذكور، فلا يرى إلا النور فيخرج من سجن الأغيار ويتحرر من رق الآثار ..

٣- **وارد الوصال**: وهو نور يستولى على قلب العبد ثم يستولى على ظاهره وباطنه فيخرجه من سجن نفسه ويغيِّبُهُ عن شهود حسه، فالفناء عن النفس وزوالها أصعب من الفناء عن الكون وعدمه، فمهما زالت النفس وهُدمت، انهدم الكونُ ولم يبق له أثر وقد يُهدم الكون وتبقى فى النفس بقية.

والأنوارُ التى هى الواردات مطايا القُلُوب تحملُها إلى حضرة علام الغيوب وهى أيْضًا مطايا الأسرار تحملُها إلى جبروت العزيز الجبار ..

فالسلوك هداية، والجذب عناية ..

فواردُ الانتباه والإقبال حمله سُلوك ..

ووارد الوصال حمله جذب ..

فالأنوار هى مطايا القلوب تحملها إلى جهة السُلُوك ..

إلا أنهم محمولون فيه بحلاوة نور الانتباه والإقبال، فصار سلوكهم كأنه جذب ..

وأما الأنوار التى تحملهم على مطايا الأسرار فإنها تحملهم على جهة الجذب، ممزوجًا بسلوك، فيكونون بين جذب وسلوك، وهذا الحمل أعظم ..

قال سيدى أبو الحسن الشاذلى رضي الله عنه:

«أيست من نفع نفسى لنفسى، فكيف لا أيأس من نفع غيرى لها، ورجوت الله لغيرى، فكيف لا أرجوه لنفسى، وهذا هو الكيمياء الإكسير الذى مَنْ حصل عليه، حصل له غنى لا فاقة فيه وعزاً لا ذل معه، وإنفاقًا لا نفادَ له، وهو كيمياء أهل الفهم عن الله تعالى».

قال أبو العباس المرسى رضي الله عنه:

«كُنتُ فى ابتداءِ أمرى بالإسكندرية فجئت إلى بعض مَنْ يعرفنى فاشتريت منه حاجة بنصف درهم، فقلتُ فى نفسى: لعله لا يأخذه منى فهتف بى هاتف: السلامة فى الدين بترك الطمع فى المخلوقين».

ما أقبح الإنسان الذى يريد سيده منه أن يكون ملكًا وهو يريد أن يكون مملوكًا ، يريد سيده أن يجعله حراً .

«إنا أجللنا قدرك أيها العبد أن نُشغلك بأمر نفسك، فلا تضعن قدرك يا من رفعناه، ويحك أنت أجل عندنا من أن تشتغل بغيرنا ، لحضرتى خلقتك، وإليها طلبتك، وبجواذب عنايتى لها جذبتك، فإن اشتغلت بنفسك حجبتك، فإن اتبعت هواها طردتك، وإن أخرجت عنها قرَّبتك، وإن توددت لى بإعراضك عما سواى أحببتك».

وإذا أراد الله تعالى أن يُعز عبده ويرفعه إلى المقام العلى قطع عنه زمام الوهم والجزع، وحرره من رق الطمع، فقاده إليه بملاطفة الإحسان أو بسلاسل الامتحان..

لقد قسم الله تعالى عباده ثلاثة أقسام:

أهلُ الشمال، وأهل اليمين، والسابقون .

أما أهل الشمال فلا كلام عليهم، إذ لا إقبال لهم على الله أصلاً .

وأما أهل اليمين، فلهم إقبال بوجه ما ، لكن خصوصية لهم، لأنهم قنعوا بظاهر الشريعة، ولم يلتفتوا إلى سلوك طريقة ولا حقيقة، وقفوا مع الدليل والبرهان، ولم ينهضوا إلى مقام الشهود والعيان، ولا كلام معهم أيضًا .

وأما السابقون، فقد أقبلوا على الله، متوجهين إليه، طالبين الوصول إلى معرفته، وهم فى ذلك على قسمين:

١- قسم أقبل على الله بملاطفة إحسانه وقيامًا بشكر إنعامه وامتنانه وهم أهل مقام الشكر.

٢- وقسم أقبل على الله بسلاسل الامتحان وضروب البلايا والمحن وهم أهل مقام الصبر.

فأهلُ المقام الأول أقبلُوا على الله طوعًا .

وأهلُ المقام الثانى أقبلُوا على الله كرهًا .

قال أبو مدين رضي الله عنه :

«سنةُ الله استدعاء العباد لطاعته بسعة الأرزاق ودوام المعافاة، ليرجعوا إليه بنعمته، فإن لم يفعلوا بلاهم بالسراء والضراء لعلهم يرجعون، لأن مراده عز وجل رجوع العباد إليه طوعًا وكرهًا ، فقوم بسط عليهم الله النعم، وصرف عنهم البلايا والنقم، ورزقهم الصحة وأمدهم بالأموال والعافية فأدوا حقها وقاموا بشكرها ، وتشرفوا إلى معرفة المنعم

بها، فكانت مطية لهم على السير إليه ومعونة لهم على القدوم عليه، أخرجوها من قلوبهم وجعلوها فى أيديهم».

وأحوال الأولياء لا تنضبط بفقر أو غنى، لأن الولاية أمر قلبى لا يعلمه إلا من خصهم بها..

وإن الله تعالى لا يغير ما بقوم من النعم حتى يغيروا ما بأنفسهم من الشكر، وتغييرهم الشكر هو اشتغالهم بالمعاصى والكفر، وقيل: الشكر فرحُ القلب بالمُنعم لأجل نعمته حتى يتعدى ذلك إلى الجوارح، فتنبسط بالأوامر، وتنقبض بالزواجر.

**والشكر على ثلاثة أقسام:**

١- شكر اللسان وهو التحدث بنعم الله .. قال تعالى:

﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾[الضحى:١١].

٢- شكر الأركان وهو العمل بطاعة الله تعالى.. قال جل شأنه:

﴿ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا ﴾[سبأ:١٣].

٣- شكر الجنان، وهو الاعتراف بأن كل نعمة من الله تعالى، قال تعالى:

﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾[النحل: ٥٣].

وسُئل أبو حازم رضي الله عنه: ما شكر العينين؟

قال: إذا رأيت بهما خيراً أعلنته، وإذا رأيت بهما شراً سترته.

قيل له: وما شكر الأذنين؟

قال: إذا سمعت بهما خيراً وعيته، وإذا سمعت بهما شراً دفنته».

قيل: وما شكر اليدين؟

قال: لا تأخذ بهما ما ليس لك. ولا تمنع حقًا هو لله فيهما.

قيل: وما شكر البطن؟

قال: أن يكون أسفله صبراً، وأعلاه علمًا.

قيل: وما شكر الفرج؟

قال: كما قال تعالى:﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ ﴾[المؤمنون: ٥-٦].

قيل: وما شكر الرجلين؟

قال: إن رأيت شيئًا غبطته استعملتهما، وإن رأيت شيئًا مقتّه كففتهما».

والنعم التى يقع الشكر عليها ثلاثة أقسام:

١- دنيوية، كالصحة والعافية والمال الحلال.

٢- دينية ، كالعلم والعمل والتقوى والمعرفة.

٣- أخروية، كالثواب على العمل القليل بالعطاء الجزيل.

وأجل النعم الدينية التى يتأكد الشكر عليها نعمة الإسلام والإيمان والمعرفة، وشكرها هو اعتقاد أنها منة من الله تعالى بلا واسطة، ولا حول ولا قوة .. قال تعالى:

﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴾[الحجرات :٧] ثم قال: ﴿ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[الحجرات :٨].

وإن غفل العبدُ عن شكر النعم، ثم دامت صورتها عنده فلا يغتر، فقد يكون ذلك استدراجًا، والاستدراج هو كون المحنة فى عين المنة.

فالواجب على الإنسان إذا أحس بنعمة ظاهرة أو باطنة، حسية أو معنوية، أن يعرف حقها ويبادر إلى شكرها نُطقًا واعتقاداً وعملاً.

فالشكر هو الأدب مع المُنعم، ومن الأمور المؤكدة على المريد الصادق أن يراعى الأدب مع الله فى كل شيء، ويلتزم التعظيم لكل شيء، ويحفظ الحرمة فى كل شيء، فإن أخل بشيء من هذه الأمور وأساء الأدب مع ربه، فليبادر بالتوبة والاعتذار مع الذلة والانكسار، فإن أخَّر التوبة إلى وقت آخر انقطعت عنه الأمداد واستوجب الطرد والبعاد، وقد لا يشعر بذلك فى الحين، ويحتج لنفسه ويقول: لو كان هذا سوء أدب لانقطع عنى المدد، وهذا منه جهل قبيح يُفضى إلى العطب إن لم تدركه العناية من رب الأرباب، وإنما كان هذا جهلاً من المريد لانتصاره لنفسه وقت سوء أدبه، وعدم شعوره بنقصان قلبه، إذ لو كان عالمًا بمخادع النفس لاتهمها، وما انتصر لها، ولو كان عارفًا بربه لشعر بنُقصان قلبه، فقد جمع بين جهالة وجهل، فالجهالة هى سوء الأدب الذى صدر منه، والجهل هو مخاصمته عن نفسه، وإنكاره أن يكون ما صدر منه سوء أدب، وما احتج به من كونه لم يحس بالعقوبة، ولو كان ذلك سوء أدب لأحس بقطع الأمداد ولأوجب الطرد والبعاد، لا ينهض، فقد يقطع منه المدد وهو لا يشعر، ومثال ذلك: الأشجار التى على الماء، فإذا انقطع عنها الماء لا يظهر أثر العطش عليها إلا بعد حين فإذا طال الأمر يبست شيئًا فشيئًا، كذلك قلب

المريد، قد لا يحس بقطع المدد فى القرب حتى يغرق فى الوهم ويحترق بالحس، فإن كانت له سابقة خير ثاب وأصلح ما أفسد، فيرجع إليه المدد، وإن لم تكن له سابقة رجع إلى وطنه وأقام فى بُعده .. نسأل الله السلامة من سلب نعمته بعد عطائه .. ولو لم يكن من العقوبة إلا منع المريد من السير أو الترقى لكان كافيًا، لأن من لم يكن فى زيادة فهو فى نقصان، ومن كان يومه شراً من أمسه فهو فى خسران، فقد يُقام مقام البعد وهو يظن أنه فى محل القرب، لأن مراتب القرب والبعد لا نهاية لها، وما من مقام فى القرب إلا وما بعده أعظم منه، حتى يكون ذلك القرب بالنسبة إلى ما بعده بعداً، ولو لم يكن ذلك البعد إلا أن يتركك مع ما تريد، لكان كافيًا للطرد والبعد مع هواه وشهواته من علامة الإهمال، وإخراج العبد من هواه، وما تركن إليه نفسه من علامة الاعتناء والإقبال، فإذا اعتنى الله تعالى بعبد وأراد أن يوصله إلى حضرته شوش عليه كل ما تركن إليه نفسه، وأزعجه طوعًا أو كرهًا حتى يؤيسه من هذا العالم ولم يبقَ له ركون إلى شىء منه، فحينئذ يصطفيه لحضرته ويجتبيه لمحبته، فليس له حينئذٍ عن نفسه أخبار، ولا مع غير الله قرار ..

وأصلُ ذلك قضية سيدنا موسى عليه السلام، لما علم الله تعالى محبته لعصاه وركونه إليها، قال له تعالى:

﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ ﴾[طه: ١٧-١٨] أى حوائج أخر. (قال) له:

﴿ قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ ﴾[طه: ١٩-٢٠] فلما فر عنها وقطع بأسه منها، (قال) له: ﴿ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ﴾[طه: ٢١] لأنها لا تضرك حيث رجعت إليها بالله ..

ويقال للفقير: وما تلك بيمينك أيها الفقير؟ فيقول: هى دُنياى أعتمد عليها، وأقضى بها مآربى، فيقال له: ألقها من يدك، فإذا هى حية تسعى، كانت تلدغه ولا يشعر، فإذا آيس منها واستأنس بالله واطمأن به قيل له: خذها ولا تخف لأنك تأخذها بالله لا بنفسك..

**ومواطن الآداب التى يُخل بها المريد فيعاقب عليها، ثلاثة:**

١- **آداب مع الله** .. باعتبار **العوام**، فبامتثال أمره واجتناب نهيه، ومع **رسوله**.. باتباع السنة ومجانبة أهل البدعة ..

فإذا قصروا فى الأمر وخالفوا فى النهى عوقبوا عاجلاً فى الحس أو آجلاً فى المعنى والحس ..

وباعتبار الخواص مع الله، بالإكثار من ذكره ومراقبة حضوره وإيثار محبته .. مع رسوله ﷺ، بإيثار محبته والاهتداء بهديه والتخلق بأخلاقه، فإذا قصروا فى ذكره أو حالت قلوبهم فى غير حضرته، أو مالت محبتهم إلى شىء سواه، أو حلوا عقدة عقدوها مع الله عوقبوا فى الحس بالضرب أو السجن أو الإذابة باللسان، أو فى المعنى وهو أشد، كقطع المدد وإيجاب الطرد والإقامة مقام البعد.

وباعتبار خواص الخواص وهم الواصلون، يكون مع **الله** بالتواضع معه فى كل شىء، والتعظيم لكل شىء، ودوام معرفته فى تجليات الجلال والجمال، أو مع اختلاف الآثار وتنقلات الأطوار.

ومع **رسوله** ﷺ بالتحقق بحسبه، وتعظيم أمته، وشهود نوره، كقول أبى العباس المرسى رضي الله عنه لى ثلاثون عامًا ما غاب عنى رسول الله ﷺ طرفة عين، ولو غاب عنى ما عددت نفسى من المسلمين».

**٢- آداب مع الشيخ: ومرجعها إلى ثمانية أمور:**

**أربعة ظاهرة:** - امتثال أمره وإن ظهر له خلافه، واجتناب نهيه وإن كان فيه حتفه، فخطأ الشيخ أحسن من صواب المريد.

- السكينة والوقار فى الجلوس بين يديه فلا يضحك بين يديه ولا يرفع صوته عليه، ولا يتكلم حتى يستدعيه للكلام، أو يفهم عنه بقرائن الأحوال.
- المبادرة إلى خدمته بقدر الإمكان بنفسه أو بماله أو بقوله، فخدمة الرجال سببُ الوصال، لمولى الموالى.
- دوام حضور مجلسه.

**وأما الأربعة الباطنية:**

- اعتقاد كماله وأنه على قدم المصطفى ﷺ.
- تعظيمه وحفظ حرمته غائبًا وحاضراً، وتربية محبته فى قلبه، وهو دليل صدقه، وبقدر التصديق يكون التحقيق.
- الاغتسال من العلم والعمل والانعزال عن العقل والرياسة والعمل.

- عدم الانتقال عنه إلى غيره إذا كان من شيوخ التربية، أما شيوخ أهل الظاهر فلا بأس أن ينتقل عنهم إلى أهل الباطن.

**٣- آداب مع الاخوان:** وهى أربعة:

- حفظ حرمتهم غائبين أو حاضرين.
- نصيحتهم، بتعليم جاهلهم وإرشاد ضالهم، وتقوية ضعيفهم.
- التواضع لهم والاستنصاف من نفسك معهم، وخدمتهم بقدر الإمكان.
- شهود الصفا فيهم واعتقاد كمالهم.

قال أبو حفص رضي الله عنه:

«التصوف كله آداب، لكل وقت آداب، ولكل حالٍ آداب، ولكل مقام آداب، فمن لزم الأدب بلغ مبلغ الرجال، ومن حرم الأدب فهو بعيد من حيث يظن القرب، مردود من حيث يظن القبول».

والناس فى الآداب على ثلاث طبقات: أهل الدنيا، وأهل الدين، وأهل الخصوصية.

١- فأما أهل الدنيا، فأكثر آدابهم فى البلاغة وأخبار الملوك وشعراء العرب.

٢- وأما أهل الدين، فأكثر آدابهم حفظ العلوم ورياضة النفوس وتأديب الجوارح وتهذيب الطباع وحفظ الحدود، وترك الشهوات، واجتناب الشبهات والمسارعة الى الخيرات.

٣- وأما أهل الخصوصية، من أهل الدين، فآدابهم:

حفظ القلوب، ومراعاة الأسرار، واستواء السر والعلانية ..

فالمريدون يتفاضلون بالعلم، والمتوسطون بالآداب، والعارفون بالهمم.

وقال أبو يزيد رضي الله عنه:

«اطلع الله على قلوب أوليائه، فمنهم من لم يصلح لحمل المعرفة فشغلهم بالعبادة».

وقال أبو العباس الديتورى رضي الله عنه:

«إن لله عباداً لم يستصلحهم لمعرفته فشغلهم بخدمته، وله عباد لم يستصلحهم لخدمته فأهلهم لمحبته».

وقال يحيى بن معاذ رضي الله عنه:

«الزاهد صيد الحق فى الدنيا، والعارف صيد الحق من الجنة».

- فأهل الخدمة تجلّى لهم الحق بصفة الجلال والهيبة، فصاروا مستوحشين من الخلق، قلوبهم شاخصة لما يرد عليها من حضرة الحق، قد نحلت أجسادهم واصفرت ألوانهم وخمصت بطونهم، وبالشوق ذابت أكبادهم، وقطعوا الدياجى بالبكاء والنحيب، واستبدلوا الدنيا بالمجاهدة فى الدين، ورغبوا فى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين».

- وأهل المحبة تجلّى لهم الحق تعالى بصفة الجمال والمحبة وسكروا بخمر لذيذ القُربة، شغلهم المعبود عن أن يكونوا من العباد أو من الزهاد، اشتغلوا بالظاهر والباطن وهو الله، فحجبوا عن كل ظاهر وباطن، زهدوا فى التنعيم والإنعام واشتغلوا بمشاهدة الواحد العلام.

وإجابة كل سائلٍ ضرر وجهل، إذ قد يكون السائل متعنتًا لا يستحق جوابًا، وقد تكون المسألة التى سأل عنها لا تليق به لأنه لا يفهمها ولا يطيق معرفتها فتوقعه فى الحيرة أو الإنكار.

وقد قال ﷺ: **«لا تؤتوا الحكمة غير أهلها فتظلموها، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم».**

**وقال الإمام على رضي الله عنه:**

«حدث الناس بقدر ما يعلمون أو يفهمون، أتريدون أن يُكذَّب الله ورسوله».

وسر الملك لا يصح إفشاؤه، فمن أفشاه كان خاطئًا واستحق الطرد والعقوبة ولا يصلح أن يكون أمينًا بعد ذلك، فكتم الأسرار من شأن الأخيار، وهتك الأسرار من شأن الأشرار..

وقد قالوا: قلوب الأحرار قبور الأسرار..

وفى إفشائها قلة عملها ونفعها فى الباطن، ففائدة هذه الأحوال والواردات الإلهية هى محو الحس وإظهار المعنى، أو محو الشك وتقوية اليقين، والخير كله فى الكتمان.. وفى الحديث: **«استعينوا على قضاء حوائجكم بكتمانها».**

وينخرط فى سلك الأحوال التى يجب كتمانها، فرق عوائد النفوس، فمن فرق عادة فى نفسه فلا يُفشى ذلك لغيره، فإن فى ذلك دسيسة لها. لأنها تحب أن تذكر بالقوة والنجدة، وفيه أيضًا نقص الإخلاص وإدخال الرياء، وهو سبب الهلاك والعياذ بالله.

وأما وجه جهله فى كونه ذاكراً لكل ما علم من الحقائق والعلوم والمعارف فلأنه جهل قدرها واستخف شأنها، فلو كانت عنده رفيعة عزيزة ما أفشاها لغيره، إذ صاحب الكنز لايبوحُ به وإلا سُلبه من ساعته وإذا كان الله تعالى يقول: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾[النساء:٥] ..

فكيف بالعلم الذى هو لؤلؤ مكنون .. قال ﷺ:

**«إن من العلم كهيئة المكنون لا يعرفه إلا العلماء بالله، فإذا أظهروه أنكره أهل الغيرة بالله».**

**وقال أبو هريرة رضي الله عنه:**

«حفظت من رسول الله ﷺ جرابين من علم، أما أحدهما فقد بثثتُه فى الناس وأما الآخر فلو بثثته لقطع منى هذا البلعوم».

إن ثمرة العمل هى لذيذ الطاعة، وحلاوة المناجاة، وأنس القلب بالمراقبة، وفرح الروح بالمشاهدة، والسر بالمكالمة.

وقد جعل الله تعالى بحكمته خلقه على قسمين: أشقياء وسعداء.

وجعل السعداء قسمين: أهل قرب وأهل بعدٍ، أو نقول: أهل يمين ومقرَّبين وهم السابقون.

فإذا أردت أن تعرف نفسك هل أنت من أهل الشقاوة أو من أهل السعادة، فانظر فى قلبك، فإن كنت تصدق بوجود ربك وتوحده فى ملكه، وتنقاد لمن عرَّفك به وهو رسوله ﷺ، فأنت ممن سبقت له الحسنى .. وإن كنت تنكر أو تشك فى ربك أو تشرك به غيره فى اعتقادك، أو لم تذعن لمن عرَّفك به فأنت من أهل الشقاء ..

ثم إن وجدت نفسك من أهل السعادة، وأردت أن تعرف هل أنت من أهل القرب أو من أهل البعد، فانظر: فإن كنت ممن يستدل بأثره عليه، فأنت من أهل البعد من أهل اليمين، وإن كنت ممن يستدل به على غيره فأنت من أهل القرب من المقربين..

ثم إن عرفت أنك من أهل اليمين، وأردت أن تعرف قدرك عنده هل أنت من المكرمين أو من المهانين، فانظر: فإن كنت تمتثل أمره، وتجتنب نهيه وتسارع فى مرضاته وتتحَبَّب إلى أوليائه وأحبائه فأنت من المكرمين المعظمين .. وإن كنت تتهاون فى أمره وتتساهل فى نواهيه وتتكاسل عن طاعته، وتهتك حرماته، وتعادى أولياءه، فأنت عنده من المهانين المحرومين المطرودين، إلا إن تداركتك عنايةٌ من رب العالمين.

وإن تحققت أنك من أهل القرب، وأنك بلغت مقام الشهود تستدل به على غيره فلا ترى سواه، فإن كنت تُقر بالواسطة وتثبت الحكمة وتُعطى كل ذى حق حقه فأنت من المقربين الكاملين..

وإن كنت تنكر الحكمة وتغيب عن الواسطة، فإن كنت مجذوبًا مغلوبًا فأنت فى هذا المحل ناقص، وإن كنت صاحيًا فأنت ساقط، إلا أن يأخذ بيدك شيخ واصل، أو عارف كامل ..

وهنا ميزانٌ آخر تعرف به نفسك فى القرب والبعد، فإن وجدت شيخًا مربيًا، كشف الله لك عن أنواره، وأطلعك على خصائص أسراره، فأنت قطعًا من أهل القرب بالفعل أو بالإمكان.

وإن لم تجد شيخًا مربيًا، وغرك قول من قال: إنه انقطع وجوده، فأنت قطعًا من أهل اليمين من عوام المسلمين، هذا الغالب، والنادر لا حُكم له.

وفى الحديث القدسى:

**« أنا الله لا إله إلا أنا، خلقت الخير والشر، فطوبى لمن خلقته للخير وأجريت الخير على يده، وويل لمن خلقته للشر وأجريت الشر على يده».**

وفى حديثه ﷺ: **«من أراد أن يعلم ما له عند الله فلينظر ما لله عنده».**

وفى رواية أخرى: **« مَنْ أراد أن يعلم منزلته عند الله فلينظر منزلة الله تعالى فى قلبه، فإن الله تعالى ينزل العبد حيث أنزله العبد من نفسه».**

وقد قالوا: «متى رزقك الطاعة والغنى به عنها، فاعلم أنه قد أسبغ عليك نعمة ظاهرة وباطنة».

فالطاعة فى الظاهر هى رسوم الشريعة، والغنى به فى الباطن هو شواهد الحقيقة، فإذا جمع لك بين الطاعة فى جوارحك والغنى به عنها فى باطنك فقد أسبغ عليك نعمه ظاهرة وباطنة، وهذه سيما العارفين المقربين الأغنياء بالله، الفقراء مما سواه، استغنوا بمعبودهم عن رؤية عباداتهم، وبمعلومهم عن علمهم، وبمصلحهم عن صلاحهم ..

قال سيدى أبو الحسن الشاذلى رضي الله عنه فى حزبه الكبير:

« أسألك الفقر مما سواك، والغنى بك، حتى لا نشهد إلا إياك ».

قال الحبيب المصطفى ﷺ:

**«أحب العباد إلى الله، الأغنياء الأخفياء الأتقياء».**

وقال أيضًا:

«ليس الغنى بكثرة العرض، إنما الغنى غنى النفس».

فالنعم الظاهرة هى تزيين الجوارح بالشريعة.

والنعم الباطنة هى إشراق الأسرار بالحقيقة.

وقيل: النعم الظاهرة هى الكفاية والعافية، وراحة البدن من مخالفة أمره، والنعم الباطنة هي الهداية والمعرفة، وسلامته من منازعته حكمه. وحقيقة النعمة من حيث هى: ما لا يُوجب ألمًا ولا يُعقب ندمًا.

وقيل: النعمة العظمى الخروج من رؤية النفس..

وقيل: النعمة ما وصلك بالحقائق، وطهرك من العلائق وقطعك عن الخلائق..

وقد قالوا: «الحزن على فقدان الطاعة مع عدم النهوض إليها من علامات الاغترار».

والحزن هو التحسر على شىء، فإن لم تحصِّله، وندمت على عدم تحصيله، أو التوجع على شىء منعت منه ولم تقدر على تحصيله .. فإن كان حزنك على شىء منعت منه ونهضت إلى أسبابه الموصلة إليه، فهو حزن الصادقين وإن لم تنهض إلى أسبابه فهو حزن الكاذبين..

وقد سمعت رابعة العدوية رجلاً يقول: «واحزناه» فقالت له: «قل: واقِلَّة حُزناه، فلو كان حزنك صادقًا لم يتهيأ لك أن تتنفس».

والحزن ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

١- **حزن الكاذبين**: وهو عدم النهوض والاستدراك لما فات..

٢- **حُزن الصادقين**: هو الحزن المصحوب بالجد والاجتهاد والتوسط فى العمل، والاقتصاد مع اغتنام ما بقى من الأوقات لاستدراك ما فات.

٣- **حُزن الصديقين من السائرين**: فهو الحزن على فوات الأوقات، أو حصول شىء من الغفلات، أو وقوع ميلٍ أو ركونٍ إلى الحظوظ والشهوات إلا أن حُزنهم لا يدوم، إذْ لا يقفون مع شىء ولا يقبضهم شئ، أما الواصلون، فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون..

وقد رأى الصديق رضي الله عنه قومًا يقرءون ويبكون، فقال: «كذلك كنا» ثم قست القلوب، فعبر بالقسوة عن التمكين أدبًا وتستراً، لأن القلب فى بدايته رطب يتأثر بالمواعظ وتحركه الأحوال، فإذا استمر معها وتصلب لم يتأثر ويكون كالجبل الراسى.

وقال سيدى أبو الحسن الشاذلى رضي الله عنه :

«مَنْ لم تطاوعه نفسه على النهوض إلى الطاعات، وأخلدت إلى أرض الشهوات، فدواؤه فى حرفين:

**الأول:** أن يعلم منة الله عليه بالهداية للإسلام ومحبة الإيمان فيشكر الله ليُحصِّن بقاءها عنده.

**والثانى:** دوامُ تضرعه وابتهاله فى مظان الإجابة قائلاً: يا رب سلِّم سلِّم.

وإنْ أهمل هذين الأمرين فالشقاوة لازمة له .

ثم إذا أعطاك ما طلبت من كمال الاستقامة، ونهضت إليه نادمًا على ما فاتك من الطاعة، كانت نهايتك الوصول إلى الحبيب، ومناجاة القريب، هناك تكلُّ الألسن عن العبادة، وتنقطع الإشارة كما أبان ذلك بقوله:

«ما العارف مَنْ إذا أشار وجد الحق أقرب إليه من إشارته، بل العارف مَنْ لا إشارة له ؛ لغنائه فى وجوده، وانطوائه فى شهوده».

**فالأمور ثلاثة:**

عبارات، وإشارات، ورموز ..

وكلُّ واحدة أدق مما قبلها ..

فالعبارة تُوضح ..

والإشارة تُلوِّح ..

والرمز يُفرِّح .. أى يُفرِّح القلوب بإقبال المحبوب ..

وقالوا: علمنا كله إشارة .. فإذا صار عبارة خفى، أى خفى سره، فإشارة الصوفية هى تغزُّلاتهم وتلويحهم بالمحبوب:

كذكر سلمى وليلى ..

وذكر الخمر والكيسان والنديم ..

وذكر الأقمار والنجوم والشموس واللواقح والطوالع ..

وذكر البحار والإغراق .. وغير ذلك ..

أما الرموز: فهى إيماء بأسرار بين المحبوب وحبيبه لا يفهمها غيرهم .. ومنها فى القرآن: فواتح السور ..

ومنها فى الحديث: قوله ﷺ لأبى بكر:

«أريد أن أدعوك لأمر، قال: وما هو يا رسول الله؟ قال: هو ذاك». فرمز لأمرٍ بينهما لا يعرفه غيرهما ..

وقال له أيضًا:

«يا أبا بكر، أتعلم يوم يوم؟ قال: نعم يا رسول الله، سألتنى عن يوم المقادير».

فهذه رموز بين الصديق وحبيبه ..

وأما الإشارات: فيدركها أربابها من أهل الفن، والناس فى إدراكها وعدمه، على أقسام:

فمنهم من لا يفهم منها شيئًا ولا يعرف إلا ظاهر العبارة وهم الجهال من عموم الناس..

ومنهم مَنْ يفهم المقصود، ويجد الحق بعد الإشارة، أى بعد سماع الإشارة، وهم أهل البداية من السائرين.

ومنهم من يفهم الإشارة ويجد المشار إليه ..

وهو الحق أقربُ إليه من إشارته، وهم أهل الفناء فى الذات قبل التمكين.. ولهذا تجدهم يتواجدون عند السماع ويتحركون وتطيب أوقاتهم وتهيم أرواحهم أكثر ما يتواجدون عند الذكر، لأن الإشارة تُهيِّج أكثر من العبارة ..

بخلاف المتمكنين، قد رسخت أقدامهم واطمأنت قلوبهم، وتحقق وصولهم، فاستغنوا عن الإشارة والمشير ..

ولذلك قيل للجنيد:

ما لك كنت تتحرك عند السماع وتتواجد؟ واليوم لا نراك تتحرك بشىء؟ قال: ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ﴾[النمل :٨٨] ..

وهذا هو العارفُ الذى لا إشارة له، لفنائه فى وجود الحق وانطوائه فى شهوده .

رق الشرابُ ورقت الخمرُ ... فتشابها وتشاكل الأمرُ

فكأنما خمرٌ ولا قدحٌ ... وكأنما قدحٌ ولا خمرُ

فالأقداح أشباح، والخمور أرواح ..

قال سيدى أبو العباس المرسى رضي الله عنه :

إن لله عباداً محق أفعالهم بأفعاله، وأوصافهم بأوصافه، وذاتهم بذاته، وحمّلهم من أسراره ما تعجز عنه الأولياء.

قال سيدى عبد السلام بن مشيش رضي الله عنه :

وشرابُ المحبة مزج الأوصاف بالأوصاف، والأخلاق بالأخلاق والأنوار بالأنوار، والأسماء بالأسماء، والنعوت بالنعوت، والأفعال بالأفعال..

وقال الإمام أبو القاسم الجنيد رضي الله عنه فى وصف العارف:

«عبد ذاهب عن نفسه، مُتصل بذكر ربه، قائم بأداء حقه، ناظر إليه بقلبه، أحرقت قلبه أنوار هدايته، وصفا شرابه من كأس وُده، تجلى له الجبار عن أستار غيبه، فإن تكلم فبالله، ولله، ومع الله ومن الله وإلى الله».

إن الذى تفيدُه التقوى إنما هو فهم يوافق الأصول، ويشرحُ الصدور، ويوسع العقول، ومن كان رجاؤه الوصول إلى إدراك المقامات وتحقيق المنازلات ومواجيد المحبين وأذواق العارفين فعليه بصحبة الفحول من الرجال، أهل السر والحال، بحط رأسه وذبح نفسه، والأخذ فيما كلفوا به من الأعمال، مع الذل والافتقار والخضوع والانكسار، فإن زعم أنه لم يجدهم، فليصدق فى الطلب، فسر الله كله فى صدق الطلب، وليستغرق أوقاته فى ذكر الله، وليلتزم الصمت والعزلة، وليحسن ظنه بالله وبعباد الله، فإن الله يُقيض له من يأخذ بيده:

« إن يعلم الله فى قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً مما أخذ منكم».

وقد ثبت أن حقائق علوم الصوفية منح إلهية ومواهب اختصاصيَّة لا تنُال بمعتاد الطلب، وهو ثلاث:

١- العمل بما علم قدر الاستطاعة.

٢- اللجوء إلى الله على قدر الهمة.

٣- إطلاق النظر فى المعانى حال الرجوع لأصل السنة.

# خاتمة

حمداً لله على توفيقه..

حمداً لله الذى هدانا لهذا، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله..

وقد قيل: «من اجتهد ولم يصب، فله فضل الاجتهاد.. ومن اجتهد وأصاب فله فضل الاجتهاد والصواب..

وقد قيل: «من فضله عليك أن خلق ونسب إليك».

وأؤكد أنه لولا توفيقه تعالى لما تمكنت من إخراج هذا الكتاب، وكنت تحت تأثير الدافع والنتيجة..

**أما الدافع..** فأقر بأنه كان قويًا جداً، وقد ألح على كثيراً وبشدة لإخراج مثل هذا الكتاب كمساهمة متواضعة فى إجلاء الأمور وإزالة اللبس عن بعض العقول..

ثم كان وراء هذا العمل مكابدة شخصية بين الشفقة والرثاء، الشفقة على شبابنا والأجيال الصاعدة من خوض هذه الصراعات التى لا طائل من ورائها إلا تشويه صورة الإسلام وصورة المسلمين حتى اتهمنا فى النهاية «بالإرهاب الفكرى» أعاذنا الله جميعًا من ذلك.. والرثاء على حالة المتنافرين من المسلمين.

مع إيمانى العميق وإيمان الألوف غيرى بأن الإسلام والتصوف أبرياء مما يلصق بهما من تهم، ولكن صوت الإصلاح قد خفت أو كاد ينمحى نهائيا.. فبدلاً من أن نزرع المحبة والألفة والمودة فى أجيالنا، نرضعهم منذ الصغر لبن الكراهية والحقد والتنافر، معانٍ لم تكن موجودة، ولم يكن لها مكان بين أسلافنا فى الزمن القريب جداً، ولكن البعض لا يزالون يقدسون الفرقة ولا يستطيعون العيش إلا فى الماء العكر، فبين الفترة والأخرى يخرج بعض هؤلاء المتفيقهين بآراء ما أنزل الله بها من سلطان، ثم يرون المنكر وما يحدث باسم الإسلام والتصوف فلا يتحرك لهم ساكن، ولا ينهضون بمهمتهم الأساسية فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر..

هالنى ما يحدث بين المسلمين أنفسهم، وما يحدث بين الطوائف والفرق الإسلامية الأخرى، والتى تدعى كلها أنها وحدها على الصواب..

ولم يتذكر هؤلاء قول الحبيب المصطفى ﷺ **«تركت فيكم ما إن تمسكتم به من بعدى لن تضلوا أبداً كتاب الله وسنتى»**. وقوله ﷺ **«من رغب عن سنتى فليس منى»**.

ولقد قرأوا جميعًا وحفظوا الآية: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾[الأحزاب:٢١].

ولكنهم للأسف يمرون عليها مر الكرام..

ولم يعوا أيضا قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾[الحشر: ٧].

والجميع يعلمون أن الأسوة لا تتحقق إلا بالتشبه: وقد قالوا:

**فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم　　　إن التشبه بالكرام فلاح**

والتشبه بالمصطفى ﷺ لا بد أن يراعى فيه ترسم خطاه وتقليد أخلاقه الكريمة، فهو الذى خاطبه ربه قائلاً: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[القلم: ٤].

وسجل ﷺ اعترافه بهذا الفضل من الحق جل شأنه.. فقال: «**ادبنى ربى فأحسن تاديبى**»، وقال أيضًا: «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**».

فلو أنصف هؤلاء لتنحوا عن صفات السب والشتم واستخدام الألفاظ النابية، بل الألفاظ التى توجب غضب الجبار وكراهية الخلق مثل كلمات: الملاحدة، والكفار.... إلخ...

**والدافع هنا** – هو الغيرة على الإسلام والمسلمين والرغبة فى إصلاح شأنهم ليكونوا يداً واحدة ضد ما يحاك بهم..

**أما النتيجة** – فآمل وكلى عشم ورجاء أن يظهر أثرها على الجميع لندعو جميعا إلى المحبة والود ونبذ الخلافات..

وليعلم الجميع: أن الجدل يسد باب العمل.. وأن صحبة الغافل سم قاتل..

فليتقوا الله .. سواء هؤلاء المعارضين للتصوف، أو المدعين بأنهم من أهل التصوف وليعودوا إلى صوابهم وليعلموا:

«أنه طوبى لمن شغلته عيوبه عن عيوب الناس». وليعلموا أن الناقد بصير، وأن الحساب قريب..

**النتيجة** – سيعلنها الجميع بإذن الله بعد مطالعة هذه الكلمات المتواضعة الصادرة من قلب مخلص محب.

**وفقنا الله وإياكم إلى ما فيه الحق والصواب..**

**وهدانا وإياكم إلى سواء السبيل.**

**أحمد مصطفى الخولى**

# المراجـــع


١- قضية التصوف «المدرسة الشاذلية»، الدكتور عبد الحليم محمود.

٢- غيث المواهب العلية فى شرح الحكم العطائية، تحقيق: د. عبد الحليم محمود د. ابن الشريف.

٣- مشارق أنوار القلوب ومفاتح أسرار الغيوب.، تحقيق: هـ. ريتر.

٤- صحيح البخارى وصحيح مسلم.

٥- الإنسان الكامل، عبد الكريم الجيلى.

٦- صفوة الصفوة، لابن الجوزى.

٧- إيقاظ الهمم فى شرح الحكم.، أحمد بن محمد بن عجيبة الحسينى.

٨- الكواكب النيرات فى المنجيات والمهلكات، عبد الله الجاد الله.

٩- الحب الإلهى، د. محمد مصطفى حلمى.

١٠- كشف المحجوب، للهويجرى.

١٢- كتاب الإنسانية، للشيخ سلامة الراضى.

١٣- طبقات الشعرانى.، للشعرانى.

١٤- الرسالة القشيرية..، للقشيرى.

١٥- مرشد المريد، للشيخ إبراهيم سلامة الراضى.

١٦- الصوفية فى ميزان الكتاب والسنة، محمد بن جميل زينو.

١٧- الفكر الصوفى فى ضوء الكتاب والسنة.، عبد الرحمن عبد الخالق.

١٨- أبو حامد الغزالى والتصوف.، عبد الرحمن دمشقية.

١٩- نظرية الاتصال عند الصوفية فى ضوء الإسلام، سارة بنت جلوى آل سعود.

# فهـــرس الموضوعـــات

| الموضــوع | الصفحة |
| --- | --- |

رقم الإيـــداع :
٢٠٠٦/ ١٨٠٨
الترقيم الدولى :
977 - 294 - 326 - 3